J

2

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، Mيَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ : ; < = > ? @ L [آل عمران:١٠٢]، M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ : ; < = > ? L [النساء:١]، M u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ L [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإن علم العقيدة الذي يتعلق بمعرفة الله جل وعلا، ومعرفة ما يختص به، ويجب له؛ حري بكل مسلم أن يهتم به، ويحرص عليه، ويشتغل به علما وعملا ودعوة.

ولقد اعتنى أهل العلم بجمع اعتقاد السلف وبيانه للناس، قال اللالكائي - : "ثم إنه لم يزل في كل عصر من الأعصار، إمام من سلف أو عالم من خلف[1]؛ قائم لله بحقه، وناصح لدينه فيها، يصرف همته إلى جمع (اعتقاد أهل الحديث)، على سنن كتاب الله ورسوله وآثار صحابته، ويجتهد في تصنيفه، ويتعب نفسه في تهذيبه؛ رغبة منه في إحياء

(١) أراد - بقوله: (من خلف) علماء السنة الذين تمسّكوا بالكتاب والسنة، وساروا على منهج من سبقهم من السلف الصالح، فهم خلفٌ للسلف؛ أي: جاؤوا بعدهم، ولا يفهم من كلامه أنهم على خلاف منهج السلف، كقول الذين فرّقوا بين السلف والخلف فقالوا: "منهج السلف أسلم، ومنهج الخلف أعلم وأحكم"؛ وأرادوا بـــ"الخلف" علماء الكلام.

سنته وتجديد شريعته وتطرية ذكرهما على أسماع المتمسكين بهما من أهل ملته، أو لزجر غالٍ في بدعته، أو مستغرقٍ يدعو إلى ضلالته، أو مفتتن بجهالته لقلة بصيرته"(1). ا.هـــ.

وفي هذا النقل ما يبين أهمية الكتابة عن آثار السلف المتعلقة بمسائل الدين، وذلك بجمعها وتحقيقها؛ ببيان الثابت منها من غيره، ومن ثمّ إظهارها للناس؛ لكي يتسنى لهم الاطلاع على ما كان عليه سلفهم الصالح من اعتقاد فيلتزموه، ويتمسّكوا به.

ومن فضل الله ﷻ - وفضائله كثيرة لا تحصى - أن منّ عليّ بالالتحاق بالدراسات العليا، بالجامعة الإسلامية، بمرحلة الماجستير، في قسم العقيدة، بكلية الدعوة وأصول الدين، ولأنه يلزم كل طالب بهذه المرحلة أن يكتب بحثاً في تخصّصه؛ فقد وقع اختياري على الكتابة عن آثار أحد السلف؛ وذلك بجمعها، ودراستها، ولما كان قتادة بن دعامة السدوسي - من أئمة السلف الصالح؛ رأيت جمع أقواله المروية عنه في العقيدة، على أن يكون عنوان الرسالة: **الآثار الواردة عن قتادة بن دعامة السدوسي - في العقيدة - جمعاً ودراسة -.**

وإني أسأل المولى جل وعلا أن ينفعني والمسلمين بهذا العمل وأن يبارك لنا فيه.

"آمين"



(1) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، الطبعة الثامنة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، (الرياض: دار طيبة، ١٤٢٣هـــ - ٢٠٠٣م)، ج ١ ، ص ٢٧ .

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

للكتابة في هذا الموضوع أسباب عدة، ومن خلال ذكرها تظهر أهميته وهي:

أولا: من المعلوم أن عقيدتنا الإسلامية مأخوذة من الكتاب والسنة، ولقد كان للسلف الصالح أثرٌ عظيمٌ في بيان هذه العقيدة ودفع الشبه والبدع عنها، ولهذا كان من اللازم الاعتناء بآثارهم وأقوالهم في هذا الباب.

ثانيا: لكثرة ما كتب مؤخرا في مجال العقيدة، ولحصول اللبس عند العامة بسبب كثرة كلام وكتابات أهل الأهواء في هذا الباب وغيره؛ فكان جمع آثار السلف مما يتبين به الحق من الباطل؛ وذلك بالمقارنة بين أقوال السلف وبين ما قيل وكتب مؤخراً.

ثالثا: ما تقرر من أهمية الاعتناء بآثار السلف؛ وذلك بدراستها دراسةً محققة، وعرضها على الكتاب والسنة، ومقارنتها بما ثبت من أقوال الصحابة والتابعين حتى تُفهم على الوجه الصحيح .

رابعا: أن قتادة من أئمة السلف الصالح وقد رمي بالقدر كما جاء ذلك في ترجمته، فلعله ومن خلال جمع أقواله في العقيدة تتضح الرؤية أكثر فيما رمي به، وتُعلم صحة ذلك من عدمها.

خامسا: للكتابة في هذا الموضوع وأمثاله فائدة عظيمة تعود على كل من يكتب فيه، وهي الرجوع إلى المصادر الأصيلة من كتب السنة والاعتقاد، والتعرف على آثار السلف المتنوعة في أبواب العقيدة.

سادسا: أن في استخراج آثار السلف من بطون الكتب وجمعها في موضع واحد تقريبٌ للعلم، وتسهيلٌ على الباحثين وغيرهم بإيقافهم على تلك الآثار والأقوال التي لها مكانة عظيمة وأثر بالغ في علم الاعتقاد.

الدراسات السابقة:

لقد قام عدد من الباحثين الكرام بجمع آثار السلف في رسائل علمية، وممّن ذُكر ضمن تلك الرسائل قتادة - ، وفي هذا المقام سأتحدّث عن أهم تلك الرسائل ذاكرا المبرّرات والمسوّغات للكتابة عن آثار قتادة، وهذه الرسائل كالتالي:

أولا: رسالة بعنوان: "جهود علماء السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها"

"القرن الثاني الهجري"

رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

- **إعداد الطالب: محمد بن أحمد خضي**

في هذه الرسالة أبرز الباحث جهود علماء السلف الذين عاشوا في القرن الثاني، وكان من ضمنهم قتادة بن دعامة السدوسي - ، وقد تميّز صاحب الرسالة بإفراد كل عالم على حدة، فيذكر ترجمة مختصرة عن العالم، ثم يذكر بعض مظان مروياته في العقيدة، ثم ينقل بعض ما رواه عن غيره، ثم يذكر بعض آثاره، ويختم ذلك بخلاصة يُبيّن فيها ملخّص ما أورده معنونا لذلك بجهود الإمام...في تقرير العقيدة والدفاع عنها.

وبالنسبة لما يتعلق بالمبحث الذي تكلم فيه عن قتادة - فإني ألخصه فيما يلي:

١- ترجم له ترجمة مختصرة جداً.

٢- قسّم المبحث إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: في ترجمة الإمام قتادة.

والمطلب الثاني: في نماذج من مروياته في العقيدة.

والمطلب الثالث: في أقواله المأثورة عنه في العقيدة.

والمطلب الرابع: في جهوده العملية، ومواقفه من تقرير العقيدة.

٣- ذَكر بعض مظان مروياته في العقيدة.

٤- أورد له خمساً من مروياته في العقيدة في أبواب متفرقة.

٥- أورد له سبعةً وأربعين أثراً في أبواب متفرقة من العقيدة.

٦- قام بتحقيق القول فيما نسب إلى قتادة من نفي القدر.

ومن خلال النظر في الرسالة ظهر لي الآتي:

١- أن الرسالة في جهود علماء القرن الثاني عموماً وليست خاصة بقتادة - .

٢- أن موضوع الرسالة يتعلق بإبراز جهود السلف "عموما" في تقرير العقيدة والدفاع عنها؛ وهذا يختلف عمّا إذا عمد الباحث إلى أحد علماء السلف، وقام بجمع آثاره المروية عنه "خاصة"، ودراستها على حسب الأسباب التي يراها، ومن ذلك ما ذكرته من أسباب للكتابة عن آثار قتادة - في العقيدة.

٣- أن إبراز جهود السلف في العقيدة يحصل بذكر مروياتهم فيها بالإضافة إلى ذكر آثارهم المروية عنهم، وهذا ما حصل في رسالة "جهود علماء السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها"، وأما موضوع البحث الذي أكتب فيه عن قتادة - فهو في جمع آثاره فقط - أي: دون ما رواه عن غيره - مع دراسة تلك الآثار.

٤- الفرق الكبير بين عدد الآثار التي ذُكرت لقتادة - في رسالة "جهود علماء السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها" وهي سبعة وأربعون (٤٧) أثرا فقط، وبين ما جمعت من آثاره التي تزيد على ثمانمائة وخمسين (٨٥٠) أثرا.

٥- أن الباحث لم يستوعب المسائل التي وردت فيها آثار عقدية عن قتادة - .

٦- أن الباحث لم يعلق على ما أورده من آثار قتادة - إلا ما ذكره عند مبحث فضل معاوية ﷺ فأورد فيه كلاماً عن شيخ الإسلام - ، وكذلك ما علق به على ما رمي به قتادة - من القول بنفي القدر.

٧- مع قيامه بتحقيق القول فيما نسب إلى قتادة - من نفي القدر إلا أنه لم يستوف الآثار الواردة عنه في هذه المسألة.

٨- لم يقم ببيان الحكم على الآثار.

ثانيا: رسالتان علميتان من جامعة أم القرى

الرسالة الأولى بعنوان: "أقوال التابعين في التوحيد والإيمان" جمع ودراسة وتحقيق

- **إعداد الطالب: عبد العزيز بن عبد الله المبدل**

والرسالة الثانية بعنوان: "أقوال التابعين المتعلقة بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر" جمع ودراسة وتحقيق

- **إعداد الطالب: محمد بن عبدالرحمن حمد الشقير**

أما الرسالة الأولى: فقد جمع فيها الباحث الآثار الواردة عن السلف في التوحيد ومسائل الإيمان، وقسّم بحثه إلى مقدمة، وأربعة أبواب، وخاتمة، وقد جعل الباب الأول في الإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته في ذاته وأفعاله، وأما الباب الثاني ففي أقوال التابعين في توحيد الألوهية؛ وأورد تحته أربعة فصول، وأما الباب الثالث ففي توحيد الأسماء والصفات، وقد أورد تحته ثلاثة فصول؛ فصل في أسماء الله، وفصل في صفاته، وفصل في رؤيته جل وعلا، وأما الباب الرابع - وهو الأخير - ففي مسائل الإيمان، وقد احتوت الرسالة على ألف وخمسمائة واثنين وخمسين (١٥٥٢) أثرا عن التابعين F ، منها مائتان واثنان وعشرون (٢٢٢) أثراً عن قتادة - .

وأما الرسالة الثانية: فقد اشتملت على مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب، وخاتمة؛ وكان الباب الأول منها في أقوال التابعين في الملائكة، والباب الثاني في أقوالهم في الكتب، والثالث في أقوالهم في الرسل، والرابع في أقوالهم في اليوم الآخر.

ومن خلال النظر في الرسالتين ظهر لي ما يأتي:

١- أن عدد الآثار التي أوردها صاحب الرسالة الأولى (المبدل) عن قتادة - مائتان واثنان وعشرون (٢٢٢) أثراً، وأما صاحب الرسالة الثانية (الشقير) فقد أورد عنه مائة وستا وسبعون (١٧٦) أثراً، ومجموع ما أورداه عن قتادة - من آثار - وإن كان كثيرا كما يظهر - إلا أنه لا يبلغ نصف الآثار الواردة عنه في باب الاعتقاد، وقد سبق أن ذكرت أني جمعت له ما يزيد على ثمانمائة وخمسين (٨٥٠) أثرا في مسائل متفرقة من العقيدة .

٢- أن صاحبي الرسالتين وإن حاولا جمع آثار قتادة - في المسائل التي عنونا لها إلا أنه قد فاتهما عددٌ لا بأس به من آثاره مما يتعلق بصُلب موضوع بحثهما.

٣- أنه قد فات صاحبي الرسالتين إيراد بعض الفصول والمباحث التي ورد فيها آثار متنوعة عن قتادة - .

٤- أنه لم يرد في الرسالتين ما يتعلق بالآثار الواردة عن السلف في باب التمسك بالقرآن والسنة، واجتناب الأهواء والبدع، والصحابة، والجماعة، وقد وقفت على مجموعة من آثار قتادة - الواردة في هذه الأبواب.

٥- أن الكتابة عن الآثار الواردة عن قتادة - في العقيدة بشكل مستقل تُجمع فيه آثاره فقط مما يبرز شخصيته وعقيدته؛ وهذا ما لم يحدث في هاتين الرسالتين إذ جُمعت فيهما آثار التابعين عموماً .

٦- أن صاحبي الرسالتين لم يتطرقا تماماً إلى الحديث عمّا رُمي به قتادة - من بدعة القول بنفي القدر، مع أن صاحب الرسالة الأولى (المبدل) قد ذكر في الخاتمة أنّ السلف - ومنهم قتادة - قد اتفقوا على القول بإثبات القدر وأن الله خالق الخير والشر.

خطة البحث:

وقد احتوى هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفهارس علمية.

المقدمة وقد احتوت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

التمهيد في الإمام قتادة بن دعامة السدوسي - وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام قتادة بن دعامة السدوسي - .

المبحث الثاني: عقيدته ومنهجه، وتحرير ما نسب إليه في مسألة القدر.

الباب الأول: الآثار الواردة عن قتادة في الإيمان بالله ﷻ.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الآثار الواردة عن قتادة في توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآثار الواردة عنه في توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: الآثار الواردة عنه في توحيد الألوهية.

الفصل الثاني: الآثار الواردة عن قتادة في باب الأسماء والصفات.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة عنه في أسماء الله الحسنى.

المبحث الثاني: الآثار الواردة عنه في صفات الله ﷻ.

المبحث الثالث: الآثار الواردة عنه في المسائل المتعلقة بباب الأسماء والصفات.

الباب الثاني: الآثار الواردة عن قتادة في بقية أركان الإيمان الستة، ومسائل الإيمان.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الآثار الواردة عن قتادة في الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة عنه في الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: الآثار الواردة عنه في الإيمان بالكتب.

المبحث الثالث: الآثار الواردة عنه في الإيمان بالرسل.

الفصل الثاني: الآثار الواردة عن قتادة في الإيمان باليوم الآخر، والقضاء والقدر، وفي مسائل الإيمان.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة عنه في الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الثاني: الآثار الواردة عنه في الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثالث: الآثار الواردة عنه في مسائل الإيمان.

الباب الثالث: الآثار الواردة عن قتادة في التمسك بالقرآن والسنة، واجتناب الأهواء والبدع، وفي الصحابة، والجماعة.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الآثار الواردة عن قتادة في التمسك بالقرآن والسنة، واجتناب الأهواء والبدع.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآثار الواردة عنه في التمسك بالقرآن والسنة.

المبحث الثاني: الآثار الواردة عنه في اجتناب الأهواء والبدع.

الفصل الثاني: الآثار الواردة عن قتادة في الصحابة، والجماعة .

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآثار الواردة عنه في الصحابة.

المبحث الثاني: الآثار الواردة عنه في الجماعة.

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

الفهارس وهي كالتالي:

١ - فهرس الآيات القرآنية.

٢ - فهرس الأحاديث النبوية.

٣ - فهرس الآثار.

٤ - فهرس الأعلام.

٥ - فهرس الفرق.

٦ - فهرس البلدان.

٧ - فهرس الكلمات الغريبة.

٨ - فهرس المصادر والمراجع.

٩ - فهرس الموضوعات.

منهج البحث: المنهج المتبع في هذا البحث كالآتي:

أولاً: جمع الآثار المروية عن قتادة - في العقيدة من مظانها ككتب العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والتراجم.

ثانياً: تخريج هذه الآثار بذكر مصادرها، وإذا تكرر الأثر فإني لا أعيد تخريجه، وإنما أكتفي بالإحالة إلى المكان الذي خرجته فيه.

ثالثاً: ترتيب الآثار الواردة عن قتادة - على حسب أبواب العقيدة.

رابعا: نقل ما أجده من أقوال أهل العلم على آثار قتادة - تصحيحا أو تضعيفا، وما لم أجد فيه قولا فأكتفي بعزوه إلى من أخرجه.

خامسا: التعليق على الآثار الواردة عن قتادة - في كل مبحث تعليقا مجملاً مفيداً في ذلك من كلام أهل العلم.

سادسا: عزو الآيات القرآنية؛ بذكر اسم السورة، ورقم الآية، جاعلا ذلك في المتن مع كتابتها بالرسم العثماني.

ثامنا: عزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها، مع نقل كلام أهل العلم في بيان درجة ما لم يكن في الصحيحين أو أحدهما.

تاسعاً: التعريف الموجز بالفرق، والأديان، والأماكن، والبلدان، وكل ما يحتاج إلى تعريف.

عاشراً: شرح الكلمات الغريبة والمصطلحات العلمية.

حادي عشر: الترجمة للأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.

ثاني عشر: ختم البحث بخاتمة أبين فيها أهم النتائج المستفادة منه، والتوصيات.

ثالث عشر: الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

رابع عشر: تذييل البحث بالفهارس العلمية اللازمة على النحو المبين في الخطة.

شكر وتقدير

أحمد الله ﷻ على ما منّ به من إتمام هذا البحث، وأسأله جل وعلا أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به والمسلمين.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل لحكومة المملكة العربية السعودية على ما توليه من اهتمام بالغ بالإسلام والمسلمين، ومن ذلك إقامتها لهذه الجامعة المباركة (الجامعة الإسلامية) والتي قامت بدورها في نشر العقيدة السلفية، وبيان منهج السلف للأمة.

ثم أشكر القائمين على هذه الجامعة، والذين أتاحوا لي الفرصة لإتمام دراستي العليا بها، وأخص بالشكر فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ سعود الخلف - رئيس قسم العقيدة سابقا - فقد بذل جهدا مشكورا في ذلك، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر أيضا لفضيلة الشيخ الدكتور/ سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي على تفضّله بالإشراف عليّ في هذه الرسالة، وما وجدته منه من عناية فائقة وحرص، مع ما تمتع به من حسن خلق وصبر، فجزاه الله خيرا.

والشكر موصولٌ أيضا للشيخين الفاضلين؛ الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن يوسف الغفيلي، والدكتور/ ذياب بن مدحل العلوي، على تكرّمهما وقبولهما مناقشة هذه الرسالة، وما أبدياه من ملاحظات قيمة قوّمت الرسالة، وأشكرهما أيضا على ما عُرف عنهما ورأيته منهما "من خلق جمّ" أثناء المناقشة.

وأخيرا أتقدم بالشكر لعائلتي الكريمة؛ وأخص بالذكر منهم والدتي الحبيبة الغالية والتي متعني الله 1 بعطفها وحنانها وصبرها، فكانت نعم الأم فجزاها الله خيرا، كما أشكر أختاي الكبرتان على ما أضفيتاه على بيتنا من المشاعر الدينية والتربية الإسلامية القيمة، والتي كان لها دور في حسن نشأتنا، فأسأل الله أن يثيبهما على ذلك.

وأختم بشكر خاص لزوجتي العزيزة التي رافقتني من منتصف دراستي الجامعية، ثم دراستي العليا وحتى أتممت هذه الرسالة، وقد عانت من ذلك وصبرت، فأسأل الله الكريم بمنه وكرمه أن يثيبها على ذلك، وأن يجزيها خير الجزاء.



التمهيد في الإمام قتادة بن دعامة السدوسي - .

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام قتادة بن دعامة السدوسي - .

المبحث الثاني: عقيدة الإمام قتادة - ومنهجه، وتحرير ما نسب إليه في مسألة القدر.

المبحث الأول:

ترجمة موجزة للإمام قتادة بن دعامة السدوسي - .

أولا: ترجمته من الناحية الشخصية والعلمية.

ثانيا: ترجمته من الناحية الحديثية.

أولا: ترجمته من الناحية الشخصية والعلمية:

١ - اسمه، ونسبه، وكنيته.

٢ - مولده.

٣ - نشأته، وطلبه للعلم.

٤ - ما ذكر من حفظه، وثناء العلماء عليه.

٥ - تمكنّه في اللغة العربية، وعلم الأنساب.

٦ - عبادته.

٧ - ورعه في الفتوى.

٨ - شيوخه.

٩ - تلاميذه.

١٠ - من طرائف ما روي عنه.

١١ - وفاته.

١ - اسمه ونسبه وكنيته:

هو قتادة بن دِعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وقيل اسمه: قتادة بن دعامة بن عكابة بن عزيز بن كريم بن عمرو بن الحارث السدوسى[١].

وكنيته: أبو الخطاب البصري[٢].

أما نسبه: فقال عبد الرزاق: قتادة من بكر ابن وائل[٣]، وهذا كما ورد في اسمه، والسَّدُوسي؛ بفتح السين وضم الدال المهملتين، وسكون الواو، وفي آخرها سين أخرى، نسبة إلى سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن غنى - ويقال: علي

(١) انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧)، والتاريخ الكبير للبخاري ١٨٥/٧ رقم (٨٢٧)، ومعرفة الثقات للعجلي ٢١٥/٢ رقم (١٥١٣)، والثقات لابن حبان ٣٢١/٥ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، والتعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي ١٢٠١/٣ رقم (١٢٤٩)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ٥٧/٢ رقم (٦٦)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي ٤٩٨/٢٣ رقم (٤٨٤٨)، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢٦٩/٥ رقم (١٣٢)، ومغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار لبدر الدين العيني ٤٧٤/٤ رقم (٢١٣٠)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ٨٥/٤ رقم (٥٤١)، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤٢٨/٣ .

(٢) انظر: الكنى والأسماء للدولابي ٣٦٥/١ رقم (٨٢٢)، وفتح الباب في الكنى والألقاب لابن منده الأصبهاني ٢٩٢/١ رقم (٢٥٢٨)، والمقتنى في سرد الكنى للذهبي ٢١٦/ا رقم (١٩٦٢).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الطبعة الخامسة، إشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ج ٥ ، ص ٢٧١ .

- بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان [(١)].

٢ - مولده:

لقد اُختلف في تحديد سنة مولد قتادة فقال بعضهم: ولد سنة ستين[(٢)]، وقال آخرون: ولد سنة إحدى وستين [(٣)]، وقد ذكر الإمام أحمد بأن مولد قتادة والأعمش واحد [(٤)]، وهذا مما يرجح القول بأن قتادة ولد سنة إحدى وستين لأن الأعمش ولد في هذه السنة[(٥)].

٣ - نشأته، وطلبه للعلم:

ولد قتادة - بالبادية؛ فأبوه كان أعرابياً، وأمه سرية من مولدات [(٦)] الأعراب.

---

(١) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين ابن الأثير الجزري ١٠٩/٢ ، والأنساب للسمعاني ٢٣٥/٣ .

(٢) انظر: تهذيب الكمال ٥١٢/٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، وتاريخ مولد العلماء ووفياتهم لأبي سليمان الربعي ١٦٦/١ .

(٣) انظر: التعديل والتجريح ١٢٠١/٣ ، ووفيات الأعيان ٨٥/٤ ، ومغاني الأخيار ٤٧٤/٢ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ .

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٧١/٥ .

(٥) قال المزّي: ويقال: أنّ أبا الأعمش شهد قتل الحسين ﷺ ، وأنّ الأعمش ولد يوم قتل الحسين وذلك يوم عاشوراء سنة إحدى وستين. تهذيب الكمال ٨٧/١٢ ، وقال ابن حجر: وكان مولده أول سنة إحدى وستين. تقريب التهذيب رقم (٢٦١٥).

(٦) جمع مولدة وهي الجارية المولودة بين العرب الناشئة مع أولادهم المتأدبة بآدابهم والمحدثة من كل شيء. انظر: كتاب العين ٧١/٨ ، وتاج العروس من جواهر القاموس ٣٢٧/٩ ، والمعجم الوسيط ١٠٥٦/٢ .

وقد كان والد قتادة: دعامة بن عزيز[١] ممن يروي الحديث، فقد نُقل عنه أنه روى عن أنس ﷺ حديثاً لم يروه عنه غير ابنه قتادة، إلا أن ابن حجر ذكر بأنه: "لم تصح روايته عنه"[٢]، قال ابن الأثير: روى محمد بن جامع العطار، عن عبيس بن ميمون، عن قتادة بن دعامة، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: 8الحمى سجن الله في الأرض وهي حظ المؤمن من النار7[٣]، ثم قال: كذا رواه محمد بن جامع فقال: عن أبيه، ورواه سليمان الشاذكوني، عن عبيس فقال: عن قتادة، عن أنس، ثم قال: أخرجه ابن منده وأبو نعيم[٤]، وقال ابن حجر: ذكره ابن منده وهو خطأ نشأ عن تصحيف[٥] - ثم ذكر الرواية السابقة التي أخرجها ابن منده - ثم قال: وقال الشاذكوني عن عبيس عن قتادة عن أنس وهو الصواب[٦].

وقتادة - نشأ ضرير البصر، فقد ذُكر في ترجمته بأنه كان أعمى، وقيل إنه: ولد أكمه[٧]، ومع ذلك لم يمنعه فقدان بصره من الأخذ عمّن لقي من صحابة رسول الله

---

(١) لم تصح له صحبة. انظر: أسد الغابة ١٩٩/٢ رقم (١٥١١)، وقال عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦): باب تسمية من رُوي عنه العلم ممن يسمى دعامة: دعامة السدوسى أبو قتادة روى عن أنس، روى عنه ابنه قتادة، ثم قال: ذكرته لأبي فقال: هذا منكر من القول، وذكره الذهبي في المغني في الضعفاء ٢٢٢/١ رقم (٢٠٤٤)، وكذلك ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين ٢٧٠/١ رقم (١١٧٩).

(٢) انظر: لسان الميزان ٤١٩/٣ رقم (٣٠٦٤).

(٣) رواه ابن منده في "المعرفة" ٥/٢ ، وقال فيه الألباني: ضعيف جداً. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ٣٠/٨ رقم (٣٥٣٤).

(٤) انظر: أسد الغابة ١٩٩/٢ رقم (١٥١١).

(٥) التصحيف: هو الواقع في المشتبه من السند والمتن، وهو تحويل الكلمة من الهيئة المتعارفة إلى غيرها. فتح المغيث ٧٢/٣ ، وقيل: هو تغيير الكلمة في الحديث إلى غير ما رواها الثقات لفظا أو معنى. تيسير مصطلح الحديث ص ٦١ .

(٦) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤٠٢/٣ رقم (٢٤٣٠).

(٧) انظر: تهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ ، والكمه هو: العمى الذي يولد به الإنسان. انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢٤٩/٢ ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٣٦/٥ .

ﷺ ، والدراسة على كبار التابعين وملازمتهم بل والرحلة في طلب العلم إليهم؛ فقد كان - من طلبة العلم المجتهدين الجادِّين في طلبه، وقد سمع من الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال شعبة: "قصصت على قتادة سبعين حديثا كلها يقول فيها: سمعت أنس بن مالك، إلا أربعة"[١].

وقد نقل المؤرخون وعلماء الحديث ما يدل على اجتهاد قتادة - في طلبه للعلم وقوة حفظه؛ ومن ذلك قِصَّته مع شيخه التابعي الكبير سعيد بن المسيب - ، قال قتادة: "لزمت سعيد بن المسيب أربعة أيام يحدثني، فقال يوما: ليس تكتب! فهل يصير في يدك شيء مما أحدثك به، قلت له: إن شئت حدثتك بما حدثتني به، قال: فأعدتها عليه، قال: فبقي ينظر إلي!! ويقول: أنت أهل أن تُحدّث، فسل! فأقبلت أسأله"[٢]، وفي روايات أخرى لهذه القصة ما يُظهر شدة تعجب ابن المسيب من حفظ قتادة حتى أنه قال له: "ما كنت أظن الله خلق مثلك"[٣]، وقال أيضا: "ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة"[٤].

وقد كانت مجالسة قتادة لسعيد بن المسيب ثمانية أيام، ما ترك شيئاً مما يُختلف فيه إلا وسأله عنه، يقول قتادة: "قال لي سعيد بن المسيب: لم أر أحدا أسأل عما يختلف فيه منك؟! قلت: إنما يسأل عن ذلك من يعقل"[٥]، وقال قتادة أيضا: "أقمت عند سعيد بن المسيب ثمانية أيام، فقال لي في اليوم الثالث: ارتحل يا أعمى عني فقد أنزفتني"[٦]، وقد أورد

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢/١ رقم (١٠٧).

(٢) انظر: المجالسة وجواهر العلم ٤٦/٢١ رقم (٢٩٠٢)، وحلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨).

(٣) انظر: تهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦)، وتهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧٥/٥ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ .

(٤) انظر: الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، والتعديل والتجريح ١٢٠١/٣ ، وتهذيب الأسماء الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦)، وتهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ ، وتذكرة الحفاظ ١٢٢/١ رقم (١٠٧)، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، ومغاني الأخيار ٤٧٤/٢ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣.

(٥) انظر: المجالسة وجواهر العلم ٤٦/٢١ رقم (٢٩٠٢)، وحلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨).

(٦) انظر: الطبقات الكبرى ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧)، والتاريخ الكبير ١٨٥/٧ رقم (٨٢٧)، والثقات

أورد الذهبي قصة لقتادة مع شيخه سعيد تدل على حرصه على العلم فقال - : قال قتادة: "أتيت سعيد بن المسيب وقد ألبس تبان شعر[1]، وأقيم في الشمس، فقلت لقائدي: أدنني منه فأدناني، فجعلت أسأله خوفا من أن يفوتني، وهو يجيبني حسبة والناس يتعجبون"[2].

ومما ذكر أيضا من سيرة قتادة في طلبه للعلم ما نُقل عنه من ملازمته للحسن البصري - زمناً طويلا، "وقد أخذ القراءة عنه، وعن ابن سيرين"[3]، قال عبدالرزاق: أخبرنا معمر، قال: أخبرني قتادة قال: "صحبت الحسن ثنتي عشر سنة، صليت الصبح فيها معه ثلاث سنين"[4]، وهذا مما يدل على صبره، وحرصه على العلم، مع شدة تحمّله في سبيل ذلك.

ولقد استمر قتادة في تعلّم العلم، وتعليمه للناس حتى لقي الله ﷻ ، يقول ابن سيرين - : "قدمت الكوفة فوجدت بها أربعة آلاف شاب يطلبون الحديث. قال: وما زال قتادة متعلّما حتى مات"[5]، وقال مطر الوراق[1] - وهو أحد تلاميذ قتادة -: "كان قتادة فارس العلم"[2].

لابن حبان ٣٢١/٥ ، وحلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨)، وتهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢/١ رقم (١٠٧)، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ ، وشذرات الذهب ٨٠/٢ .

(١) التبّان: سراويل صغير يستر العورة المغلظة فقط ويكثر لبسه الملاحون. النهاية في غريب الأثر ص ٤٧٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٣٢/٤ .

(٣) معجم الأدباء ٢٢٣٣/٥ رقم (٩١٤).

(٤) تفسير القرآن لعبدالرزاق الصنعاني ٢٥٥/١ رقم (٩)، وانظر أيضاً: الطبقات الكبرى ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧)، والتاريخ الكبير ١٨٥/٧ رقم (٨٢٧)، والثقات لابن حبان ٣٢١/٥ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦)، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، ومغاني الأخيار ٤٧٤/٢ .

(٥) الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري ص ٢٠ ، وانظر أيضا: صفة الصفوة ٢٥٩/٣ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، وحلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم

ومن الأقوال المأثورة عن قتادة في بيان الطريق الأمثل لطلب العلم وحفظه قوله - : «من طلب العلم جملة ذهب منه جملة، إنما كنا نطلب العلم حديثا وحديثين» [٣]، وكان قتادة يقول: «الكلام يشبع منه كما يشبع من الطعام»[٤].

ومع ما سبق من بيان اجتهاد قتادة - إلا أنه قد لوحظ عليه كثرة الجمع والأخذ عن كل أحد ولهذا قال عنه الشعبي - : "حاطب ليل"[٥]، وقد نَقل سفيان بن عيينة ما يبين معنى كلام الشعبي، قال سفيان: قال الشعبي لقتادة: "حاطب ليل"، قال لي عبد الكريم الجزري: "تدري ما حاطب ليل؟ قلت: لا. إلا أن تخبرني، قال: هو الرجل يخرج في الليل فيحتطب، فتقع يده على أفعى فتقتله؛ هذا مثلٌ ضرب لطالب العلم، إن طالب العلم إذا حمل من العلم ما لا يطيقه قتله علمه كما قتل الأفعى حاطب ليل"[٦]، وقال أبو عمرو بن العلاء: "كان قتادة وعمرو بن شعيب لا يغث عليهما شيء يأخذان

(١٩٨).

(١) هو: مطر بن طهمان الوراق؛ أبو رجاء الخرساني، مولى علباء السلمي، الإمام، الزاهد، الصادق، العالم، العامل، سكن البصرة، وكان يكتب المصاحف، وكان أكبر أصحاب قتادة سنا، مات قبل الطاعون سنة ١٢٥ وقيل ١٢٩هـ. انظر: تهذيب الكمال ٥١/٢٨ رقم (٥٩٩٤)، وسير أعلام النبلاء ٤٥٢/٥ رقم (٢٠٢).

(٢) حلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨).

(٣) تهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ .

(٤) مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها للخرائطي ١٦٧٢/٤ رقم (٢٧١)، وتهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ .

(٥) روى جرير، عن عبد الحميد، عن مغيرة، "عن الشعبي أنه قيل له: هل رأيت قتادة؟ قال: نعم رأيته كحاطب ليل"، وفي رواية أخرى أنه قال: "نعم. فرأيت كناسة بين حشين"، وقال إسماعيل بن أبي خالد: "قلت للشعبي: رأيت قتادة؟ قال: نعم. رأيت دوارة القماش". انظر: تهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ ، ومعرفة الثقات للعجلي ٢١٥/٢ رقم (١٥١٣)، والتعديل والتجريح ١٢٠١/٣

(٦) تهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ .

عن كل أحد"[1]، وهذا الكلام لا يقدح في قتادة - فإنه إمام في الحفظ والعلم والتمييز بين الروايات المختلفة، وقد أثنى عليه السلف بهذا ومن ذلك كلام ابن المسيب الذي سبق ذكره، وسيأتي مزيد إيضاح في بيان حفظه في الفقرة التالية.

٤ - ما ذكر من حفظه، وثناء العلماء عليه:

اشتهر قتادة - وتميّز بقوة الحفظ وتمكّنه فيه، فقد روى عبدالرزاق عن معمر أنه قال: قال قتادة لسعيد[2]: "خذ المصحف فامسك عليّ"، قال: فقرأ سورة البقرة فما أسقط منها واوا ولا ألفا ولا حرفا، فقال: يا أبا النضر أحكمت؟ قال: نعم، قال: لأنا لصحيفة جابر أحفظ مني لسورة البقرة، وإنما قدمت عليه مرة واحدة قال: وكانت قرئت عليه!![3]"، وكان قتادة يقول: «ما سمعت أذناي شيئا قطّ إلا وعاه قلبي»[4]، وفي رواية "إلا حفظته"[5]، وقد شهد لقتادة بالحفظ أئمة الحديث ونقّاده، ومنهم شيوخه الذين تتلمذ عليهم فقد شهدوا له بذلك، ومن أقوالهم:

١ - قال ابن سيرين: "قتادة أحفظ الناس أو من أحفظ الناس"[6].

---

(١) تهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ ، والتعديل والتجريح ١٢٠١/٣ .

(٢) هو ابن أبي عروبة.

(٣) الطبقات الكبرى ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧)، والتاريخ الكبير ١٨٥/٧ رقم (٨٢٧)، وحلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨)، وتهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ .

(٤) حلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨)، وصفة الصفوة ٢٥٩/٣ ، وتهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢/١ رقم (١٠٧)، وسير أعلام النبلاء ٢٧٥/٥ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ ، وشذرات الذهب ٨٠/٢ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢/١ رقم (١٠٧)، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ ، وشذرات الذهب ٨٠/٢ .

٢- قال معمر: "جاء رجل إلى ابن سيرين، فقال: رأيت حمامة التقمت لؤلؤة، فخرجت منها أعظم مما دخلت! ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة، فخرجت أصغر مما دخلت! ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت كما دخلت سواء؟! فقال ابن سيرين: الحمامة الأولى: الحسن؛ يسمع الحديث فيجوده بمنطقه، ثم يصل فيه من مواعظه، والثانية: ابن سيرين يشك فيه فينقص منه، والثالثة قتادة: فهو أحفظ الناس"، وفي رواية قال: "ما رأيت أحفظ من قتادة"[(١)].

٣- قال أبو داود: ذكر سفيان لشعبة حديثاً لقتادة، فقال سفيان: "وكان في الدنيا مثل قتادة؟!"[(٢)].

٤- قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن حنبل - وذكر قتادة - فأطنب في ذكره، فجعل ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير وغير ذلك، وجعل يقول: "عالم بتفسير القرآن، وباختلاف العلماء، ووصفه بالحفظ، والفقه"، وقال: "قلّما تجد من يتقدمه أما المثل فلعلّ"[(٣)].

٥- وقال عنه الإمام أحمد أيضا: "وكان أحفظ أهل البصرة ولا يسمع شيئًا إلا حفظه، وقُرأت عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها، وكان من العلماء[(٤)]، وكان سليمان التيمي وأيوب يحتاجون إلى حفظه ويسألونه"[(١)].

---

(١) الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، وحلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨)، وتهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦)، وتهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧٥/٥ .

(٢) الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، وتهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦)، وتهذيب الكمال ٥٠٩/٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧٥/٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢/١ رقم (١٠٧).

(٣) الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، وانظر أيضا: تهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦)، وتهذيب الكمال ٥١٢/٢٣ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢/١ رقم (١٠٧)، وسير أعلام النبلاء ٢٧٥/٥ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦)، وتهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧٥/٥ ، ومغاني الأخيار ٤٧٤/٢ .

٦- ذكر ابن أبي حاتم: أن عمرو بن علي، قال: قلت لعبد الرحمن بن مهدى: حميد الطويل في حديث؟ فقال: "قتادة أحفظ من خمسين مثل حميد، قال ابن أبي حاتم: فسمعت أبي يقول: صدق ابن مهدى"[٢].

٧- عن بكر بن عبد الله المزني قال: "من سرّه أن ينظر إلى أحفظ من أدركنا في زمانه وأجدر أن يؤدي الحديث كما سمعه فلينظر إلى قتادة، ما رأيت الذي هو أحفظ منه، ولا أجدر أن يؤدي الحديث كما سمعه"[٣].

٨- قال النووي: "وأجمعوا على جلالته، وتوثيقه، وحفظه، وإتقانه، وفضله"[٤].

٩- قال الذهبي: "وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ"[٥].

١٠- عن ابن شوذب قال: قال رجل من أهل البصرة: "إن لم تجد إلا مثل عبادة ثابت، وحفظ قتادة، وورع ابن سيرين، وعلم الحسن، وزهد مالك بن دينار لا تطلب العلم"[٦].

وقد بيّنت الآثار الطرق التي كان قتادة يسلكها في الحفظ، فقد كان - في مجالس السماع حاضر القلب منتبه الذهن، فلم يكن ليشغل نفسه بشيء بحيث إذا فاته سماع الحديث في المرة الأولى طلب إعادته مرة أخرى، ومعلوم كما سبق بأن قتادة كان

---

(١) الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، وتهذيب الكمال ٥١٢/٢٣ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ .

(٢) الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، وتهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦)، وتهذيب الكمال ٥١٢/٢٣ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ .

(٣) الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، وحلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨)، وتهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦)، وتهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢/١ رقم (١٠٧)، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦).

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٢٧٤/٥ .

أعمى فلم يكن يكتب، ولذا كان معتمدا على ضبط الصدر(١)، فكان حريصا على ضبط ما يسمع من أول مرة، ومما أثر عنه أنه كان يقول: "تكرير الحديث في المجلس يذهب بنوره، وما قلت لأحد قطّ أعد علي"(٢)، وكان يقول أيضاً: "ما قلت لمحدث قطّ أعد عليّ"(٣).

ومما يدل أيضا على تقدم قتادة - في الحفظ واعتنائه به أنه كان يثقل عليه تكرار الحديث في المجلس، يقول - : "إعادة الحديث أشدّ من ثقل الصخر"(٤)، ومن الأسباب التي بها - بعد فضل الله ﷻ - تكونت هذه الحافظة القوية عند قتادة - اعتناؤه بالحفظ منذ الصغر ومما يؤثر عنه قوله: "الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر"(٥)، وعن طريقته في الحفظ يقول تلميذه مطر الوراق: "كان قتادة إذا سمع الحديث يختطفه اختطافا وكان إذا سمع الحديث يأخذه العويل والزويل حتى يحفظه"(٦)، فهذا كلّه يبيّن فضل هذا العالم الجليل الذي كان من حفاظ كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ فحفظ الله ﷻ به وبإخوانه هذا الدين.

---

(١) ضبط الصدر: هو أحد نوعي الضبط الذين يشترطان في راوي الصحيح، والمقصود به: أن يُثبِّت (الراوي) ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء. انظر: النكت على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ص ٨٣ .

(٢) مسند ابن الجعد ٥٢٤/٢ رقم (١٠٦٥)، والطبقات الكبرى ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧)، والتاريخ الكبير ١٨٥/٧ رقم (٨٢٧)، وحلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨)، وسير أعلام النبلاء ٢٧٤/٥ .

(٣) التعديل والتجريح ١٢٠١/٣ ، وشذرات الذهب ٨٠/٢ .

(٤) تهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ .

(٥) الطبقات الكبرى ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧)، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ .

(٦) حلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨)، وتهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ٢٦٩/٥ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ .

٥ - تمكنّه في اللغة العربية وعلم الأنساب:

ومع إمامة قتادة - في الحديث والتفسير فإنه أيضا كان إماما في اللغة وعلم الأنساب، قال الذهبي: "ومع حفظ قتادة وعلمه بالحديث كان رأسا في العربية واللغة وأيام العرب والنسب، قال أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة من أنسب الناس»[١]، ونقل القفطي[٢] في "تاريخه": "أن الرجلين من بني أمية كانا يختلفان في البيت من الشعر، فيبردان بريدا[٣] إلى العراق يسألان قتادة عنه"[٤]، قال ابن خلكان: قال أبو عبيدة: "ما كنا نفقد في كل يوم راكبا من ناحية بني أمية ينيخ على باب قتادة فيسأله عن خبر أو نسب أو شعر، وكان قتادة أجمع الناس"[٥].

وقد عُرف قتادة - بضبط الحديث؛ فإنه لم يكن يلحن فيه حتى إن هماما وهو ممن روى عنه يقول لتلميذه عفان: "أعربوا الحديث فإن قتادة لم يكن يلحن، وقال: إذا رأيتم في حديثي لحنا فقوموه"[٦].

وأما عن علم الأنساب فيقول ابن العماد في ترجمته لقتادة: "وهو أبو الخطاب، الضرير الأكمه، مفسّر الكتاب، آية في الحفظ، إماماً في النسب، رأساً في العربية واللغة

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٧٥/٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢/١ رقم (١٠٧)، ووفيات الأعيان ٨٥/٤ .

(٢) هو: علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد الشيباني القفطي، ولد سنة ٥٦٨هـ في الصعيد ونشأ بالقاهرة، وهو أحد الكتاب المشهورين المبرزين في النظم والنثر، وكانت له معرفة باللغة، والنحو، والفقه، والحديث، وعلوم القرآن، والأصول، والمنطق، والحكمة، والهندسة، والتاريخ، توفي سنة ٦٤٦ هـ. انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٧٥/١٥ .

(٣) البَريدُ: الرسولُ المُبْرَد على دَوابِّ البريد وإبرادُه: إرساله. كتاب العين ٢٩/٨ ، وانظر أيضا: تاج العروس من جواهر القاموس ٤١٨/٧ .

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٧٥/٥ .

(٥) وفيات الأعيان ٨٥/٤ .

(٦) انظر: الطبقات الكبرى ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧)، وسير أعلام النبلاء ٢٧٤/٥ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ ، والتعديل والتجريح ١٢٠١/٣ .

وأيام العرب"(١)، ومن الروايات التي بيّنت تمكّن قتادة في علم الأنساب ما رواه سعيد بن أبي عروبة - حيث قال: "حججت مع قتادة فعرض له في الطريق رجل من بني تميم فاستفتاه، فقال له قتادة: ممن الرجل؟ قال: من بني تميم، فقال قتادة: ولد تميم فلانا وفلانا وفلانا؟ قال: من فلان، فقال له: ولد فلانٌ فلاناً وفلانا فمن أيّهم أنت؟ فلم يزل ينتسب أباه حتى اضطره إلى أبيه"(٢).

٦ - عبادته:

كان قتادة - من العلماء العاملين - نحسبه والله حسيبه - وقد ذُكر من عبادته أنه كان يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة(٣)، ومع هذا فإن قتادة - يرى تفضيل العلم على نوافل العبادة إذا خلصت النية، ومما أثر عنه في ذلك قوله: «باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس أفضل من عبادة حول كامل»(٤).

٧- ورعه في الفتوى:

لقد تميّز قتادة - بتلقيه العلم من أفواه العلماء، وقد كان اهتمامه كبيرا بحفظ القرآن والحديث - وقد سبق الكلام عن حفظه وعلمه وثناء العلماء عليه - ومما ذكره - عن نفسه قوله: "ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا"(٥)، ولهذا لم يكن -

---

(١) شذرات الذهب ٨٠/٢ .

(٢) المجالسة وجواهر العلم ٤٠٥/٢٠ رقم (٢٨٢٩).

(٣) انظر: حلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨)، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، وصفة الصفوة ٢٥٩/٣ .

(٤) صفة الصفوة ٢٥٩/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ .

(٥) تفسير القرآن لعبدالرزاق الصنعاني ٢٥٥/١ رقم (٨)، وانظر: الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، وتهذيب الكمال ٥٠٩/٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي

ليفتي برأيه؛ بل كانت فتاواه مبنية على الأثر، ويدل على ذلك ما بلغنا من آثاره في تفسير القرآن وكذلك آراؤه الفقهية المستندة إلى أدلة القرآن والسنة، وقد عرف أهل الحديث هذا الفضل لقتادة - ولهذا كانوا يرجعون إليه فيما أشكل عليهم فيسألونه عنه، فعن أبي مسلمة، قال: "سمعت أبا قلابة، وسأله رجل عن شيء، فلم يقل فيه شيئا، فقال له: من أسأل.؟ أسأل فلانا؟ قال: لا. قال: أسأل قتادة؟ قال: نعم سل قتادة"[1].

وقد نُقلت عن قتادة - أقوالٌ متعددةٌ في بيان طريقته في الفتوى، قال أبو هلال: "سألت قتادة عن مسألة، فقال: لا أدري، فقلت: قل فيها برأيك، قال: ما قلت برأي منذ أربعين سنة، وكان يومئذ له نحوٌ من خمسين سنة"[2]، قال الذهبي - معلقاً -: قلت: "فدل على أنه ما قال في العلم شيئا برأيه"[3]، وقال أبو عوانة: سمعت قتادة يقول: "ما أفتيت برأي منذ ثلاثين سنة"[4]، وقال همام: سمعت قتادة يقول: "ما أفتيت بشيء من رأيي منذ عشرين سنة"» [5]، وهذا مما يدل على ورعه - وقوة حفظه، وعنايته بالتمسك بالكتاب والسنة، والبعد عن الرأي المذموم.

١٢٢/١ رقم (١٠٧)، وشذرات الذهب ٨٠/٢ .

(١) الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، وتهذيب الكمال ٥١٢/٢٣ .

(٢) أخرجه ابن الجعد في مسنده ٥٢٢/٢ رقم (١٠٥٧)، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧)، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٢٧٧/٢ ، والمزي في تهذيب الكمال ٥٠٩/٢٣ ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦) بنحوه، وفي مغاني الأخيار ٤٧٤/٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ .

(٤) أخرجه ابن الجعد في مسنده ٥٢٣/٢ رقم (١٠٥٨)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨)، والمزي في تهذيب الكمال ٥٠٩/٢٣ ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، وبدر الدين العيني في مغاني الأخيار ٤٧٤/٢ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، والمزي في تهذيب الكمال ٥٠٩/٢٣ ، وذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ١٢٢/١ رقم (١٠٧).

٨- شيوخه:

قتادة - من التابعين الذين أدركوا صغار الصحابة، وقد أسند عن جماعة منهم، فذُكر أنه روى عن:

١- أنس بن مالك رضي الله عنه.

٢- عبدالله بن سرجس رضي الله عنه[١].

٣- أبو الطفيل رضي الله عنه[٢].

قال ابن أبي حاتم: روى - أي قتادة - عن أنس بن مالك، وعبد الله بن سرجس، وأبي الطفيل[٣]، وقد ذكر أبو نعيم في الحلية بأنه روى أيضاً عن حنظلة الكاتب[٤]، إلا أن ابن أبي حاتم ذكر عن أبيه أن قتادة لم يلق من أصحاب النبي ﷺ إلا أنسا وعبد الله بن سرجس، ووجّه عدم ذكره لأبي الطفيل لأنه كان صبيا في عهد النبي ﷺ [٥]، ونقل ابن

---

(١) هو: عبد الله بن سرجس؛ بفتح المهملة، وسكون الراء، وكسر الجيم، وبعدها مهملة، المزني، المخزومي، - قال ابن عبد البر: أظنه حليفاً لهم - نزل البصرة، وحديثه عند أهلها، روى عنه عاصم الأحول، وقتادة. انظر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر ص ٤٣٨ رقم (١٤٩٧)، والثقات لابن حبان ٢٣٠/٣ ، وأسد الغابة لابن الأثير ٢٥٧/٣ رقم (٢٩٧١)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١٧٢/٦ رقم (٤٧٢٧).

(٢) هو: عامربن واثلة الكناني، وقيل عمرو بن واثلة، والأول أكثر وأشهر؛ ولد عام أحد، وأدرك من حياة النبي ﷺ ثماني سنين، نزل الكوفة وصحب علياً رضي الله عنه في مشاهده كلها، وكان ثقة مأمونا يعترف بفضل أبي بكر وعمر وغيرهما إلا أنه كان يقدم عليا، توفي سنة مائة وقيل: مائة وعشرا، وهو آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ. انظر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٨٢٦ رقم (٣٠٣٢)، والإصابة في تمييز الصحابة ٣٨٣/١٢ رقم (١٠١٩٦)، وأسد الغابة ١٤٣/٣ رقم (٢٧٤٧) .

(٣) حلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨).

(٤) الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦).

(٥) حلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨).

أبي حاتم أيضاً عن الإمام أحمد مثل ذلك، وأشار إلى أنه روجع[1] في ذلك حيث قيل له: فابن سرجس، قال ابن أبي حاتم: فكأنه لم يره سماعاً، وقال الحاكم: "لم يسمع قتادة من صحابي غير أنس"[2].

وعلى كلٍّ فإن هذه النقول تدل على أن قتادة - قد روى عن أنس بن مالك ﷺ يقينا، وروايته عنه لا تخفى فهي في الصحيحين وغيرهما، وأما روايته عن عبدالله بن سرجس، وأبي الطفيل، وحنظلة الكاتب % فهي موضع خلاف، وروايته عن غيرهم من الصحابة منقطعة كما سيأتي في ترجمته من الناحية الحديثية.

وأما بالنسبة لشيوخ قتادة من غير الصحابة فهم كثيرون، فقد روى عن عدد كبير من التابعين، ومن أشهرهم:

١- سعيد بن المسيب - .

٢- عكرمة (مولى ابن عباس).

٣- أبو الشعثاء جابر بن زيد - .

٤- حميد بن عبدالرحمن بن عوف - .

٥- الحسن البصري - .

٦- محمد بن سيرين - .

٧- عقبة بن عبد الغافر - .

٨- زرارة بن أوفى - .

٩- خلاس الهجري - .

١٠- عبد الله بن أبي عتبة - .

١١- صالح أبي الخليل - .

١٢- صفوان بن محرز - .

١٣- سالم بن أبي الجعد - .

---

(١) أي: الإمام أحمد.

(٢) انظر: تهذيب التهذيب ٣/٤٢٨ .

١٤- عطاء بن أبي رباح - .

١٥- أبو مجلز لاحق بن حميد - .

١٦- النضر وأبو بكر ابني أنس بن مالك ﷺ.

١٧- نصر ابن عاصم الليثي - .

١٨- أبو عثمان النهدي - .

١٩- أبو قلابة الجرمي - .

٢٠- أبو عيسى الأسواري - .

٢١- أبو بردة بن أبي موسى - .

٢٢- عامر بن شراحيل الشعبي - .

٢٣- عبد الله بن شقيق - .

٢٤- عزرة بن عبدالرحمن - .

٢٥- عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود - .

٢٦- مطرف بن عبدالله بن الشخير - .

٢٧- أبو السوار العدوي - .

٢٨- صفية بنت شيبة E .

٢٩- معاذة العدوية E .

٣٠- حفصة بنت سيرين E وغيرهم[١].

٩ - تلاميذه:

وأما عن تلاميذ قتادة فقد روى عنه جماعة من التابعين وأتباع التابعين، وهم متفاوتون في الرواية عنه فبعضهم أثبت من بعض، قال يحيى بن معين: "أثبت الناس في

(١) انظر: تهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦)، وتهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، و تهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ ، ومغاني الأخيار ٤٧٤/٢ .

قتادة سعيد بن أبي عروبة، وهشام، وشعبة، ومن حدّث من هؤلاء يحدث فلا يقال: إن لا تسمعه من غيره"[1]، ومن تلاميذ قتادة أيضاً:

١- سليمان التيمي - .

٢- حميد الطويل - .

٣- الأعمش - .

٤- أيوب السختياني - .

٥- معمر بن راشد - .

٦- الأوزاعي - .

٧- مسعر بن كدام - .

٨- عمرو بن الحارث المصري - .

٩- جرير بن حازم - .

١٠- شيبان النحوي - .

١١- همام بن يحيى - .

١٢- حماد بن سلمة - .

١٣- أبان العطار - .

١٤- سعيد بن بشير - .

١٥- سلام بن أبي مطيع - .

١٦- شهاب بن خراش - .

١٧- حسام بن مصك - .

١٨- خليد بن دعلج - .

١٩- سعيد بن زربى - .

٢٠- الصعق بن حزن - .

٢١- عفير بن معدان - .

---

(١) مغاني الأخيار ٢/٤٧٤ .

٢٢- موسى بن خلف العمي - .

٢٣- يزيد بن إبراهيم التستري - .

٢٤- أبو عوانة الوضاح - ، وأمم سواهم[١].

١٠- من طرائف ما روي عنه:

لقد رويت عدة آثار عن قتادة - فيها شيء من الطرافة، مما يدل على سماحته، وحسن معاشرته للناس مع ما بلغ من المكانة العظيمة بينهم، ومن تلك الروايات:

١- قول عفان: أهدى حسام بن مصك[٢] إلى قتادة نعلا، فجعل قتادة يحرّكها وهي تتثنى من رقتها، وقال: "إنك لتعرف سخف الرجل في هديته"[٣].

٢- قال ضمرة بن ربيعة[٤]، عن حفص، عن قائد لقتادة قال: "قدت قتادة عشرين سنة، وكان يبغض الموالي، ويقول: دباغين حجامين أساكفة، فقلت: ما يؤمنك أن يجيئ بعضهم فيأخذ بيدك، فيذهب بك إلى بئر فيطرحك فيها؟ قال: كيف قلت؟ فأعدت عليه، فقال: لا قدتني بعدها"[٥].

---

(١) انظر: التعديل والتجريح ١٢٠١/٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦)، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، وتهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ ، ومغاني الأخيار ٤٧٤/٢ .

(٢) هو: حسام بن مصك بن ظالم بن شيطان، أبو الصمصامة، ثم تكنى بعد بسهل، قال عنه الإمام أحمد: مطروح الحديث، مات سنة ثلاث وستين ومائة. انظر: الجرح والتعديل ٣١٧/٣ رقم (١٤١٩)، والكامل في ضعفاء الرجال ٤٣٣/٢ رقم (٥٤٦).

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ .

(٤) هو: ضمرة بن ربيعة الفلسطيني؛ أبو عبد الله الرملي، مولى على بن أبي حملة، قال الإمام أحمد: من الثقات المأمونين رجل صالح الحديث، لم يكن بالشام رجل يشبهه، مات في شهر رمضان من سنة اثنتين وثمانين ومائة. انظر: الجرح والتعديل ٤٦٧/٤ رقم (٢٠٥٢)، ومغاني الأخيار ١٢/٣ رقم (١١١٤).

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ .

٣- روى عبدالرزاق عن معمر قال: صكّ رجلٌ ابنا لقتادة فاستعدى عليه عند بلال بن أبي بردة[١] فلم يلتفت إليه، فشكاه إلى القسري[٢]، فكتب إليه: إنك لم تنصف أبا الخطاب! فدعاه، ودعا وجوه أهل البصرة يتشفعون إليه، فأبى أن يشفّعهم، فقال له: صكّه كما صكّك، فقال لابنه: يا بنيّ! احسر عن ذراعيك، وارفع يديك، وشدّ، قال: فحسر عن ذراعيه، ورفع يديه، فأمسك قتادة يده، وقال: قد وهبناه لله، فإنّه كان يقال: «لا عفو إلا بعد قدرة»[٣]، وهذه الحكاية تدل على إنصافه - وحرصه على إقامة العدل، والأخذ على يد الظالم.

٤- ما رواه ابن حبان عنه أنه قال: "ما نسيت شيئاً قط، ثم قال لغلامه: ناولني نعلي، قال: نعلك في رجلك"[٤]. وقد علّق الذهبي على هذه الرواية قائلاً: قلت: "هذه الحكاية غِيرة، فإن الدعاوي لا تثمر خيرا"[٥].

٥- قال المدائني: "سأل أعرابي على باب قتادة ثم ذهب، ففقدوا قدحا، قال: فحجّ قتادة بعد عشر سنين، قال"المدائني": فوقف عليهم أعرابي يسأل، فسمع قتادة كلامه فقال: هذا صاحب القدح فسألوه فأقر"[٦].

---

(١) هو: بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري؛ أمير البصرة وقاضيها، كان راوية فصيحا أديبا، ولاه خالد القسري سنة ١٠٩ هـ، فأقام إلى أن قدم يوسف ابن عمر الثقفي (سنة ١٢٥ هـ) فعزله وحبسه، فمات سجينا، وكان ثقة في الحديث، ولم تحمد سيرته في القضاء. انظر: تاريخ دمشق ٥٠٧/١٠ رقم (٩٧٧)، والأعلام للزركلي ٧٢/٢ .

(٢) هو: خالد بن عبدالله القسري.

(٣) حلية الأولياء ٣٣٣/٢ رقم (١٩٨).

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي ص ٦٣ ، والمجالسة وجواهر العلم ٢٤٢/١٨ رقم (٢٦٠٢)، وسير أعلام النبلاء ٢٧٥/٥ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٧٥/٥ .

(٦) المجالسة وجواهر العلم ٤٠٥/٢٠ رقم (٢٨٢٨)، وذكره النووي في تهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦).

٦- وروى المدائني أيضاً عن عثمان البتي أنه قال: "سلم رجل على قتادة فقال لي: انظر، أتراه أعور؟ قلت: نعم. هو أعور، قال: قل له: اسمك عمر؟ فقلت له، فقال: نعم. فقال: وبينك وبين عرّاف اليمامة نسب؟ قال: نعم. هو أبي، قال له قتادة: صدقت هو أخبرني أن له ابنا أعور اسمه عمر، فلما سمعت كلامك رأيت كلامك يشبه كلامه فعرفت أنك ابنه"(١).

٧- قال الحموي: ولقد قدم عليه - أي على قتادة - رجل من عند بعض الخلفاء من بني مروان فقال لقتادة: "من قتل عمراً وعامراً؟ فقال: قتلهما جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. قال: فشخص بها ثم عاد إليه فقال: أجل، قتلهما جحدر ولكن كيف قتلهما جميعاً؟ فقال: اعتوراه(٢) فطعن هذا بالسنان(٣) وهذا بالزج(٤)، فعادى بينهما"(٥).

١١- وفاته:

توفي قتادة - بعد أن ترك للأمة ميراثا عظيماً من الآثار المروية في تفسير القرآن، وكذلك رواياته لأحاديث النبي) ، وقد قدّر الله ﷻ أن يموت في إحدى رحلاته بواسط، يقول ابن عائشة عنه: مات بواسط، كان عند خالد بن عبد الله

(١) المجالسة وجواهر العلم ٤٦/٢١ رقم (٢٩٠١).

(٢) قال الزبيدي: تعاورنا فلانا ضربا، إذا ضربته مرة ثم صاحبك ثم الآخر. وقال ابن الأعرابي: *!التعاور *!والاعتوار: أن يكون هذا مكان هذا، وهذا مكان هذا. يقال: *!اعتوراه وابتداه، هذا مرة وهذا مرة، ولا يقال: ابتدأ زيد عمرا، ولا : اعتور زيد عمرا. تاج العروس من جواهر القاموس ١٦٤/١٣ .

(٣) قال ابن فارس: والسنان هو المسن. قال الشاعر: *سنان كحد الصلبي النحيض*، والسنان للرمح من هذا؛ لأنه مسنون، أي ممطول محدد. معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦١/٣ .

(٤) الزج: طرف المرفق. وهو أيضا: الحديدة التي في أسفل الرمح، والجمع زججة وزجاج. انظر: الصحاح في اللغة ٣٤١/١ ، وتهذيب اللغة ٤٢٩/٣ .

(٥) معجم الأدباء ٢٢٣٣/٥ رقم (٩١٤).

القسري[1]، وقد حزن أهل العلم وطلاب الحديث لموت قتادة حزنا عظيما، وقد وصف حماد بن زيد - شيئا من ذلك حيث قال: "كنا ننتظر قتادة أن يقدم فنسمع منه، فمات بواسط، فما رأيت أيوب حزن على أحد ما حزن عليه"[2].

وكما أنه قد حصل خلافٌ في مولد قتادة؛ فقد اختلف أيضا في سنة وفاته، فقيل: توفي سنة ١١٧هـ، وقيل: سنة ١١٨هـ، واختلف أيضاً في تحديد عمره عند وفاته فقيل: ست وخمسون، وقيل: سبع وخمسون، وهذا خلاف يسيرٌ جداً فليس الفارق بين الأقوال كبير.

ومن الأقوال التي رويت عن أهل العلم في تحديد سنة وفاة قتادة وعمره آنذاك ما رواه سليمان الباجي بإسناده عن حماد بن زيد أنه قال: "مات قتادة، وقيس بن سعد، وعبد الله بن أبي مليكة، ونافع سنة سبع عشرة ومائة"[3]، وقال ابن حبان: "مات بواسط، على قدر فيه سنة سبع عشرة ومائة، وهو ابن ست وخمسين سنة"[4]، وقال ابن أبي حاتم: "توفى بواسط في الطاعون، وهو ابن ست أو سبع وخمسين بعد موت الحسن بسبع سنين"[5]، وقال الذهبي: "مات بواسط في الطاعون سنة ثماني عشرة ومائة، وقيل: سنة سبع عشرة ومائة، وله سبع وخمسون سنة"[6]، وقد جاء في كتاب ابن نقطة أن"بانة" - بنت قتادة - ذكرت "أن أباها مات وهو ابن سبع وخمسين سنة"[7]، ولعل ابنة قتادة قد

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٨٠/٥ .

(٢) التاريخ الكبير ١٨٥/٧ رقم (٨٢٧).

(٣) التعديل والتجريح ١٢٠١/٣ .

(٤) الثقات لابن حبان ٣٢١/٥ .

(٥) الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، وتهذيب الكمال ٥١٢/٢٣ .

(٦) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢/١ رقم (١٠٧)، وانظر أيضاً: الطبقات الكبرى ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧)، وصفة الصفوة ٢٥٩/٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٥٧/٢ رقم (٦٦)، ووفيات الأعيان ٨٦/٤ ، وتهذيب الكمال ٥١٢/٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٨٠/٥ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ ، وشذرات الذهب ٨٠/٢ ، ومغاني الأخيار ٤٧٤/٢ .

(٧) انظر: حاشية الإكمال لابن ماكولا ١٧٨/١ ، وتوضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ٣٣٥/١ .

تحسم الخلاف في تحديد عمر أبيها عند وفاته، فهي الأقرب إليه، وقد روت عنه، وذكرها ابن مردوية في أولاد المحدثين[1].

نسأل الله ﷻ أن يتغمد الإمام قتادة بن دعامة السدوسي بواسع رحمته.



(١) انظر: حاشية الإكمال لابن ماكولا ١/١٧٨ ، وتوضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ١/٣٣٥ ، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ١/٥٨ .

ثانيا: ترجمته من الناحية الحديثية:

١ - مكانته عند المحدثين.

٢ - حاله من حيث الرواية.

٣ - ما ذكر من تدليسه.

٤ - بعض ما نقل عنه مما يتعلق بمباحث علم الحديث:

أ- بداية اهتمامه بذكر الإسناد.

ب- رأيه في كتابة الحديث.

ج- معرفته بالرجال.

د- ما نقل عنه من آداب التحديث.

١ - مكانته عند المحدثين:

لقد بلغ قتادة عند المحدثين مبلغا عظيما، إذ كان - من أحفظ الناس لحديث رسول الله ﷺ ، وقد سبق بيان حفظه وثناء العلماء عليه، ولعظم مكانته وعلو مترلته عند أهل الحديث فإنهم كانوا يفضلونه على أقرانه حتى ذكروا بأنه كان من أفقههم، ومما ورد في ذلك:

١-ما رواه ابن أبي حاتم قال: سمعت أبي يقول: "أكثر أصحاب الحسن: قتادة، وأثبت أصحاب أنس: الزهري ثم قتادة، وقال أيضاً: سمعت أبا زرعة يقول: قتادة من أعلى أصحاب الحسن، قيل له يونس ابن عبيد؟ قال: ثم يونس"[١].

٢-وقال ابن أبي حاتم أيضا: "سألت أبي؛ قلت: قتادة عن معاذة أحب إليك أو أيوب عن معاذة؟ فقال: قتادة إذا ذكر الخبر، وقتادة أحب إلي من يزيد الرشك"[٢].

٣-وقال سفيان: كان معمر يقول: "لم أر من هؤلاء أفقه من الزهري وحماد وقتادة"[٣].

٤-وقيل للزهري: "أقتادة أعلم عندكم أو مكحول؟ قال: لا بل قتادة، ما كان عند مكحول إلا شيء يسير"[٤].

---

(١) الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، والتعديل والتجريح ١٢٠١/٣ .

(٢) الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، والتعديل والتجريح ١٢٠١/٣ ، وانظر أيضا: تهذيب الكمال ٥١٢/٢٣ .

(٣) الجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، وتهذيب الكمال ٥٠٩/٢٣ .

(٤) الطبقات الكبرى ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧)، والتاريخ الكبير ١٨٥/٧ رقم (٨٢٧)، والجرح والتعديل ١٣٣/٧ رقم (٧٥٦)، وتاريخ دمشق ٢١٨/٦٠ ، وتهذيب الكمال ٥٠٩/٢٣ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢/١ رقم (١٠٧)، سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ ، ومغاني الأخيار ٤٧٤/٢ .

٢- حاله من حيث العدالة والرواية:

وأما عن حال قتادة - من حيث العدالة والرواية فإنه كان ثقة، مأمونا، حجة في الحديث، إلا أنه كان مدلسا - وسيأتي الحديث عن تدليسه - ومما قيل في بيان عدالته:

١-ما قاله العجلي - : "تابعي، ثقة، وكان ضرير البصر"[١].

٢-قول ابن سعد: "وكان ثقة، مأمونا، حجة في الحديث"[٢].

٣-قول المزي: وقال أبو طالب سألت أحمد بن حنبل قلت: "ثابت أثبت أو قتادة؟ قال: ثابت يتثبت في الحديث، وكان يقص، وقتادة كان يقص، وكان أذكر، وكان محدثا من الثقات المأمونين، صحيح الحديث"[٣].

٤-قول الذهبي عنه: "حافظ ثقة ثبت، لكنه مدلس: ورمي بالقدر، قاله يحيى بن معين، ومع هذا فاحتج به أصحاب الصحاح، لا سيما إذا قال: حدثنا"[٤].

٥-قول ابن خلكان: "كان تابعيا، وعالما كبيرا"[٥].

٦-قول ابن حجر: "قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي؛ أبو الخطاب البصري، ثقة، ثبت"[٦].

٣- ما ذكر من تدليسه:

تقدمت الإشارة إلى ما انتقد على قتادة - من التدليس في الرواية، فإنه عفا الله عنه قد اشتهر به، وتدليسه تدليس الإسناد[١] فقد كان يروي ما سمعه بواسطة عمّن لم يسمع منه بلفظ يوهم السماع، قائلا: قال فلان، وممن أثبت ذلك عنه:

---

(١) معرفة الثقات ٢/٢١٥ رقم (١٥١٣).

(٢) الطبقات الكبرى ٩/٢٢٨ (٣٩٦٧).

(٣) تهذيب الكمال ٤/٣٤٦ .

(٤) ميزان الاعتدال ٣/٣٨٥ رقم (٦٨٦٤).

(٥) وفيات الأعيان ٤/٨٥ .

(٦) تقريب التهذيب ص ٣٨٩ رقم (٥٥١٨).

١- ابن حبان حيث قال في ترجمته: "وكان مدلسا"[٢].

٢- عفّان بن مسلم، قال: "كان قتادة يقيس على قول سعيد بن المسيب ثم يرويه عن سعيد بن المسيب، قال: وذاك قليل"[٣].

٣- وقال الذهبي: "وكان قتادة معروفا بالتدليس"[٤].

ومن شدة حرص أهل الحديث على حماية السنة والذب عنها فقد قاموا بتحرير ما يرويه قتادة وتنقيته؛ فميّزوا بين ما سمعه من شيوخه مما لم يسمعه، يقول شعبة: كنت أعرف إذا جاء ما سمع قتادة مما لم يسمع؛ كان إذا جاء ما سمع يقول: حدثنا أنس، حدثنا الحسن، حدثنا سعيد، حدثنا مطرف، وإذا جاء ما لم يسمع يقول: قال سعيد بن جبير، قال أبو قلابة، قال أبو بكر،/ وقال ابن مهدي: سمعت شعبة يقول: "كنت أنظر إلى فم قتادة كيف يقول؛ فإذا قال: حدثنا يعني: كتبت"[٥].

ومن أمثلة ما نقل عن أهل العلم في تحرير ما سمعه قتادة مما لم يسمعه ما ذكره المزي - قال: قال شعبة: "لم يسمع قتادة من أبي العالية إلا ثلاثة أشياء، قال: قلت ليحيى: عدّها، قال: قول علي القضاة ثلاثة، وحديث يونس بن متى، وحديث لا صلاة بعد العصر"، وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: "قال لي يحيى بن معين: قتادة لم يسمع من أبي الأسود الديلي ولكن من ابنه أبي حرب"، وقال أيضاً: سمعت يحيى بن معين يقول: "لم يسمع قتادة من سليمان بن يسار، وقال: لم يدرك قتادة سنان بن سلمة"، وقال أيضا:

---

(١) التدليس ثلاثة أقسام: الأول تدليس الإسناد: بأن يروي عمّن عاصره أو لقيه ما لم يسمعه منه موهما سماعه، والثاني تدليس التسوية: بأن يسقط غير شيخه كأن يسقط شيخ شيخه أو أعلى منه لكونه ضعيفاً، الثالث: تدليس الشيوخ: بأن يسمي شيخه أو يكنيه أو يصفه بما لم يعرف. انظر: تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للحافظ السيوطي ٢٥٦/١ وما بعدها.

(٢) الثقات لابن حبان ٣٢١/٥ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧).

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢/١ رقم (١٠٧).

(٥) الطبقات الكبرى ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧)، والتعديل والتجريح ١٢٠١/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧٤/٥ .

"قتادة لم يسمع من مجاهد شيئا،..."(١)، وقال الإمام أحمد أيضا: "ولم يسمع من عبدالله بن الحارث الهاشمي، ولا من القاسم، ولا سالم، ولا سعيد بن جبير، ولا من عبدالله بن مغفل"(٢)، الخ ما نقل في ذلك.

٤ - بعض ما يتعلق بمباحث علم الحديث:

من خلال ما سبق من ترجمة قتادة - فقد تبيّن أنه إمام من أئمة أهل الحديث، حافظ، متقن، شديد العناية بهذا العلم، وقد وردت عنه آثار متعددة مما قد تعدّ من الأصول في علم رواية الحديث، وسأذكرها معنونا لها كالتالي:

أ- بداية اهتمامه بذكر الإسناد:

مما ذُكر عن قتادة - أنه في أول تحديثه كان إذا حدّث لا يذكر الإسناد، يقول معمر - : "وكنا نجالس قتادة ونحن أحداث؛ فنسأل عن السند، فيقول مشيخة حوله: مه!! إن أبا الخطاب سند، فيكسرونا عن ذلك"(٣).

وقد ذكر شعبة - أثرا عن قتادة فيه بيان السبب الذي من حينه بدأ بذكر الإسناد، قال شعبة: "كان قتادة يغضب إذا أوقفته على الإسناد، فحدّثته يوما بحديث فأعجبه، فقال: من حدّثك ذا فقلت فلان، عن فلان فكان بعد..."(٤) - أي كان بعد ذلك يخبر بالإسناد - ، وذكر ابن سعد سببا آخر فقال - : "فلما قدم حماد بن أبي سليمان البصرة وجعل يقول: حدثنا إبراهيم، وفلان، وفلان، بلغ ذلك قتادة فأخبر بالإسناد"(٥).

(١) تهذيب الكمال ٥١٢/٢٣ .

(٢) تهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٥ /٢٦٩ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ .

(٥) انظر: الطبقات الكبرى ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧).

ب- رأيه في كتابة الحديث:

قال أبو هلال: "قيل لقتادة: يا أبا الخطاب أنكتب ما نسمع؟ قال: وما يمنعك أحد أن تكتب! وقد أنبأك اللطيف الخبير أنه قد كتب وقرأ: M% & ' ( ) * + , L [طه: ٥٢] "[١].

ج- معرفته بالرجال:

قال همام: «دخل أبو داود الأعمى على قتادة، فلما قام قالوا: إن هذا يزعم أنه لقي ثمانية عشر بدرياً، فقال قتادة: هذا كان سائلاً قبل الجارف؛ لا يعرض في شيء من هذا، ولا يتكلم فيه، فوالله ما حدثنا الحسن عن بدري مشافهة، ولا حدثنا سعيد بن المسيب عن بدري مشافهة إلا عن سعد بن مالك»[٢].

د- ما نقل عنه من آداب التحديث:

روى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة أنه قال: «إذا حدّثت الحديث في مجلسٍ مراراً ذهب ضوءه، وقال أيضا: إذا حدثت بالليل فاخفض من صوتك، وإذا حدثت بالنهار فالتفت عن يمينك وشمالك»[٣].



---

(١) الطبقات الكبرى ٢٢٨/٩ (٣٩٦٧)، وتهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥.

(٢) صحيح مسلم ص ١٣ .

(٣) المجالسة وجواهر العلم ٣٠٨/٣ رقم (٤٦٨).

المبحث الثاني:
عقيدة الإمام قتادة ومنهجه، وتحرير ما نسب إليه في مسألة القدر.

أولا: عقيدته ومنهجه:

لقد سبق في الترجمة الشخصية والعلمية ذكر ثناء أهل العلم على قتادة - ، ومن ذلك قول الإمام أحمد عنه: "عالم بتفسير القرآن، وباختلاف العلماء، ووصفه له بالحفظ والفقه، وقوله: "قلّما تجد من يتقدمه أما المثل فلعلّ"[1]، وكذلك قول سفيان الثوري: "وكان في الدنيا مثل قتادة؟!"[2]، وهذا الثناء فيما يتعلق بحفظه وعلمه، وأما عن عقيدته فقد كان - على عقيدة أهل السنة والجماعة إلا أنه قد رمي بالقول بنفي القدر - وسيأتي تحرير ذلك - ، وفيما يلي سأورد بعض الآثار التي توضّح عقيدة قتادة ومنهجه إجمالا، وذلك من خلال مواقفه مما كان في زمنه من بعض العقائد والفرق التي خالفت عقيدة أهل السنة والجماعة:

أ- موقفه من الخوارج[3] والسبئية[4]:

(١) تقدم تخريجه. انظر: ص ٢٥ .

(٢) تقدم تخريجه. انظر: ص ٢٥ .

(٣) الخوارج: جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج، وقد عرفهم علماء الفرق بعدة تعريفات؛ منها قول الشهرستاني: بأنهم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان، والأئمة في كل زمان، وللخوارج أسماء أخرى منها: الحرورية، والشراة، والمارقة، وهم فرق كثيرة أوصلها بعضهم إلى عشرين فرقة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/١٣١ ، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني ١/٥٧ ، والخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها لغالب العواجي.

(٤) السبئية: أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي ﷺ: أنت أنت! يعني: أنت الإله، فنفاه إلى المدائن، زعموا أنه كان يهوديا فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون: وصي موسى (مثل ما قال في علي ﷺ وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي ﷺ ، ومنه انشعبت أصناف الغلاة. الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٠٤ .

١) قال معمر: وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية: M u v w x y L [آل عمران: ٧] قال: «إن لم تكن الحرورية[1]، أو السبئية، فلا أدري من هم...»[2].

٢) وعن سعيد بن بشير، عن قتادة قال: «ما سبّ أحد عثمان إلا افتقر»[3].

ب- موقفه من المرجئة[4]:

٣) قال الأوزاعي: قد كان يحيى و قتادة يقولان: «ليس من الأهواء شيء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء[5]»[1].

---

(١) الحرورية: اسم من أسماء الخوارج، وسبب تسميتهم بهذا الاسم: نسبة إلى حروراء؛ المكان الذي خرج فيه أسلافهم على علي ﷺ وهو قرب الكوفة. انظر: الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي ص ٧٤ ، وقد وردت تسمية الخوارج بهذا الاسم على لسان عائشة " ، فعن معاذة 8أن امرأة سألت عائشة، فقالت: أتقضي إحدانا الصلاة أيام محيضها؟ فقالت عائشة: أحرورية أنت؟!! قد كانت إحدانا تحيض على عهد رسول الله ﷺ ثم لا تؤمر بقضاء7. أخرجه البخاري: كتاب الحيض - باب لا تقضي الحائض الصلاة - حديث رقم (٣٢١)، وأخرجه مسلم: كتاب الحيض - باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة - حديث رقم (٣٣٥).

(٢) تفسير القرآن ١/٣٨١ رقم (٣٧٥)، وإسناده صحيح. سيأتي في حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٥/٢٠٧ ، وسيأتي ذكره تاماً. انظر: الأثر رقم (٨٠٣).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧/١٣٤٤ رقم (٢٣٩٧).

(٤) المرجئة: فرق كثيرة وإجمالا هم ثلاثة أصناف: الصنف الأول: الذين يقولون الإيمان مجرد ما في القلب، والثاني: الذين يقولون الإيمان مجرد قول اللسان وهم الكرامية، والثالث: الذين يقولون الإيمان تصديق القلب وقول اللسان. انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/١٩٧ ، والإيمان لابن تيمية ص ١٥٦ .

(٥) الإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: M b c d L [الأعراف: ١١١] أي أمهله وأخره؛ فالمرجئة كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، والمعنى الثاني للإرجاء: إعطاء الرجاء، وهذا كقولهم: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة. انظر:

٤) وروى أبو هلال، عن قتادة قال: «إنما أحدث الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث»[٢].

٥) وقال أبو طالب المكي: قال قتادة: «لعن الله ديناً أنا أكبر منه، وإنما ظهر الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث يعني في ولاية الحجاج»[٣].

ج- موقفه من المعتزلة[٤]:

٦) قال ابن خلكان عن قتادة: «وكان يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد، فدخل مسجد البصرة فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت أصواهم، فأمّهم وهو يظن أنها حلقة الحسن، فلما صار معهم عرف أنها ليست هي ، فقال: إنما هؤلاء المعتزلة، ثم قام عنهم، فمنذ يومئذ سموا المعتزلة» [٥].

الملل والنحل ١٦١/١ .

(١) السنة لعبد الله بن أحمد ٣١٨/١ رقم (٦٤١) وقال: رجاله ثقات، وفي حلية الأولياء ٦٧/٣ .

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد ٣١٩/١ رقم (٦٤٤)، وأخرج اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٠٧٤/٦ رقم (١٨٤١) من طريق أبي هلال مثله. وسيأتي ذكره. انظر: الأثر رقم (٨٠٧).

(٣) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ٢٣٠/٢ رقم (٢٦٢٧). وسيأتي ذكره. انظر: الأثر رقم (٨٠٩).

(٤) المعتزلة: اسم فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين سنة ١٠٥هـ وسنة ١١٠هـ بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء الغزال، يطلقون على أنفسهم أنهم أصحاب العدل والتوحيد، ولهم أصول خمسة؛ الأول: التوحيد ويعنون به نفي الصفات، والثاني: العدل ويقصدون به نفي خلق الله ﷻ لأفعال العباد، والثالث: الوعد والوعيد وهو أنهم يوجبون على الله ﷻ إنفاذ وعده ووعيده، والرابع: القول بالمترلة بين المترلتين وهي مسألة تتعلق بحكم صاحب الكبيرة فيقولون ليس بمؤمن ولا كافر وإنما هو في مترلة بين المترلتين، وهذا في الدنيا أما إن مات و لم يتب فهو مخلد في النار، والخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه وجوب الخروج على السلطان الجائر. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٥٦/١ ، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام لغالب العواجي ١١٦٢/٣ .

(٥) وفيات الأعيان ٨٥/٤ ، وسيأتي ذكره. انظر الأثر رقم (٨١٢).

د- بعض ما اتهم به وهو منه براء:

٧) قال الذهبي: وقال عفان: قال لنا قيس بن الربيع: «قدم علينا قتادة الكوفة، فأردنا أن نأتيه فقيل لنا: إنه يبغض عليا ﷺ فلم نأته، ثم قيل لنا بعد: إنه أبعد الناس من هذا، فأخذنا عن رجل عنه»(١).

التعليق:

إن هذه الآثار فيها دلالة واضحة على حرص قتادة - على التمسك بالسّنة ومجانبة الأهواء والبدع، وهذا مما يدل على أن ما رمي به من القول بنفي القدر - إن ثبت عنه - فإنه من الزلّات التي قد يقع فيها بعض أهل العلم، وليس كحال أهل الأهواء الذين يقتحمون البدع ويقدّمون أهواءهم على الكتاب والسنة، وسيأتي في الباب الثالث بيانٌ أوسع لمنهجه وعقيدته من خلال الحديث عما أثر عنه في الحث على التمسك بالكتاب والسنة واجتناب الأهواء والبدع.



(١) سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩ .

ثانيا: تحرير ما نسب إليه في مسألة القدر:

لقد كان قتادة - متمسّكا بالكتاب والسنة شديد الاعتناء بهما، فقد حرص - من بداية طلبه للعلم على تلقّيه من أهله ممّن لقي من الصحابة و التابعين، فأخذ عنهم تفسير القرآن، ورواية الحديث، فهو من أحفظ الناس لحديث رسول الله ﷺ ، وبخصوص التفسير كان يقول: «ما من آية إلا وسمعت فيها شيئا» [١]، ولهذا كانت عقيدته - مستمدة من الكتاب والسنة، إلا أنه مع ذلك لم يسلم من الرمي ببدعة فقد رمي بنفي القدر، وهذا المعتقد السيئ كان قد نبت ببلاد العراق[٢] منشأ قتادة على يد الضال معبد الجهني رأس القدرية[٣]، فرمي بالقول بنفي القدر كثير من أهل العلم في تلك البلاد ومنهم قتادة - ، وفيما يلي من فقرات عرضٌ لأقوال قتادة في القدر وما رواه عن شيوخه فيه، وكذلك ما أثر من مواقف السلف منه، لعله يتضح بذلك ثبوت ما رمي به أو نفيه عنه:

---

(١) شذرات الذهب ١/١٥٤ .

(٢) العراق: لغةً شاطئ البحر، وسمي العراق بذلك لأنه على شاطئ دجلة والفرات ...وقيل: لأنه مأخوذ من عراقي الدلو، وحد أرض العراق ما بين الخزر إلى السواد؛ فسواد الكوفة كسكر إلى الزاب إلى عمل حلوان إلى القادسية، وسواد البصرة الأهواز وفارس ودهستان، والعراق وسط الدنيا ومستقر الممالك الجاهلية والإسلامية، وعين الدنيا، وفيه الدجلة والفرات، وهو اليوم: إحدى دول غرب القارة الآسيوية المطلة على الخليج العربي، يحده من الجنوب الكويت والمملكة العربية السعودية، ومن الشمال تركيا، ومن الغرب سوريا والأردن، ومن الشرق إيران.. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/٩٣ .

(٣) القدرية: طائفة مبتدعة تكلّمت في القدر وهم طائفتان: الأولى: القدرية النفاة وهؤلاء غلاتهم كانوا ينفون العلم، وقد ظهروا في أواخر زمن الصحابة، وقد كفرهم ابن عمر وغيره، والقسم الثاني: الذين يثبتون العلم والكتابة وينفون مشيئة الله ﷻ وخلقه لأفعال العباد، وقد أخذ بهذا المعتقد كلٌّ من: المعتزلة، والرافضة، والزيدية، والفرقة الثانية من القدرية: هم الجبرية الذين يقولون بأن العباد مجبورون على أفعالهم، وأن الله ﷻ يفعل لغير حكمة، وهذه هي عقيدة الجهمية في باب القدر. انظر: الملل والنحل ص ٥٦ .

أ- ما أثر عنه في إثبات القدر:

١) روى ابن بطة بإسناده عن سعيد بن أبي عروبة: «أن رجلا جاء إلى قتادة فقال: يا أبا الخطاب ما تقول في القدر؟ فقال: رأي العرب أعجب إليك أم رأي العجم؟! قال: رأي العرب، قال: إن العرب لم تزل في جاهليتها وإسلامها تثبت القدر، ثم أنشده بيتا من شعر»(١).

ب- ما أثر عنه في نفي القدر:

٢) قال اللالكائي: وقال قتادة: «الأشياء كلها بقدر إلا المعاصي»(٢).

٣) قال الذهبي: قال وكيع: كان سعيد بن أبي عروبة وهشام الدستوائي وغيرهما يقولون: قال قتادة: «كل شيء بقدر إلا المعاصي» (٣).

ج- ما نقله عن شيوخه في إثبات القدر:

٤) روى ابن أبي حاتم عن قتادة عن مسلم بن يسار قال: «الكلام في القدر واديان عريضان يهلك الناس، لا يدرك غورهما، فاعمل عمل رجل يعلم أنه لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكّل رجل يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له»(٤).

٥) وقال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة: سألت سعيد بن المسيب عن القدر فقال: «ما قدر الله فقد قدره »(٥) ، وفي رواية أخرى عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال:

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٢/٢١٩ رقم (١٧٩٢).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/٧٧٤ رقم (١٢٩٦).

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/٢٧٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١/١٢٢ رقم (١٠٧).

(٤) تفسير ابن أبى حاتم ٦/١٨١١ رقم (١٠٣١٥)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٢/٣١٠ رقم (١٩٨٩).

(٥) مصنف عبد الرزاق ١١/١٢٦ رقم (٢٠١٠١)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه عبد الله بن في السنة ٢/٤٠٦ رقم (٨٨٣)، وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٢/٢٢١ رقم (١٧٩٩).

«سألت سعيد بن المسيب عن القدر، فقال: «ما قدر فقد قدر، وما لم يقدر فلم يقدر»[1].

٦) وروى عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة، عن الحسن، قال: «من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن»[2].

د- ما نقله عن شيوخه من القول بنفي القدر:

٧) قال الذهبي: نقل أحمد الآبار في "تاريخه" قال: حدثنا مؤمل بن إهاب، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن الحسن، قال: «الخير بقدر، والشر ليس بقدر. قال الذهبي: قلت: قد رمي قتادة بالقدر»[3].

ه- من أثبت عنه القول بنفي القدر:

٨) روى الفسوي بإسناده عن ابن شوذب قال: «ما كان قتادة يرضى حتى يصيح به صياحا يعني: القدر» [4].

٩) وقال عنه الذهبي: "وكان يرى القدر،... ومع هذا الاعتقاد الرديء ما تأخر أحد عن الاحتجاج بحديثه سامحه الله"[5].

١٠) قال ابن بطة: حدثنا أبو عبد الله المتوثي، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا الحسن بن علي، قال: حدثنا يزيد، قال: "كان سليمان التيمي يغلو في القول على القدرية، وكان يتكلم، وأما أيوب ويونس وابن عون فإنهم كانوا لا يتكلمون في شيء من

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧٧٤/٤ رقم (١٢٩٥).

(٢) تفسير القرآن لعبدالرزاق الصنعاني ٢٤٠/٢ رقم (١٣٩١)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة ٤٢٥/٢ رقم (٩٣٤).

(٣) سير أعلام النبلاء ٥٨٣/٤ .

(٤) المعرفة والتاريخ للفسوي ٢٧٧/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧٥/٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢/١ رقم (١٠٧).

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢/١ رقم (١٠٧).

الكلام، قال أبو داود: يعني لا يجادلون، ولا يخاصمون، وأما قتادة، وسعيد، وهشام الدستوائي فإن هؤلاء كانوا يسكتون، و لم يكونوا يتكلمون فيه"(١).

١١) قال العيني: "ورمي بالقدر، قاله يحيى بن معين، ومع هذا فاحتج به أرباب الصحاح، ولاسيما إذا قال: حدثنا. روى له الجماعة، وأبو جعفر الطحاوى"(٢).

١٢) قال ابن سعد: "وكان يقول بشيء من القدر"(٣).

١٣) قال أبو موسى إسحاق الجوزجاني: "كان قوم يتكلمون في القدر احتمل الناس حديثهم لما عرفوا من اجتهادهم في الدين والصدق والأمانة، لم يتوهم عليهم الكذب، وإن بلوا بسوء رأيهم، فمنهم: قتادة، ومعبد الجهني، وهو رأسهم"(٤).

و- من أثبت عنه القول بنفي القدر مع إثباتِه رجوعَه عنه:

١٤) قال الذهبي: قال أحمد بن حنبل: "كان قتادة وسعيد يقولان بالقدر ويكتمان، قلت: لعلهما تابا ورجعا عنه كما تاب شيخهما"(٥).

١٥) قال ياقوت الحموي: "وكان يقول بشيء من القدر ثم رجع عنه"(٦).

ز- من نفى عنه القول بنفي القدر:

١٦) قال ابن المقرئ: حدثنا محمد، قال: سمعت أبا داود يعني السجستاني يقول: "ما صح عندنا القدر عن قتادة"(٧).

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٢/٢٢٤ رقم (١٨١٠).

(٢) مغاني الأخيار ٢/٤٧٤ .

(٣) الطبقات الكبرى ٩/٢٢٨ (٣٩٦٧).

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٦/٢٠١ ، وورد في مختصر تاريخ دمشق ٢٥/١١٦ من قول إبراهيم بن يعقوب السعدي.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/٥٨٣ .

(٦) معجم الأدباء ٥/٢٢٣٣ رقم (٩١٤).

(٧) معجم ابن المقرئ ٢/٤٥ رقم (١٨٣).

ح- ذمّه للقدرية:

١٧) قال اللالكائي - : أخبرنا الحسن بن عثمان، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن زياد، قال: ثنا عبد الله بن روح، قال: ثنا شبابة، قا : ثنا الحكم بن عمر، قال: أرسلني خالد بن عبد الله إلى قتادة وهو بالجيزة(١) أسأله عن مسائل، فكان فيما سألته، قلت: أخبرني عن قول الله: M + , - . / وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ L [الحج: ١٧] هم مشركو العرب؟ قال: «لا. ولكنهم الزنادقة المباينة الذين جعلوا لله شركاء في خلقه، فقالوا: إن الله يخلق الخير، وإن الشيطان يخلق الشر، وليس لله على الشيطان قدرة»(٢).

ط- مواقف العلماء منه بخصوص هذه المسألة:

١٨) روى اللالكائي بإسناده عن حنظلة بن أبي سفيان، قال: «كنت أرى طاووس إذا أتاه قتادة يفر منه، وكان قتادة يرى القدر»(٣).

١٩) روى ابن بطة بإسناده عن معاذ بن معاذ، قال: «جاء الأشعث بن عبد الملك إلى قتادة، فقال: من أين؟ لعلك دخلت في هذه المعتزلة، قال: قال له رجل: إنه لزم الحسن ومحمداً، قال هي ها الله إذا فالزمهما»(٤).

٢٠) روى اللالكائي بإسناده عن مالك قال: «أي رجل معمر! لولا أنه يرى تفسير قتادة»(٥).

---

(١) الجيزة: بلدة تقع غربي فسطاط مصر. انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٠٠ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/٧٧٤ رقم (١٢٩٧)، وتاريخ دمشق ١٥/٣٣ من طريق عبد الله بن روح به مثله إلا أنه قال: الزنادقة المنانية بدلا من المباينة.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/٧٠٤ رقم (١١٤٣)، وسير أعلام النبلاء ٥/٢٧٥ ، ، و تهذيب الكمال ٢٣/٥٠٩ .

(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٢/٣٠٥ رقم (١٩٧٦).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/٧٠٥ رقم (١١٤٥)، قال شيخ الإسلام معلقا على على كلام الإمام مالك: "وقتادة ثقة حافظ في نفسه، ورواية معمر عنه صحيحة وإن كان

٢١) قال الذهبي: قال ابن المديني: قلت ليحيى بن سعيد: "إن عبدالرحمن يقول: اترك من كان رأسا في بدعة يدعو إليها، قال: فكيف يصنع بقتادة، وابن أبي رواد، وعمر بن ذر وذكر قوما، ثم قال يحيى: إن ترك هذا الضرب ترك ناسا كثيرا"(١).

٢٢) قال الذهبي: أبو سلمة المنقري: حدثنا أبان العطار، قال: ذكر يحيى بن أبي كثير عند قتادة، فقال: متى كان العلم في السماكين، فذكر قتادة عند يحيى، فقال: "لا يزال أهل البصرة بشر ما كان فيهم قتادة"(٢) ، قال الذهبي: "قلت: كلام الأقران يطوى ولا يروى، فإن ذكر تأمله المحدث، فإن وجد له متابعا، وإلا أعرض عنه"(٣).

٢٣) قال العجلي: "وكان يتهم بقدر، وكان لا يدعو إليه، ولا يتكلم فيه، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي، عن فضيل بن عياض قال: قيل لطاووس: هذا قتادة يأتيك، قال: لئن جاء لأقومن، قيل: إنه فقيه، قال: إبليس أفقه منه، قال: رب بما أغويتني"(٤).

٢٤) قال ابن خلكان: وقال معمر: سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى: K M L N M O L [الزخرف: ١٣] فلم يجبني، فقلت: إني سمعت قتادة يقول: مطيقين، فسكت، فقلت له: ما تقول يا أبا عمرو فقال: حسبك قتادة، فلولا كلامه

مالك أنكر ذلك لأجل القدر". الرد على البكري ص: ٧٤ ، وقال الذهبي: "قلت: يظهر على مالك الإمام إعراض عن التفسير، لانقطاع أسانيد ذلك، فقلما روى منه، وقد وقع لنا جزء لطيف من التفسير منقول عن مالك". سير أعلام النبلاء ٩/٧ .

(١) سير أعلام النبلاء ٢٧٥/٥ ، وتهذيب الكمال ٥٠٩/٢٣ ، وتهذيب التهذيب ٤٢٨/٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٧٥/٥ .

(٣) المصدر السابق ٥/ ٢٧٥ .

(٤) معرفة الثقات ٢١٥/٢ رقم (١٥١٣).

في القدر - وقد قال ﷺ : ""إذا ذكر القدر فأمسكوا ""[1]- لما عدلت به أحدا من أهل دهره"[2].

التعليق:

من خلال هذا العرض للآثار الواردة عن قتادة في مسألة القدر من حيث الإثبات أو النفي ، والنظر في ذلك والمقارنة نجد التالي:

١- أن القول في القدر الذي رمي قتادة به هو: نفي تقدير الله ﷻ للمعاصي.

٢- أنه قد روي عنه القول بنفي القدر كما في رواية اللالكائي عنه أنه قال: "كل شي بقدر إلا المعاصي".

٣- أنه قد نُقل عنه أيضا ما يدل على إثباته للقدر كقوله عندما سئل: «ما تقول في القدر؟ فقال: رأي العرب أعجب إليك أم رأي العجم؟ قال: رأي العرب، قال: إن العرب لم تزل في جاهليتها وإسلامها تثبت القدر، ثم أنشده بيتا من شعر».

٤- أنه قد روى عن عدد من شيوخه إثبات القدر كقوله: «سألت سعيد بن المسيب عن القدر فقال: ما قدر فقد قدر، وما لم يقدر فلم يقدر»، وروايته عن مسلم بن يسار أنه قال: الكلام في القدر واديان عريضان يهلك الناس، لا يدرك غورهما، فاعمل عمل رجل يعلم أنه لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكّل رجل يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له».

٥- أنه قد روى عن شيوخ آخرين نفي القدر كروايته عن الحسن أنه قال: "الخير بقدر، والشر ليس بقدر"، وقد علّق الذهبي على هذا بقوله: قلت: قد رمي قتادة بالقدر، إشارة منه إلى عدم صحة هذا عن الحسن، وقال الذهبي أيضاً: وقد مرّ إثبات الحسن

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: رقم (١٠٤٤٨)، وأبو نعيم في الحلية ٤/١٠٨ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: 8إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر ، فأمسكوا 7، وصححه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة ١/٧٥ رقم (٣٤).

(٢) وفيات الأعيان ٤/٨٥ .

للأقدار من غير وجه عنه سوى حكاية أيوب عنه، فلعلها هفوة منه ورجع عنها ولله الحمد.

٦- أنّ أكثر من ترجم له إنّما يقولون: "ورمي بالقدر"، وهذا لا يعني صحة ثبوت نسبة هذا القول إليه.

٧- أن من أهل العلم من نفى عنه القول بنفي القدر كقول أبي داوود السجستاني:«ما صح عندنا القدر عن قتادة».

٨- أن ممّا ورد في الآثار المروية عنه ما فيه ذمّ للقدرية مع التنصيص على قولهم المذموم وهو نفي تقدير الله للمعاصي، قال الحكم بن عمر: أرسلني خالد بن عبد الله إلى قتادة وهو بالجيزة أسأله عن مسائل، فكان فيما سألت ، قلت: أخبرني عن قول الله: M + , - . / وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ L [الحج: ١٧] هم مشركو العرب؟ قال: «لا. ولكنهم الزنادقة المباينة الذين جعلوا لله شركاء في خلقه، فقالوا: إن الله يخلق الخير، وإن الشيطان يخلق الشر، وليس لله على الشيطان قدرة».

٩- أن قتادة - كان شديدا على المعتزلة، بل رُوي أنه هو من سمّاهم بهذا الاسم، وقد سبق عند ذكر عقيدته ومنهجه بيان موقفه منهم وسبب تسميتهم بذلك، ومعلوم أن من أصول المعتزلة نفي القدر.

١٠- أنّ من أهل العلم من وجّه ما رمي به قتادة من القول بنفي القدر إلى أنه قولٌ قاله في أول الأمر ثم رجع عنه.

خلاصة القول في هذه المسألة:

إن القول بنفي القدر قد كان منتشرا في بلاد العراق وغيرها، وقد حدث هذا القول في زمن عبدالله بن عمر وابن عباس ! فعن يحيى بن يعمر، قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين - أو معتمرين - فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر،

فوفّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفّرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا، فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»[1].

قال الأوزاعي: "أول من نطق في القدر رجلٌ من أهل العراق، يقال له: سوسن، كان نصرانياً فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد"[2].

وقال شيخ الإسلام: "وبدعة القدرية حدثت قبل ذلك - أي قبل موت الحسن ونشأة المعتزلة - بعد موت معاوية؛ ولهذا تكلّم فيهم ابن عمر وابن عباس وغيرهما، وابن عباس مات قبل ابن الزبير؛ وابن عمر مات عقب موته، وعقب ذلك تولّى الحجاج العراق سنة بضع وسبعين، فبقي الناس يخوضون في القدر بالحجاز والشام والعراق، وأكثره كان بالشام والعراق والبصرة، وأقلّه كان بالحجاز؛ فلمّا حدثت المعتزلة وتكلّموا بالمترلة بين المترلتين، وقالوا: بإنفاذ الوعيد وخلود أهل التوحيد، وإن النار لا يخرج منها من دخلها ضمّوا إلى ذلك القدر فإنه به يتم، ولم يكن الناس إذ ذاك أحدثوا شيئاً من نفي الصفات"[3].

ومما يذكر من التوجيهات على فرض ثبوت القول بنفي القدر عن قتادة:

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة - حديث رقم (٨).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٦/٢٠١ .

(٣) مجموع الفتاوى ٨/٢٢٨ .

١-أن قتادة - قد نشأ في مجتمع انتشرت فيه بدعة القدرية فلا غرابة أن يقع في القول بها، وقد رمي بالوقوع في هذه البدعة أئمة من شيوخه كالحسن[(١)] - وعفا عنه وقد سبق الإشارة إلى ذلك وذكر تراجعه وتعليق الذهبي عليه.

٢-مع احتمال وقوع قتادة - في بدعة القول بنفي القدر إلا أنه قد ورد ما يدل على انتفائه عنه، كما جاء عند عرض أقواله من ذكر الآثار التي فيها إثباته للقدر، وكذلك قول أبي داوود: "ما صح عندنا القدر عن قتادة"، وقد ورد عن أئمة أهل السنة الثناء عليه كما في قول الإمام أحمد وسفيان وغيرهما، وأيضاً ما ذكر من حرصه - على التمسّك بالكتاب والسنة، وشدّته على أهل الأهواء والبدع، وموقفه من المعتزلة، ومع ذلك فإن هذا لا يعني عصمته من الوقوع في الخطأ فالعصمة لله ولكتابه ورسله.

٣-أن القول بنفي القدر مما كان في أول أمره، وقد اشتهر عنه مع حرصه على عدم التكلّم به كما قال الإمام أحمد: كان قتادة وسعيد يقولان بالقدر ويكتمان، وقد بيّن الذهبي وغيره أنه قد رجع عن هذا القول، ولو كان القول بنفي القدر عقيدة راسخة عند قتادة - لصاح به وحرص على نشره كما هو حال معبد الجهني.

٤-ما علم من شدّة السلف - على المخالف فإنهم كانوا لا يقبلون بأي قولٍ يخالف معتقد أهل السنة مهما بلغ قائله من المكانة عندهم، وأحيانا لا تكون نسبة القول بالبدعة ثابتة إلى من نسبت إليه كما قال الذهبي - في ترجمة علي بن الجعد: "قد كان طائفة من المحدثين يتنطعون في من له هفوة صغيرة تخالف السنة، وإلا فعلي إمام كبير حجة"[(٢)]، ويحتمل أن ما نقل عن قتادة من بعض أقواله مما حمل على أنه يقول فيه بنفي القدر، ولكن ما روي عنه أنه قال: "كل شيء بقدر إلا المعاصي" مما يضعف هذا التوجيه.

---

(١) قال الذهبي: وقد مرّ إثبات الحسن للأقدار من غير وجه عنه سوى حكاية أيوب عنه، فلعلها هفوة منه ورجع عنها ولله الحمد. سير أعلام النبلاء ٥٨٣/٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٥٩/١٠ رقم (١٥٢).

وأخيرا: فإن أحسن ما قيل في هذه المسألة ما ذكره الذهبي - عن قتادة حيث قال: وهو حجة بالإجماع إذا بيّن السماع، فإنه مدلّس معروف بذلك، وكان يرى القدر[1]، نسأل الله العفو، ومع هذا فما توقف أحد في صدقه، وعدالته، وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتتريهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه وإتباعه، يغفر له زللـــه، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك[2]"، وقال الذهبي أيضاً:"قد اعتذرنا عنه وعن أمثاله، فإنِ الله عذرهم فيا حبذا، وإن هو عذبهم، فإن الله لا يظلم الناس شيئاً M n o p q ا L [الأعراف: ٥٤]"[3].

والله أعلم

۞۞۞

وفيما يلي أشرع في إيراد الآثار الواردة عن قتادة - في العقيدة مبتدئاً بالآثار الواردة عنه في باب الإيمان بالله ﷻ :

---

(١) هذا على فرض ثبوته عنه، وإلا فقد تنوعت الأقوال في ذلك كما سبق.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩ .

(٣) المصدر السابق ٥/٢٧٥.

الباب الأول:

الآثار الواردة عن قتادة في الإيمان بالله عز وجل.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الآثار الواردة عن قتادة في توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.

الفصل الثاني: الآثار الواردة عن قتادة في باب الأسماء والصفات.

مدخل إن الإيمان بالله ﷻ من أشرف مقامات الدين وأرفعها منزلة، "وهو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأناً، وأعلاها قدراً، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقية الأصول متفرعة منه، راجعة إليه مبنية عليه"(١).

قال تعالى: M g h i j k l m n p q r s t u v w x y z { | L [البقرة: ٢٨٥]، وقال: M " # $ % & ' ( ) * + , - . / ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ L [البقرة: ١٧٧]، وفي حديث جبريل الطَّيْلاَ عندما سأل النبيَّ ﷺ عن الإيمان فأجابه $ بقوله: 8أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره7(٢).

وهذه هي أركان الإيمان الستة، وأولها كما هو ظاهر الإيمان بالله ﷻ وبقية الأركان تابعة له، يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - عن الإيمان بالله: "هذا أعظم أركان الإيمان، وهو أصل الأصول، ومعناه: الإيمان بوحدانية الله تعالى، وتفرده بأسمائه وصفاته، والإيمان بأنه الإله الحق، وأن من عبد من دونه فعبادته أبطل الباطل وأضل الضلال"(٣).

والإيمان بالله تعالى هو توحيده وإفراده بما يختص به، وباستقراء(٤) نصوص الكتاب والسنة وجد أهل العلم أن توحيد الله ﷻ يتضمن أمورا ثلاثة وهي: توحيده في ربوبيته،

(١) نخبة من العلماء؛ أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ)، ص ٩ .

(٢) انظر الحديث بتمامه: صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة - رقم الحديث (٨).

(٣) عبدالرحمن بن محمد بن قاسم؛ حاشية الأصول الثلاثة، الطبعة السادسة، (المملكة العربية السعودية: دار القاسم، ١٤٢١هـ)، ص ٨٤ .

(٤) الاستقراء: هو عبارة عن تصفح أمور جزئية ليحكم بحكمها على أمر يشتمل تلك الجزئيات، أو

وألوهيته، وأسمائه وصفاته، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - : "وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء، قال تعالى: M وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ... L [الزخرف: ٨٧]....

الثاني: توحيده جلَّ وعلا في عبادته، وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى (لا إله إلاَّ الله)....

النوع الثالث: توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته...الخ"(١).

وقال الشيخ محمد بن عثيمين - : "والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

١- الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى.

٢- والإيمان بربوبيته؛ أي: الانفراد بالربوبية.

٣- والإيمان بانفراده بالألوهية.

٤- والإيمان بأسمائه وصفاته"(٢).

والتوحيد في اللغة: مصدر وحد يوحد توحيدا، أي: جعله واحداً(٣)، قال الشيخ سليمان بن عبدالله: "وسمي دين الإسلام توحيداً لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله،

هو الحكم على كلي بوجوده في أكثر جزئياته. التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ص ٤٥ .

(١) محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٧ج. الطبعة الأولى، إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ)، ج ٣ ، ص ٤٨٨ - ٤٩٣ .

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص ٨٠-٨٩ .

(٣) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٩/٢٦٦ .

وهي متلازمة؛ كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها و لم يأت بالآخر فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب"[1].

وبناء على ما سبق؛ فقد قسّمت هذا الباب (باب الإيمان بالله ﷻ) إلى فصلين، وكل فصل منهما يحتوي على مباحث، أما الفصل الأول ففي الآثار الواردة عن قتادة

- في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وأما الفصل الثاني ففي الآثار الواردة عن قتادة
- في توحيد الأسماء والصفات، وفيما يلي تفصيل ذلك.



(١) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب؛ تيسير العزيز الحميد، ٢ج. الطبعة الثانية، تحقيق: أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي، (المملكة العربية السعودية: دار الصميعي، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ج ١ ، ص ١٣٨ .

الفصل الأول:
الآثار الواردة عن قتادة في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآثار الواردة عنه في توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: الآثار الواردة عنه في توحيد الألوهية.

المبحث الأول:
الآثار الواردة عنه في توحيد الربوبية.

أولاً: ما أثر عنه في إقرار الخلق بتوحيد الربوبية.

ثانياً: ما أثر عنه في بعض خصائص الربوبية.

ثالثاً: ما أثر عنه في وحدانية الله ﷻ وتنزيهه عن الولد والشريك.

رابعا: ما أثر عنه في دلالات توحيد الربوبية.

تمهيد:

إن "الإقرار بأن الله تعالى ربّ كلّ شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك"(١)؛ إن الإقرار بهذا هو المقصود بتوحيد بتوحيد الربوبية الذي هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة المشار إليها سابقا، والربوبية: "مصدر من الفعل ربب ومنه الرب، والرب: هو الله ﷻ، وهو رب كل شيء أي: مالكه، له الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك"(٢).

وقد فطر الله ﷻ عباده على هذا التوحيد قال تعالى: M فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ © ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ´ ¶ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ L [الروم: ٣٠].

قال ابن كثير - :" يقول تعالى: فسدِّد وجهك واستمر على الدّين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك الله لها، وكمَّلها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازمٌ فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره"(٣).

وأهمية توحيد الربوبية تظهر من خلال التأمل في النفس والآيات فمن تأمل في نفسه وما حوله من آياتٍ ومخلوقات علم علما يقينياً أن لهذا الكون خالق مدبر، وانتظام هذا الكون يدل على أن خالقه ومدبره واحد وهو الله ﷻ.

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ١/١٤٠ .

(٢) انظر: تاج العروس ٢/٤٥٩ ، وتهذيب اللغة للأزهري ١٥/١٧٦ .

(٣) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي؛ تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى، الأولى، تحقيق: د.محمد ابراهيم البنا، ٨ج. (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ، ج ٦ ، ص ٢٧٢٤ .

ولقد حث جل وعلا على النظر والتفكر في النفس وما حولها فقال تعالى: m M
n o p q r s t u v w L [الذاريات: ٢٠-٢١]، وقال تعالى: M
Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d L [آل عمران: ١٩٠].

قال أبو العتاهية(١):

"فيا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد؟
ولله في كل تحريكةٍ ... وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد"(٢)

ومما يبرز أهمية توحيد الربوبية أيضا ما يتضمنه من الاعتقاد الجازم بأنه سبحانه هو الخالق المدبر لهذا الكون، وأن النفع والضر بيده وأن كل شيء بتقديره ومشيئته، فإن هذا يجعل المرء المسلم مطمئن القلب ساكن النفس؛ يعيش في سعادة وأمن فلا يخاف إلا ربه ﷻ ولا يرجو سواه، وهذا هو حال المؤمنين الموحدين، وأما الذين لا يقرون بهذا التوحيد أو يقعون فيما يخالفه فهم في أسوأ حال، فغالباً ما يكونون في حيرة واضطراب وقلق واكتئاب، وحرمانٍ من الطمأنينة والسعادة.

وفي الفقرات التالية سأذكر ما ورد عن قتادة - من الآثار المتعلقة بتوحيد الربوبية من بيان إقرار الخلق بهذا النوع من التوحيد، وما ورد عنه في بعض خصائصه، وفي بيان وحدانية الله ﷻ وتنزيهه عن الولد والشريك، وكذلك ما ورد عنه - في بعض دلالاته.

❁❁❁

(١) هو: إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان مولى عنزة، كنيته: أبو إسحاق، وأبو العتاهية لقب غلب عليه، نشأ بالكوفة، وكان أكثر شعره في الزهد والأمثال. انظر: الأغاني ٤/٤ .

(٢) إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان؛ ديوان أبي العتاهية، (بيروت: دار بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ص ١٢٢ .

أولاً: ما أثر عنه في إقرار الخلق بتوحيد الربوبية:

١) قال ابن جرير: حدثنا بشر[١]، قال: حدثنا يزيد[٢]، قال: حدثنا سعيد[٣]، عن قتادة في قوله: Mوَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ L [البقرة: ٢٢] أي: «تعلمون أنّ الله خَلقكم وخلق السموات والأرض ثم تجعلون له أندادًا»[٤].

٢) قال عبدالرزاق: عن معمر[٥]، عن قتادة في قوله تعالى: M وَمَا : ; < = > ? @ L [يوسف: ١٠٦] قال: «لا يُسأل أحد من المشركين: من ربك؟ إلا قال: الله، وهو يشرك في ذلك»[١].

---

(١) هو: بشر بن معاذ العقدي، أبو سهل البصري الضرير: قال عنه أبو حاتم: صالح الحديث صدوق، مات سنة ٢٤٥هـ أو قبلها أو بعدها بقليل. انظر: الثقات لابن حبان ١٤٤/٨ رقم (١٢٦٦١)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٦٨/٢ رقم (١٤١٧).

(٢) هو: يزيد بن زريع، أبو معاوية العيشي البصري: ولد سنة ١٠١هـ، أحد أئمة الحديث في البصرة في زمانه، قال الذهبي: كان صاحب سنة وإتباع، توفي سنة ١٨٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٩٦/٨ رقم (٧٨)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ٣٦٦/٢

(٣) هو: سعيد بن أبي عروبة، أبو النضر بن مهران العدوي مولاهم البصري: أول من دون العلم وصنف السنن النبوية، وكان أحفظ أصحاب قتادة وأثبتهم فيه، وقد رمي بالقدر، مات سنة ١٥٦ وقيل ١٥٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤١٣/٦ رقم (١٧٠)، وشذرات الذهب ٢٥٤/٢ .

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٦ج. الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، (المملكة العربية السعودية: دار عالم الكتب، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ج ١ ، ص ٣٩٣. وإسناده من يزيد إلى قتادة مخرّج عند البخاري في كتاب المناقب - باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه - حديث رقم (٣٦٨٦)، وقد حسَّن هذا الإسناد حكمت بشير (التفسير الصحيح ص ٥٠-٥٢)، وعطية بن نوري الفقيه (أسانيد نسخ التفسير ص ١٠٦).

(٥) هو: معمر بن راشد ، أبو عروة الأزدي مولاهم البصري، ولد سنة ٩٥ أو ٩٦هـ، قال عنه الذهبي: كان من أوعية العلم مع الصدق والتحري والورع والجلالة، مات في رمضان سنة

٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M * + , - L [مريم: ٦٥] : «لا سميّ لله ولا عَدل له، كلُّ خلقه يقر له، ويعترف أنه خالقه ويعرف ذلك، ثم يقرأ هذه الآية: M وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ L [الزخرف: ٨٧]»[٢].

٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M < = > ? @ A B L [العنكبوت: ٦٥] : «فالخلق كلُّهم يقرّون لله أنه ربُّهم، ثم يشركون بعد ذلك»[٣].

٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: Mكُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ L [الروم: ٢٦] : «مطيعٌ مقرٌّ بأن الله ربُّه وخالقُه»[٤].

---

١٥٢ أو ١٥٣هـ. انظر: تاريخ دمشق ٥٩/٣٩٠ رقم (٧٥٧٤)، وسير أعلام النبلاء ٧/٥ رقم (١).

(١) عبدالرزاق بن همام الصنعاني؛ تفسير القرآن؛ الطبعة الأولى، تحقيق: محمود محمد عبده، (لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، ج٢ ، ص٢٢٤ رقم (١٣٤٢). وصحّح إسناده حكمت بشير في (التفسير الصحيح ١/٥٤)، وعطية بن نوري الفقيه في (أسانيد نسخ التفسير ص ٤٦٨)، وقد ذكر هذا الإسناد الإمام مسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب انشقاق القمر - عقب الحديث رقم (٢٨٠٢).

(٢) جامع البيان ١٥/٥٨٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٣) جامع البيان ١٨/٤٤١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٣٠٩ رقم (١٨٢٨٥) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٢٨٧ إلى عبد ابن حميد وابن المنذر.

(٤) جامع البيان ١٨/٤٨٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

التعليق:

دلت هذه الآثار على مسألة عظيمة من مسائل التوحيد وهي بيان اتفاق الخلق على الإقرار بتوحيد الربوبية، وقد دل القرآن الكريم على هذا الأمر قال تعالى: M وَمَا : ; < = > ? @ L [يوسف: ١٠٦]، وقال سبحانه: M { } ~ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ L [العنكبوت: ٦١]، وقال: M وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ L [الزخرف: ٨٧].

وقد ورد في السنة أن أهل الجاهلية كانوا يحجون ويلبون، وهذا مما يدل على أنهم كانوا يؤمنون بوجود الله وربوبيته لهم، يقول ابن عباس : «كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال: فيقول رسول الله ﷺ: $ويلكم! قد قد7 فيقولون: إلا شريكاً هو لك؛ تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت»(١).

ومما أثر عن السلف في إثبات إقرار المشركين بتوحيد الربوبية ما جاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: M وَمَا : ; < = > ? @ L [يوسف: ١٠٦] قال: «من إيمانهم؛ إذا قيل لهم: مَن خلق السماء، ومن خلق الأرض، ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله. وهم مشركون»(٢).

وقال عكرمة: «تسألهم مَن خلقهم، ومن خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله. فذلك إيمانهم بالله وهم يعبدون غيره»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج - باب التلبية وصفتها ووقتها - حديث رقم (١١٨٥) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٧٣/١٣ عن سفيان بن وكيع قال: ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال الدكتور/ عطية بن نوري الفقيه: الإسناد من ابن جرير إلى عطاء بن السائب حسن لحال (عمران بن عيينة) وبقية الإسناد مقبول إلى ابن عباس. أسانيد نسخ التفسير ص ٢٣١ ، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٣٧/٥ رقم (١٢٨٨٥) من طريق آخر عن ابن عباس، وذكره ابن كثير في تفسيره ١٨٦٥/٤ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٥/٤ إلى أبي الشيخ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٧٣/١٣ عن هناد قال: ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة، قال

وقال مجاهد: «إيمانُهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمانٌ مع شرك عبادتهم غيرَه»[1].

وبهذا يتضح أن التوحيد الذي جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب، ليس هو مجرد الاعتقاد بأن خالق هذا الكون واحد، بل هذا التوحيد كما قال شيخ الإسلام: لم يذهب إلى نقيضه طائفة معلومة من بني آدم[2]، إلا أنه قد أُثِر جحد هذا التوحيد عن فئة قليلة كالدهرية[3] والثنوية[4]، وكذلك فرعون وقومه الذين أنكروه في الظاهر مع الاعتراف به في الباطن، قال تعالى: M ! " # $ % & ' L [النمل: ١٤] ، قال السعدي - : "M ! " L أي: كفروا بآيات الله جاحدين لها، M # $ L أي: ليس جحدهم مستندا إلى الشك والريب، وإنما جحدهم مع علمهم ويقينهم بصحتها"[5].

الدكتور/ عطية بن نوري الفقيه: الإسناد صحيح من الطبري إلى أبي الأحوص ومنه حسن إلى عكرمة. أسانيد نسخ التفسير ص ٤٤٠ .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/٣٧٤ عن المثنى قال: أخبرنا أبو حذيفة قال: ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال الدكتور/ عطية بن نوري الفقيه: الإسناد حسن من الطبري إلى شبل بن عبَّاد لحال أبي حذيفة، وبقيته صحيح إلى مجاهد بن جبر. أسانيد نسخ التفسير ص ٤٨٨ .

(٢) انظر: شرح الأصبهانية ص ١١٦-١٢١ .

(٣) الدهرية: هم قوم أنكروا الخالق والرسالة والبعث والإعادة ، وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله: M ; < = > ? @ A B C D E F L [الجاثية: ٢٤] وقد زعموا بأن العالم قديم لم يزل ولا يزال. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/٤٧ .

(٤) الثنوية: هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان وقالوا بتساويها في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٩٠ .

(٥) عبدالرحمن بن ناصر السِّعدي؛ تفسير السعدي "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، الطبعة الثانية، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، (دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، ص ٦٣٥ .

وقال الشيخ حافظ الحكمي - : "والمقصود أن أكثر شرك الأمم التي بعث الله إليها رسله وأنزل كتبه غالبهُم إنما أشرك في الإلهية، ولم يذكر جحود الصانع إلا عن الدهرية والثنوية وأما غيرهم ممن جحدها عناداً كفرعون ونمرود وأضرابهم فهم مقرون بالربوبية باطناً كما قدمنا وقال الله ﷻ عنهم: M ! " # $ % L [النمل: ١٤]، وبقية المشركين يقرون بالربوبية باطنا وظاهرا؛ كما صرّح بذلك القرآن فيما قدمنا من الآيات وغيرها، مع أن الشرك في الربوبية لازم لهم من جهة إشراكهم في الإلهية، وكذا في الأسماء والصفات، إذ أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك منها عن الآخر"(١).

فيلاحظ إذن أن هذا الإقرار وحده لا يكفي في دخول الإسلام فلا بد من إفراد الخالق بالعبادة؛ ولهذا فإن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية فمن أقرّ به لزمه إفراد الله جل وعلا في عبادته.

ثانياً: ما أثر عنه في بعض خصائص الربوبية:

٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا : ; L [النحل: ١٧] : «والله هو الخالق الرازق، وهذه الأوثان التي تعبد من دون الله تُخلق، ولا تَخلُق شيئاً، ولا تملك لأهلها ضرّا ولا نفعاً. قال الله: Mأَفَلَا : L»(٢).

---

(١) حافظ بن أحمد الحكمي؛ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، ٣ج. الطبعة الثالثة، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ)، ج ٢ ، ص ٥٩١ .

(٢) جامع البيان ١٤/١٩٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/٦٥ رقم (١٣٣٥٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٢١٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ ´ µ ¶ ¸ كَسَبَتۡۗ L [الرعد: ٣٣] : «ذلكم ربُّكم تبارك وتعالى، قائمٌ على بني آدمَ بأرزاقهم وآجالهم، وحَفَظ عليهم - والله - أعمالهم »[1].

التعليق:

توحيد الربوبية هو: "إفراد الله بأفعاله، ومنها الخلق، والرزق، والسيادة، والإنعام ، والملك، والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكم، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها"[2]، وهذه الأفعال هي خصائص الربوبية[3] التي لا بد من وجودها في المعبود حتى يكون مستحقاً للعبادة، ولهذا ذمّ الله جل وعلا المشركين الذين عبدوا غيره ونبّههم على أن معبوداتهم لا تملك شيئاً من هذه الخصائص، قال تعالى: M أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا : ; L [النحل: ١٧]، وقال تعالى عن الذين عبدوا العجل من قوم موسى: M . / أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا : L [طه: ٨٩]، وقد أمر ربنا جلا وعلا خلقه بعبادته وحده لأنه هو الخالق المستحق للعبادة فقال تعالى: M l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا © فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ L [البقرة: ٢١-٢٢] ، قال ابن جرير: "فأمرَ جل ثناؤه ... بالاستكانة، والخضوع له بالطاعة، وإفراد الربوبية

(١) جامع البيان ١٣/٥٤٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ص ١١ .

(٣) قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي - : "ذكر بعض خصائص الربوبية، وأنه مالك خلقه وأنشأهم لا عن حاجة إلى ما خلق ولا معنًى دعاه إلى أن خلقهم، لكنه فعال لما يشاء ويحكم كما يريد، لا يسأل عما يفعل، والخلق مسؤولون عما يفعلون". اعتقاد أئمة الحديث ص ٣ .

له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة، لأنه جلّ ذكره هو خالقهم وخالقُ مَنْ قبلهم من آبائهم وأجدادهم، وخالقُ أوثانهم وأصنامهم وآلهتهم"[1].

وقد ذكر قتادة - في هذين الأثرين بعض خصائص الربوبية لله جل وعلا، والدالة على استحقاقه ﷻ للعبادة.

ثالثاً: ما أثر عنه في وحدانية الله ﷻ وتنزيهه عن الولد والشريك:

٨) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ثنا نصر بن علي[2]، ثنا أبي[3]، ثنا خالد بن قيس[4]، عن قتادة قوله: ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ﴾ [الأنعام: ١٠٠] قال: «كذبوا له؛ أما اليهود والنصارى، فقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وهم كذّبُوا به، وأما مشركو العرب فكانوا يعبدون اللات والعزى، فيقولون: العزى بنات الله، فأكذبهم الله ونفاهم من فِرَائِهم[5]»[6].

---

(١) جامع البيان ٣٨٤/١ .

(٢) هو: نصر بن علي بن نصر بن علي بن صبهان بن أبي عمرو الجهضمي البصري الصغير والد علي بن نصر الجهضمي الصغير، مات سنة ٢٥٠ وقيل ٢٥١هـ. انظر: تاريخ بغداد ٢٨٨/١٣ رقم (٧٢٥٥)، وتهذيب الكمال للمزي ٣٥٥/٢٩ رقم (٦٤٠٦).

(٣) هو: علي بن نصر بن علي بن صهبان بن أبي الجهضمي الحداني الأزدي الإمام الثقة الحافظ أبو الحسن البصري الكبير والد نصر بن علي وجد علي بن نصر الصغير، مات سنة ١٨٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٣٨/١٢ رقم (٤٩)، وتهذيب الكمال ١٥٧/٢١ رقم (٤١٤٤).

(٤) هو: خالد بن قيس بن رباح الأزدي، الحُدّاني ويقال: الطاحي البصري ، قال عنه يحيى بن معين: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: الثقات لابن حبان ٢٥٩/٦ ، وتهذيب الكمال ١٥٣/٨ رقم (١٦٤٥).

(٥) فرائهم: من الفرية وهي الكذب المختلق المصنوع، قال الراغب: استعمل الافتراء في القرآن في الكذب والظلم والشرك نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]...الخ. تاج العروس ٢٣٠/٣٩ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ١٣٦١/٤ رقم (٧٧٢٣)، وحسَّن إسناده عطية بن نوري الفقيه (أسانيد

٩) قال البيهقي: وروينا عن قتادة أنه قال: «جعلوا الملائكة بنات الله من الجن وكذب أعداء الله»[1].

١٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M [\ ] ^ _ ` a b c L [الزخرف: ٨١] قال قتادة: «هذه كلمة من كلام العرب، M \ ] ^ _ L؛ أي: إنَّ ذلك لم يكن ولا ينبغي »[2].

١١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M [\ ] ^ _ ` a L [الإسراء: ٤٣] : «يُسبّح نفسه إذ قيل عليه البهتان»[3].

١٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ L [سبأ: ٢٢] يقول: «ما لله من شريك في السماوات ولا في الأرض، Mوَمَا لَهُۥ مِنۡهُم L : من الذين يدعون من دون الله، Mمِّن ظَهِيرٖ L من عون بشيء»[4].

١٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M = > ? @ A B C D E F G H I L [فاطر: ٤٠] : «لا شيء والله خلقوا منها MJ K L M N L لا والله ما لهم فيها من شرك M O P Q R S T U L يقول: أم آتيناهم كتابًا فهو يأمرهم أن يشركوا»[5].

نسخ التفسير ص ٤٥٨) .

(١) شعب الإيمان ١/١٦٦ .

(٢) جامع البيان ٢٠/٦٥٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٣) جامع البيان ١٤/٦٠٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٤) جامع البيان ١٩/٢٧٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٢٣٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) جامع البيان ١٩/٣٩٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر

التعليق:

دلت هذا الآثار على تتريه الله جل وعلا عن الولد والشريك الذي ادعاه الكفار والمشركون لله ﷻ ، وقد بيَّن الله جل وعلا هذا الأمر في كتابه، قال تعالى: M s t u v ا x z ا { | } ~ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ L [البقرة: ١١٦]، وقال سبحانه: M M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a L [الإسراء: ٤٢-٤٣]، وقال أيضاً: M s t u v w x y z { | } ~ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ © ١١١ L [الإسراء: ١١١]، وفي سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن يقول سبحانه: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ L [الإخلاص: ١-٤]، وجاء في السنة من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: $قال الله: كذبني ابن آدم و لم يكن له ذلك، وشتمني و لم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله: لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا#[1]، كل هذه الأدلة وغيرها تدل دلالة واضحة على هذه العقيدة العظيمة التي هي من أصول دين الإسلام وركن من أركانه.

وفي آثار قتادة المذكورة سابقاً توضيح لمعاني بعض الآيات التي تتحدث عن تتريه الله جل وعلا عن الولد والشريك، فأما الأثران الأول والثاني فهما في بيان تتريه الله جل وعلا عن الولد فقد ذكر قتادة - اعتقاد اليهود والنصارى والمشركين الذين ينسبون لله جل وعلا الولد وكذَّبهم في زعمهم هذا، وأما الأثر الثالث فهو في بيان معنى قوله تعالى: M [\ ] ^ _ ` a b c L فبين - أن قوله تعالى: M \ ] ^ _ L من باب النفي فقال في تفسير الآية: أي أن ذلك لم يكن ولا ينبغي، وأما

المنثور ٣٠٣/١٢ إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة - باب M s t u v ا x ا L - رقم (٤٤٨٢).

الأثران الرابع والخامس فهما في تنزيهه سبحانه عن الشريك في خلقه وأن اعتقاد وجود آلهة مع الله إنما هو من البهتان الذي نزَّه الله سبحانه نفسه عنه.

رابعا: ما أثر عنه في دلالات توحيد الربوبية:

١- دلالة الفطرة:

١٤) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن الحسن وقتادة قالا: «يجوز في الرقبة الواجبة ولد الزنا، لأن كل مولود يولد على الفطرة»(١).

١٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M j k l m n o p q L [البقرة: ١٣٨] قال: «إنّ اليهود تصبُغُ أبناءها يهود، والنصارى تصبُغُ أبناءها نصارى، وإن صبغة الله الإسلام، فلا صبغة أحسنُ من الإسلام ولا أطهرُ، وهو دين الله الذي بعث به نوحًا والأنبياء بعده»(٢).

١٦) قال عبدالرزاق: نا معمر، عن قتادة في قوله: M j k l L [البقرة: ١٣٨] قال: «دين الله»(٣).

١٧) قال عبدالرزاق: نا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: Mفَلَيُغَيِّرُنَّ © ٱللَّهِۚ L [النساء: ١١٩] قال: «دين الله»(٤).

---

(١) المصنف ١٧٧/٩ كتاب المدبر، باب ما يجوز في الرقاب رقم (١٦٨٢١)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢).

(٢) جامع البيان ٦٠٣/٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً أبو بكر القاضي في المجالسة وجواهر العلم ٣٠٩/١١ رقم (١٤٦٤) من طريق سعيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٥٩/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) تفسير القرآن ٢٩٤/١ رقم (١٣٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦٠٤/٢).

(٤) تفسير القرآن ٤٧٧/١ رقم (٦٣٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٩٩/٧ ، وأيضاً من طريق سعيد عن قتادة مثله.

١٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: Mلَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ´ L [الروم: ٣٠] : أي: «لدين الله»(١).

التعليق:

إن دلالة الفطرة من أظهر وأوضح الدلالات على وجود الله ﷻ ، فلقد خلق الله الخلق وجبلهم على معرفته والإيمان به، قال ابن القيم - : "ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمها"(٢).

وقد تعددت النصوص من الكتاب والسنة المثبتة لهذه الدلالة والمبينة لها فمما ورد في القرآن الكريم في هذا الشأن قوله تعالى: M فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ © ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ´ ¶ ¸ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ L[الروم-٣٠]، وكذلك قوله: M j k m n o p q s t u v L [البقرة: ١٣٨]، وقوله: Mوَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ : ; < = > ? @ A B C E F H J K L M N O P Q R S L [الأعراف: ١٧٢]، ومن السنة: ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ:$ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء7 ثم يقول أبو

(١) جامع البيان ٤٩٥/١٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً عبدالرزاق في تفسيره ٣٠٠/٢ رقم (١٥٧١) من طريق معمر قال: قال قتادة: "لا تبديل لدين الله".

(٢) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي "ابن قيم الجوزية"؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي (بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م)، ج ١ ، ص ٦٠ .

هريرة ﷺ: M © ﴿ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ L [الروم-٣٠]#[1]، وأيضاً حديث الأسود بن سريع أن رسول الله ﷺ بعث سرية يوم حنين، فقاتلوا المشركين، فأفضى بهم القتل إلى الذرية، فلما جاءوا قال رسول الله ﷺ :$ ما حملكم على قتل الذرية؟ "قالوا: يا رسول الله، إنما كانوا أولاد المشركين، قال: "أو هل خياركم إلا أولاد المشركين، والذي نفس محمد بيده ما من نسمة تولد، إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها#[2]، وعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: $ ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا..الخ#[3]

والعقل يؤيد إثبات ما جاء في هذه الأدلة ، قال شيخ الإسلام - "وهذا الذي أخبر به النبي ﷺ من أن$ كل مولود يولد على الفطرة# مما تقوم الأدلة العقلية على

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز - باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ - حديث رقم (١٣٥٨)، وفي كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة - باب M﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ﴾ L [الروم-٣٠]: لدين الله - حديث رقم (٤٧٧٥)، وأخرجه مسلم: كتاب القدر - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين - حديث رقم (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٥٥٨٨)، والحاكم في المستدرك: كتاب الجهاد ١٢٣/٢ وذكر بعده إسنادا آخر وأشار عقبه إلى رواية أخرى بنحو الحديث المذكور ثم قال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرّجاه، والبيهقي في السنن الكبرى: كتاب السير - جماع أبواب السير - باب الولد تبع لأبويه حتى يعرب عنه اللسان - حديث رقم ٢١٩/٩ رقم (١٨٣٣٤)، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع (٥٥٧١).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار - حديث رقم (٢٨٦٥) .

صدقه كما أخبر الصادق المصدوق وتبين أن من خالف مدلول هذا الحديث فإنه مخطئ في ذلك"[1].

وأهل العلم F اختلفوا في معنى الفطرة المذكورة في الكتاب والسنة على أقوال متعددة منها قول بعضهم بأن الفطرة هي: الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه، وقال آخرون بأن الفطرة هي: الإسلام وهذا القول هو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل واحتجوا له بقوله تعالى:M © ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ L [الروم-٣٠] وبحديث أبي هريرة ﷺ المذكور سابقاً، ومن أهل العلم من قال بأن الفطرة: هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها، ورجّح ابن عبد البر - القول بأن الفطرة: هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه[2].

وفي الآثار المذكورة عن قتادة بيانٌ منه - لمعنى الفطرة وأن المقصود بها أن الله خلق عباده مفطورين على دين الإسلام.

٢ - دلالة الأنفس:

١٩) قال أبو الشيخ: حدثنا عبد الرحمن بن داود[3]، حدثنا عبيد بن محمد[1]، حدثنا أبو الجماهر[2]، عن سعيد[3]، عن قتادة قوله: M r s u v L [الذاريات: ٢١] قال: «من تفكر في نفسه عرف إنما لينت مفاصله للعبادة[4]»[5].

---

(١) أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية؛ درء تعارض العقل والنقل، ١١ج. الطبعة الثانية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، (المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ-١٩٩١م)، ج ٨ ، ص ٤٥٦ .

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر ٣٥٣/٦-٣٥٧ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٢٢/١٦-٤٣٠ ، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني ٣١٤/٣-٣١٧ .

(٣) هو: عبدالرحمن بن داود بن منصور الفارسي يكنى أبا محمد، كان من الفقهاء، صاحب أصول، ثقة مأمون، كثير الحديث، مات بفارس، ذكره الذهبي في وفيات ما بين ٣١١-٣٢٠هـ. انظر: طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ ٩٦/٤ رقم ٥٦٤ ، وتاريخ أصبهان للأصبهاني

٧٨/٢ رقم (١١٤٠)، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي ٦٣٠/٢٣ رقم (٥٢٥) .

(١) هو: عبيد بن محمد بن يحيى بن حمزة ابن واقد الحضرمي البتلهي، روى عن أبيه وأبي الجماهر وسليمان بن عبد الرحمن، توفي سنة ثمانين ومائتين. انظر: تاريخ دمشق ٢١٣/٣٨ رقم (٤٥٣١)، و تاريخ الإسلام ٣٩٥/٢٠ رقم (٤٥٩).

(٢) هو: محمد بن عثمان التنوخي الدمشقي الكفر سوسي، الإمام المحدث الحافظ الثبت المجود محدث دمشق، يكنى أبا عبد الرحمن، وأبو الجماهر كاللقب له، ولد سنة ٤١ وقيل ٤٠هـ، مات سنة ٢٤٢هـ، عن بضع وثمانين سنة. انظر: تاريخ دمشق ٢٠٢/٥٤ رقم (٦٧٤١)، وسير أعلام النبلاء ٤٤٨/١٠ رقم (١٤٦).

(٣) هو: سعيد بن بشير ، أبو عبد الرحمن ويقال: أبو سلمة الأزدي مولاهم، من أهل دمشق حمله أبوه إلى البصرة فسمع بها ثم رجع إلى دمشق، مات سنة ١٦٨ وقيل ١٦٩هـ. انظر: تاريخ دمشق ٢٢/٢١ رقم (٢٤٥٠)، وسير أعلام النبلاء ٣٠٤/٧ رقم (٩٧).

(٤) قال ابن جرير: "وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفي تسوية الله تبارك وتعالى مفاصل أبدانكم وجوارحكم دلالة لكم على أن خلقتم لعبادته". جامع البيان ٥١٩/٢١ .

(٥) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني ٢٣٣/١ ، والإسناد من أبي الجماهر إلى قتادة مقبول لحال سعيد بن بشير، فقد قال عنه ابن حجر: ضعيف. انظر: التقريب (٢٢٧٦) ، وقال الدكتور/ عطية بن نوري الفقيه: تضاربت الأقوال في سعيد بن بشير والذي يبدو أنه ثقة في غير قتادة، وله أخطاء عن غير قتادة أيضاً كغيره من الثقات لكنه في قتادة أكثر خطأ؛ فهو فيه حسن الحديث، يقبل منه الانفراد المحتمل الذي يعضده شيء من الكتاب والسنة، ولا يقبل منه الإغراب الشديد، أما في التفسير فقد اشتهر به وغلب عليه" ا.هـ انظر: أسانيد نسخ التفسير ص ٣٥٣ ، وهذا الأثر أورده السيوطي في الدر المنثور ١٣٧/٦ بلفظ: "من تفكر في خلقه علم أنما لينت مفاصله للعبادة" وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ، وذكره القرطبي في تفسيره ٤٨٤/١٩ .

٢٠) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M o p L [الذاريات٢٠] قال: «يقول: للمعتبرين، اعتبروا في أنفسهم، يقول: في خلقه أيضا: إذا فكر فيه معتبر»[١].

التعليق:

لقد دعا القرآن الكريم الإنسانَ إلى استعمال عقله الذي ميّزه الله جل وعلا به عن سائر الحيوانات، فأمره أن يتفكر في نفسه ليبصر عظمة خالقه فيعرف أن هذا المخلوق الذي خلقه الله في أحسن تقويم، قد خُلِق لأمر عظيم ألا وهو عبادة الله ﷻ ، قال تعالى: M r s t u v L [الذاريات: ٢١] ، قال ابن جرير - بعد أن نقل الخلاف في معنى هذه الآية: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: وفي أنفسكم أيضا أيها الناس آيات وعِبر تدلُّكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم، M u v L [الذاريات: ٢١] يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم"[٢].

وقد دلت الآثار الواردة في هذه الفقرة على دلالة الأنفس وهي النوع الأول من دلالات الآيات الدالة على وجود الله تعالى ، وقد نبّه قتادة - في هذه الآثار على أمر عظيم قد أمر الله جل وعلا به في كتابه، ألا وهو التفكر في عظيم صنع الله وأخذ العبرة من ذلك، قال تعالى: M Y Z [\ ] ^ _ ` a b

(١) تفسير القرآن ٣/٢٣٩ رقم (٢٩٨٦)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً أبو الشيخ في العظمة ١/٢٣٢ عن معمر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/١٣٧ إلى ابن جرير وابن المنذر.

ملاحظة: جاء في إحدى نسخ تفسير عبدالرزاق قول قتادة "معتبر لمن اعتبر" بدلا من قوله "يقول للمعتبرين" وهذه العبارة هي المخرجة عند ابن جرير ٢١/٥١٨ ، وأيضاً عند أبي الشيخ ١/٢٣٢ وقد اقتصر ابن جرير - على هذه العبارة فقط.

(٢) جامع البيان ٢١/٥٢٠ .

o n m l k j i h g f e d c

p q r s t u v w x y z L [آل عمران: ١٩٠-١٩١]،

وإن أقرب شيء للإنسان يتفكر فيه هو نفسه التي بين جنبيه؛ فلو تفكر فيها لقاده تفكيره بإذن الله لمعرفة خالقه، وأنه ما خُلِق بهذه الصورة إلا لعبادة ربه وحده سبحانه.

قال ابن كثير - عند قوله تعالى: Mm n o p q L [الذاريات٢٠] "أي: فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال، والقفار والأنهار والبحار- إلى أن قال - وما في تركيبهم من الحِكَم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه"(١).

٣- دلالة الآفاق:

٢١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ! " # ...L [البقرة: ٢١٩-٢٢٠]: «وإنه من تفكر فيهما عرف فضل إحداهما على الأخرى، وعرف أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء ، وأن الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء، فكونوا ممن يَصْرِم حاجة الدنيا لحاجة الآخرة»(٢).

٢٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي © وَٱلۡبَصِيرُۚ ...الآية L [الأنعام: ٥٠] قال: «الأعمى: الكافر الذي قد عمي عن حق الله وأمره ونعمه عليه، والبصير: العبد المؤمن الذي أبصر بصراً نافعاً فوحد الله وعمل بطاعة ربه وانتفع بما آتاه الله»(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٣٠٦/٧ .

(٢) جامع البيان ٦٩٨/٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٥٧/٢ إلى عبد بن حميد.

(٣) جامع البيان ١٧٦/٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي

٢٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M < = > ? @ A C D E G H I J K L M L [الأنعام: ٧٦]: «علم أن ربّه دائم لا يزول»[1].

٢٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: M - . / فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا L [يوسف:١٠٥] : «وهي في مصحف عبد الله:(يَمْشُونَ عَلَيْهَا)، السماء والأرض آيتان عظيمتان»[2].

٢٥) قال ابن أبي حاتم: عن قتادة D[3]: M l m n o p q r L [إبراهيم: ٩]، قال: «كذبوا رسلهم بما جاءوهم مِنَ البينات، فردوه عَلَيْهِمْ بأفواههم، وقالوا: M y z { | } ~ مُرِيبٍ L [إبراهيم: ٩] وكذبوا مَا في الله ﷻ شك، أفي منْ فطر السموات والأرض؟ وأنزل مِنَ السَّمَاء ماء فأخرج به مِنَ الثمرات رزقاً لكم وأظهر لكم مِنَ النعم والآلاء الظاهرة مَا لا يشك في الله ﷻ»[4].

حاتم ٣٤٨/٣ رقم (٧٣٥٤ و ٧٣٥٦)، وأبو الشيخ في العظمة ٣٣١/١ رقم (٧٠) من طريق يزيد به، وقال محققه: "إسناده صحيح"، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(١) جامع البيان ٣٥٦/٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٧٨/٣ رقم (٧٥٤٧) من طريق يزيد به.

(٢) جامع البيان ٣٧٢/١٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٣٦/٥ رقم (١٢٨٨٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٤/٤ إلى أبي الشيخ.

(٣) هكذا عند ابن أبي حاتم.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢٢٣٦/٧ رقم (١٢٢٢٢) معلقاً، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٦٠٨/١٣ عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة به دون تفسير قوله تعالى: M y z { | } ~ مُرِيبٍ L [إبراهيم: ٩]، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣٥/٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

٢٦) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله: M وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ © ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾ L [الإسراء: ٧٢] قال: «في الدنيا أعمى عما أراه الله من آياته من خلق السموات والأرض والنجوم والجبال، فهو في الآخرة الغائبة التي لم يرها أعمى وأضل سبيلا»[١].

٢٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله:M وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ © ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ L [الإسراء: ٧٢] يقول: «من كان في هذه الدنيا أعمى عما عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه، Mفَهُوَ © ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا L [الإسراء: ٧٢] فيما يغيب عنه من أمر الآخرة وأعمى»[٢].

٢٨) قال أبو الشيخ: حدثنا إسحاق بن أبي حسان الأنماطي[٣]، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة[٤]، حدثنا علي بن الجعد[٥]، أخبرنا علي بن علي[٦]، عن قتادة - تعالى في قوله

---

(١) تفسير القرآن ٣٠٦/٢ رقم (١٥٩٦)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٠/١٥ من طريق معمر به نحوه، وأبو الشيخ في العظمة ٣٣٠/١ رقم (٦٨) من طريق عبدالرزاق به.

(٢) جامع البيان ١٠/١٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٣) هو: إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان أبو يعقوب البغدادي الأنماطي، كان إماماً في مذهب مالك، مات يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٣٠٢هـ. انظر: تاريخ دمشق ١٠٤/٨ رقم (٦٠٨)، و تاريخ الإسلام ٨٦/٢٣ رقم (٧٧).

(٤) هو: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الواسطي الأصل، أبو بكر بن أبي شيبة الكوفي، ثقة حافظ صاحب تصانيف، مات سنة ٢٣٥هـ. تقريب التهذيب رقم (٣٥٧٥).

(٥) هو: علي بن الجعد بن عبيد، الإمام الحافظ الحجة مسند بغداد، أبو الحسن البغدادي الجوهري، ولد سنة ١٣٤هـ، كان ثقة عجبا في حفظه، توفي لست بقين من رجب سنة ٢٣٠هـ، وقد استكمل ٩٦ سنة. انظر: تاريخ بغداد ٣٦٠/١١ رقم (٦٢١٥)، وسير أعلام النبلاء ٤٥٩/١٠ رقم (١٥٢).

(٦) هو: علي بن علي بن نجاد بن رفاعة الرفاعي اليشكري أبو إسماعيل البصري، قال ابن معين: كان يقول بالقدر، وكان عابداً، ومن كثرة عبادته لقبه مالك بن دينار براهب العرب، نسبه

قوله ﷻ: M وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ ©ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ L [الإسراء: ٧٢] قال: «من عمي عما يرى من الشمس والقمر والليل والنهار وما يرى من الآيات و لم يصدق بها فهو عما غاب عنه من آيات الله Mأَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا L [الإسراء: ٧٢]»[١].

٢٩) قال عبدالرزاق: أرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M j k l m n o p q r s L [الإسراء: ٤٤] قال: «كل شيء فيه الروح يسبح من شجرة أو شيء فيه الروح»[٢].

٣٠) قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى[٣]، قال: ثنا ابن ثور[٤]، عن معمر، عن قتادة في قوله: M m n o p q L [الذاريات٢٠] قال: «يقول: معتبر لمن اعتبر»[١].

ابن حجر إلى الطبقة السابعة وهي طبقة كبار أتباع التابعين كمالك والثوري، وهم من كانت وفاقم بعد المائة. انظر: تاريخ الإسلام ١٠/٣٦٨ رقم (٢٩١) ، وتهذيب الكمال ٢١/٧٢ رقم (٤١١٠).

(١) العظمة ١/٣٢٧ رقم (٦٥)، قال رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري (محقق كتاب العظمة): "إسناده جيد لأن رجاله ثقات سوى علي بن علي قال فيه الحافظ: لا بأس به" انظر: (كتاب العظمة ١/٣٢٨).

(٢) تفسير القرآن ٢/٣٠٠ رقم (١٥٧١)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٤/٦٠٦ من طريق معمر به، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٣٣ بلفظ "ما من شيء في أصله الأول لن يموت إلا وهو يسبح بحمده" وعزاه إلى عبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) هو: يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان، الصدفي المصري الفقيه الشافعي؛ ولد في ذي الحجة سنة ١٧٠هـ، وهو أحد أصحاب الشافعي، والمكثرين في الرواية عنه والملازمة له، توفي بمصر يوم الثلاثاء ليومين بقيا من شهر ربيع الآخر سنة ٢٦٤هـ. انظر: تهذيب الكمال ٣٢/٥١٣ رقم (٧١٧٨)، ووفيات الأعيان ٧/٢٤٩ رقم (٨٥٣).

(٤) هو: محمد بن ثور أبو عبد الله الصنعاني، وثقه يحيى بن معين وغيره، واشتهر بالعبادة والفضل

٣١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M m n o p q L [الذاريات:٢٠] «إذا سار في أرض الله رأى عبراً وآياتٍ عظاماً»(٢).

٣٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: Mوَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ L [النحل: ٥٢]: أي: «دائما، فإن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً من خلقه إلا عبّده طائعاً أو كارهاً»(٣).

٣٣) قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني(٤)، ثنا أبو الجماهر، ثنا سعيد، عن قتادة: M أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ © فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ L [النور: ٤١] قال: «المؤمن يسجد طائعاً والكافر يسجد كارهاً»(٥).

٣٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M V W X Y L [الرحمن: ٦] قال: «لم يدع الله شيئاً إلا عبده له»(١).

والصدق، مات ١٩٠هـ أو قبلها أو بعدها بقليل. انظر: تهذيب الكمال ٥٦١/٢٤ رقم (٥١٠٨)، وسير أعلام النبلاء (٣٠٢/٩ رقم (٨٧)، وتاريخ الإسلام ٣٥٢/١٣ رقم (٢٦٢).

(١) جامع البيان ٥١٨/٢١ ، وحسَّن إسناده الأستاذ الدكتور/ حكمت بشير. انظر: التفسير الصحيح ٣٨٩/٤ ، وأخرجه أيضاً أبو الشيخ في العظمة ٢٣٢/١ رقم (١٧) من طريق ابن عبدالأعلى به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣٧/٦ إلى عبدالرزاق وابن المنذر.

(٢) جامع البيان ٥١٨/٢١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٣) جامع البيان ٢٤٨/١٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٤) هو: علي بن الحسن الرازي الهسنجانيّ الرّازيّ أخو عبد الله بن الحسن، قال عنه الذهبي: ثقة صاحب حديث ومطواف، توفي سنة خمس وسبعين ومائتين. انظر: تاريخ دمشق ٣٤٣/٤١ رقم (٤٨٦١)، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٠٠/٢٠ رقم (٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢٦١٥/٨ رقم (١٤٦٩٨)، قال الدكتور/ عطية بن نوري الفقيه: الإسناد من ابن أبي حاتم إلى أبي الجماهر صحيح، ومنه مقبول إلى قتادة لحال سعيد بن بشير. أسانيد نسخ التفسير ص ٤٥٩ ، وقد تقدم الكلام على سعيد بن بشير. انظر: ص ٨٣ .

٣٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M f g h i j k l m L [الليل: ١-٢] قال: «آيتان عظيمتان يكررهما[٢] الله على الخلائق»[٣].

التعليق:

دلت هذه الآثار على النوع الثاني من دلالات الآيات الدالة على وجود الله وهي دلالة الآفاق، وهذه الدلالة واضحة المعاني لكل من أنار الله بصيرته فتأمل في هذه المخلوقات العظيمة من حوله واعتبر بها فعرف أن خالقها واحد وهو الله ﷻ ، قال تعالى: M : ; < = > ?@ A B C D E F H I J K L [الطور: ٣٥-٣٦].

وقد حث الله جل وعلا عباده على التفكر في مخلوقاته، قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L L[البقرة: ١٦٤]، وقال سبحانه: M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d L [آل عمران: ١٩٠]، وقال: M * + , - . / ٣ L [الجاثية: ٣] وغيرها من الآيات.

---

(١) جامع البيان ١٧٦/٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن جرير أيضاً في تفسيره ١٧٦/٢٢ من طريق أبي العوام عن قتادة قال: «ما (ترك الله) شيئاً من خلقه إلا عَبَّده له طوعا وكرها».

(٢) في بعض النسخ: يكورهما.

(٣) جامع البيان ٤٥٥/٢٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

ثم إنه من عظيم فضله سبحانه ورحمته بخلقه أنه لم يكلهم إلى هذا التفكر فقط فيجازيهم بناء عليه، بل أقام عليهم الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل لهم ما حولهم من الآيات الآفاقية دليلا على أن ما أنزله حق، قال تعالى: M سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ L [فصلت: ٥٣] [1]، قال السعدي - : "فإن قلتم أو شككتم بصحته[2] وحقيقته فسيقيم اللّه لكم ويريكم من آياته في الآفاق كالآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه اللّه تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق"[3].



(١) نقل ابن جرير - الخلاف في المقصود بالآفاق في هذه الآية وذكر أن من أهل العلم من قال: بأن الآفاق هي وقائع النبي ﷺ بنواحي بلد المشركين من أهل مكة وأطرافها، ومنهم من قال: بأنه تعالى عنى بذلك أنه يريهم نجوم الليل وقمره وشمس النهار، وقالوا: عني بالآفاق آفاق السماء، ورجح ابن جرير القول بأنها وقائع النبي ﷺ. انظر: جامع البيان ٢٠/٤٦١-٤٦٢ .

(٢) أي: القرآن .

(٣) تفسير السعدي ص ٧٩٨ .

المبحث الثاني:

الآثار الواردة عنه في توحيد الألوهية.

أولا: ما أثر عنه في بيان معنى التوحيد الذي دعت إليه الرسل.

ثانيا: ما أثر عنه في بيان اتفاق دعوة الرسل على الدعوة إلى التوحيد.

ثالثا: ما أثر عنه في فضائل كلمة التوحيد " لا إله إلا الله ".

رابعا: ما أثر عنه في شروط " لا إله إلا الله ".

خامسا: ما أثر عنه في الشفاعة.

سادسا: ما أثر عنه في التوسل ومعنى الوسيلة.

سابعا: ما أثر عنه في مسألة سماع الموتى.

ثامنا: ما أثر عنه في الرقى.

تاسعا: ما أثر عنه في التبرك.

عاشرا: ما أثر عنه في الولاء والبراء.

حادي عشر: ما أثر عنه في بعض أنواع العبادة.

ثاني عشر: ما أثر عنه في القوادح في التوحيد.

تمهيد:

إن "توحيد الآلهية المبني على إخلاص التأله لله تعالى من: المحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والدعاء؛ والذي ينبني عليه إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يجعل فيها شيئا لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما"(١)، إن هذا التوحيد هو الذي بعث الله به الرسل وأنزل من أجله الكتب قال تعالى: M D E F G H I J K L M N L [النحل: ٣٦]، فما من رسول إلا دعا قومه إلى هذا التوحيد؛ فهؤلاء أنبياء الله: نوح، وهود، وصالح، وشعيب) جميعهم قالوا لأقوامهم: Mٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ L [الأعراف: ٧٣]، وكذلك نبينا محمد ﷺ قد كانت دعوته إلى هذا التوحيد، فإنه مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو قومه إلى إفراد الله بالعبادة، ثم لمّا قوي التوحيد في قلوب أصحابه فرض الله عليه بقية الفرائض.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - : "والله ﷻ قد أرسل جميع رسله وأنزل جميع كتبه بأن لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، لا يعبد معه لا ملك ولا نبي ولا صالح ولا تماثيل ولا قبور ولا شمس ولا قمر ولا كوكب ولا ما صنع من التماثيل لأجلهم، ولا شيء من الأشياء وبيَّن أن كل ما يعبد من دونه فإنه لا يضر ولا ينفع وإن كان ملكا أو نبيا وأن عبادته كفر"(٢)، وإن هذا ليدلنا على فضل هذا التوحيد وأهميته.

فتوحيد الألوهية هو أعظم أنواع التوحيد الثلاثة، "وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده"(٣)، والحديث عن توحيد الألوهية يتضمن ذكر بعض أنواع العبادة والتي عرّفها

(١) تيسير العزيز الحميد ١/١٤٤ .

(٢) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني؛ الرد على الإخنائي، ٢ج. الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد بن مونس العتري، (المملكة العربية السعودية: دار الخزار، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ص ٩٨ .

(٣) عبدالرحمن ناصر السعدي؛ القول السديد شرح كتاب التوحيد، الطبعة الأولى، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، (المملكة العربية السعودية: دار الخزار، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، ص ٤٢ .

شيخ الإسلام - بقوله: "العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله "(١).

وقد وردت آثار متنوعة عن قتادة - مما يتعلق بهذا التوحيد كتفسير بعض الآيات الواردة في معنى توحيد الألوهية وفضله وشروطه، وكذلك ما ورد عنه في بعض أنواع العبادة، وبعض المسائل المتعلقة بالتوحيد كالشفاعة والتوسل وسماع الموتى والولاء والبراء، وما يضاد التوحيد من النواقض والنواقص، وهذا ما سيأتي ذكره في المباحث التالية.



(١) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني الدمشقي؛ العبودية، الطبعة السابعة، تحقيق: محمد زهير الشاويش، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، ص ٤٤ .

أولا: ما أثر عنه في بيان معنى التوحيد الذي دعت إليه الرسل:

٣٦) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M g h i j k l L [الإسراء: ٢٣] قال: «أمروا ألا يعبدوا إلا الله»(١).

٣٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ ´ µ L [الزخرف: ٤٥] يقول: «سل أهل التوراة والإنجيل: هل جاءهم الرسل إلا بالتوحيد أن يوحِّدوا الله وحده؟ قال: وفي بعض القراءة: (واسأل الذين أرسلنا إليهم رسلنا قبلك أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون)»(٢).

٣٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M G H I J K L M N O L [الجن: ١٨] «كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحِّد الله وحده»(٣).

التعليق:

في هذه الآثار بيان من قتادة - لمعنى التوحيد الذي أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل، وهو: أن يُوحَّد الله وحده، والمراد بهذا التوحيد هو توحيد العبادة، وقد دل

(١) تفسير القرآن ٢/٢٩٦ رقم (١٥٥٣)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٤/٥٤٢ من طريق معمر به نحوه.

(٢) جامع البيان ٢٠/٦٠٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرج عبدالرزاق في تفسيره ٣/١٧٠ رقم (٢٧٧٠) عن معمر عن قتادة نحوه، والذي عند ابن جرير أوضح في المقصود وهو زيادة قوله: "أن يوحدوا الله وحده"، وقد عزا السيوطي في الدر المنثور ٥/٧٢٦ هذا الأثر إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) جامع البيان ٢٣/٣٤١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن جرير أيضاً في نفس الجزء و الصفحة من طريق معمر عن قتادة وآخره: "فأمر الله نبيه أن يخلص له الدعوة إذا دخل المسجد".

على ذلك تمام الآية المذكورة في الأثر الثاني، قال تعالى: M وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ ´ µ ¶ ¸ دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾ L [الزخرف: ٤٥]، قال ابن كثير - : (أي: جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد)(١).

وفي الأثر الثالث يذكر قتادة - أن ما عليه اليهود والنصارى من اعتقاد منافٍ للتوحيد الذي أمر الله به وهو أن يوحّد وحده، ويؤخذ من هذا أن معنى التوحيد عند قتادة - هو إفراد الله بالعبادة، وهذا ما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة وعليه إجماع السلف، فأما أدلة الكتاب فمنها قوله تعالى: M C D E F G H I L [الذاريات: ٥٦]، وقوله: M g h i j k l ...L [النساء: ٣٦] وغيرها من الآيات التي تدل على أمر الله لعباده بعبادته وحده، وأما السنة فمنها حديث ابن عباس قال: $لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل ﷺ إلى نحو أهل اليمن قال له: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى...#(٢) وفي رواية: $ فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله7(٣).

ولقد سبق إيراد بعض آثار السلف التي تبين معنى قوله تعالى: M وَمَا : ; < = > ? @ L [يوسف: ١٠٦](٤) وأن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ويشركون في توحيد العبادة الذي من أجله خلق الله الخلق، قال الطحاوي - في

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/٣١٤٨ .

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد - باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى - حديث رقم (٧٣٧٢)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام - حديث رقم (١٩).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة - باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة - حديث رقم (١٤٥٨)، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان - باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام - حديث رقم (١٩).

(٤) انظر: ص ٧٢ - ٧٣ .

العقيدة التي جمعها على مذهب الفقهاء أبي حنيفة وصاحبيه F جميعا حيث قال: "نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له..."[1] ، قال ابن أبي العز: "فالتوحيد أول الأمر وآخره، أعني توحيد الإلهية، فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها: الكلام في الصفات. والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء. والثالث: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه / أن يعبد وحده لا شريك له"[2].

وبهذا يتبين صحة ما ورد عن قتادة - من آثار في معنى التوحيد، وأن معناه إفراد الله بالعبادة بخلاف ما عليه أهل البدع الذين فسّروا توحيد الله ﻷ بغير هذا المعنى.

ثانيا: ما أثر عنه في بيان اتفاق دعوة الرسل على الدعوة إلى التوحيد، وأن دين الأنبياء واحد وهو دين الإسلام:

٣٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M h i j k l L[3] [آل عمران: ٣٤] قال: «في النية، والعمل، والإخلاص، والتوحيد له»[4].

---

(١) أبو جعفر الطحاوي الحنفي؛ متن العقيدة الطحاوية، الطبعة الأولى، (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، ص ٨ .

(٢) علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي؛ شرح العقيدة الطحاوية، الطبعة الثانية، الإصدار الثاني، ٢ج. ، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٥م)، ج ١ ، ص ١٢٥ .

(٣) قال ابن جرير: "وإنما معناه ذرية دين بعضها دين بعض، وكلمتهم واحدة، وملتهم واحدة ، في توحيد الله وطاعته". جامع البيان ٣٣٠/٥ .

(٤) جامع البيان ٣٣٠/٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٥/٢ رقم (٣٤١٨) من طريق شيبان عن قتادة مثله، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥١٢/٣ إلى عبد بن حميد.

٤٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: M ? @ A B C D E F G L [آل عمران: ٥٥] : «هم أهلُ الإسلام الذين اتبعوه على فطرته وملته وسُنته، فلا يزالون ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة»(١).

٤١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M ! " # $ % & L [آل عمران: ٧١] يقول: «لم تلبسون اليهودية والنصرانية بالإسلام، وقد علمتم أنّ دين الله الذي لا يقبل غيرَه الإسلام، ولا يجزي إلا به؟»(٢).

٤٢) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، ثنا صفوان، ثنا الوليد، ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M (* L(٣) [آل عمران: ٧١] قال: «وهم يعلمون أنه رسول الله، وكتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله»(٤).

٤٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: Mيَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ L [آل عمران: ٩٩] يقول: «لم

---

(١) جامع البيان ٥/٤٥٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٥٩٩ إلى عبد بن حميد.

(٢) جامع البيان ٥/٤٩٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٧٧ عقب الأثر رقم (٣٦٧٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٥٩٩ إلى عبد بن حميد.

(٣) هكذا وردت الآية في تفسير ابن أبي حاتم، وبذكر الآية تامة يظهر مراد قتادة - ، وتمام الآية قوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + L [آل عمران: ٧١].

(٤) تفسير القرآن العظيم ١/٩٩ رقم (٤٦٠)، قال الدكتور/ عطية بن نوري الفقيه: الإسناد من ابن أبي حاتم إلى الوليد بن مسلم - ومنه مقبول إلى قتادة - ولا يخشى من تدليس الوليد بن مسلم فقد صرّح بالتحديث. أسانيد نسخ التفسير ص ٤٥٩ .

تصدون عن الإسلام وعن نبي الله من آمن بالله، وأنتم شهداء فيما تقرأون من كتاب الله أن محمدًا رسولُ الله، وأنّ الإسلام دين الله الذي لا يَقبل غيره ولا يجزى إلا به، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل»[1].

٤٤) قال عبد الرزاق: معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M j k l m n L [المائدة: ٤٨] قال: «الدين واحد، والشريعة مختلفة»[2].

٤٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M j k l m n L [المائدة: ٤٨] يقول: «سبيلا وسُنّة. والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحلُّ الله فيها ما يشاء، ويحرِّم ما يشاء بلاءً، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيدُ والإخلاصُ لله، الذي جاءت به الرسل»[3].

٤٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M M N O P L [الرعد: ٢] : «وأن الله تبارك وتعالى إنما أنزل كتابه وأرسل رسله، ليُؤمَن بوعده، وليُستيقَن بلقائه»[4].

---

(١) جامع البيان ٥/٦٣٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧١٨ عقب الأثر رقم (٣٨٨٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٧٠٢ إلى عبد بن حميد.

(٢) تفسير القرآن ٢/٢٢ رقم (٧٢٠)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٨/٤٩٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١١٥٢ رقم (٦٤٨٧).

(٣) جامع البيان ٨/٤٩٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١١٥٢رقم (٦٤٨٨) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٣٤٣ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ.

(٤) جامع البيان ١٣/٤١٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٢١٧ رقم (١٢١٠٠) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٣٦٢ إلى أبي الشيخ.

٤٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M m n o p q r s t L [النحل: ٢] : «إنما بعث الله المرسلين أن يُوحَّد الله وحده ، ويطاع أمره ، ويجتنب سخطه»(١).

٤٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M وَكَانَ ´ µ ¶ ...الآية L [الكهف: ٨٢] « فلا يعجبني الرجل يقول: ما شأن الكنز؟ أحلّ لمن كان قبلنا وحُرّم علينا، فإن الله يحلّ من أمره ما يشاء ويحرّم، وهي السنن والفرائض، ويحلّ لأمة، ويحرّم على أخرى، ولكنّ الله لا يقبل من أحد مضى إلا الإخلاص والتوحيد له»(٢).

٤٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴿٢٥﴾ L [الأنبياء: ٢٥] : «به أرسلت الرسل ؛ بالإخلاص والتوحيد ، لا يقبل منهم - قال أبو جعفر: أظنه أنا قال:- "عملٌ" حتى يقولوه ويقرّوا به ، والشرائع مختلفة ؛ في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في إخلاصٍ لله وتوحيدٍ له»(٣).

٥٠) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ´ µ L [الزخرف: ٤٥] يقول: «سل أهل الكتاب: هل كانت الرسل تأتيهم بالتوحيد؟ أكانت تأتيهم بالإخلاص؟»(٤).

---

(١) جامع البيان ١٤/١٦٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) جامع البيان ١٥/٣٦٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢/٣٤٠ رقم (١٧٠٠) عن معمر عن قتادة مختصراً جداً، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٣٨١ رقم (١٢٩٣٠) معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩/٦١٨ إلى ابن المنذر.

(٣) جامع البيان ١٦/٢٥٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/٥٦٨ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) تفسير القرآن ٣/١٧٠ رقم (٢٧٧٠)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه

٥١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M [\ ] ^ _ ` L [النجم: ٥٦] : «إنما بعث محمد ﷺ بما بعث الرسل قبله»(١).

٥٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M f g h i j k L [نوح: ٣] قال: «أرسل الله المرسلين بأن يُعْبَد اللهُ وحده، وأن تُتَّقى محارمه، وأن يُطاع أمره»(٢).

التعليق:

دلت هذه الآثار على أن التوحيد والإخلاص هو أساس دعوة الرسل وأصل كلمتهم ومحور رسالتهم، وقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية على هذا الأمر ، قال تعالى: M D E F G H I J K L M N L [النحل: ٣٦]، وقال: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / L [الأنبياء: ٢٥] ، قال ابن كثير - : "فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له"(٣).

عبدالرزاق أيضاً في المصنف ١٢٥/٦ ، وابن جرير في تفسيره ٦٠٤/٢٠ من طريق معمر به نحوه، وكذلك في ٦٠٤/٢٠ من طريق سعيد عن قتادة ولفظه: "سل أهل التوراة والإنجيل، هل جاءهم الرسل إلا بالتوحيد أن يوحدوا الله وحده؟"، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢٦/٥ إلى عبد ين حميد وابن المنذر.

(١) جامع البيان ٩٣/٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً عبدالرزاق في تفسيره ٢٥٦/٣ رقم (٣٠٤٩) عن معمر عن قتادة بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧/١٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) جامع البيان ٢٤٢/٢٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٠٥/١٤ إلى عبد بن حميد.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٣١٢/٥ .

واختلاف شرائع الأنبياء مع اتفاقهم على أصل التوحيد قد جاء في الكتاب والسنة ما يدل عليه، قال تعالى: M j k l m n L [المائدة: ٤٨]، وقال ﷺ: $أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة قالوا: كيف؟ يا رسول الله! قال: الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتَّى، ودينهم واحد وليس بيننا نبي7(١)، فدل هذا على أن دين دين الأنبياء جميعاً هو دين الإسلام الذي هو توحيد الله جل وعلا، وأما شرائعهم فهي مختلفة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - : "ودين الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين وقوله تعالى: M ? @ A B C D E F L [آل عمران: ٨٥] عامٌّ في كل زمان ومكان؛ فنوح، وإبراهيم، ويعقوب، والأسباط، وموسى، وعيسى، والحواريون، كلهم دينهم الإسلام الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له ...، - إلى أن قال: - فدين الأنبياء واحد وإن تنوعت شرائعهم، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: $إنا معشر الأنبياء ديننا واحد7(٢) قال تعالى: M J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` a c d e f g h L [الشورى: ١٣] "(٣).

قال الصنعاني - : " الأصل الثاني: أن رسل الله وأنبياءه - من أولهم إلى آخرهم - بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة، وكل رسول أول ما يقرع به أسماع

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل - باب فضائل عيسى عليه السلام - حديث رقم (٢٣٦٥).

(٢) لم أجده في الصحيحين بهذا اللفظ، والذي ورد فيهما قوله ﷺ: "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبي. وهذا لفظ مسلم والذي عند البخاري لم يرد فيه أن دين الأنبياء واحد.

(٣) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية؛ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، الطبعة الثانية، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالكريم اليحي، (المملكة العربية السعودية: مكتبة دار المنهاج، ١٤٣١هـ)، ص ١١٦ .

قومه قوله: M ; < = > ? @ A L [الأعراف: ٥٩]، M xwM y z { | L [هود: ٢٦]، M f g h i j k L [نوح: ٣] وهذا[1] الذي تضمنه قول: "لا إله إلا الله"، فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان، ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه، وهذا الأصل لا مرية فيما تضمنه، ولا شك فيه وفي أنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويحققه "[2].

ثالثا: ما أثر عنه في فضائل كلمة التوحيد "لا إله إلا الله":

٥٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M . / عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ L [البقرة: ١٩١] : «كانوا لا يقاتلون فيه حتى يبدءوا بالقتال، ثم نسخ بعد ذلك، فقال: M F G H I J L [البقرة: ١٩٣] : حتى لا يكون شرك M K L M L [البقرة: ١٩٣] أن يقال: لا إله إلا الله ، عليها قاتل نبي الله ﷺ ، وإليها دَعا»[3].

---

(١) في الكتاب "وهذه" ، والصحيح "وهذا" لأن الإشارة لمذكر.

(٢) محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني؛ تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، الطبعة الأولى، (مصر: مطبعة المنار، ١٣٤٨هـ)، ص ٣ .

(٣) جامع البيان ٢٩٥/٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن جرير أيضاً في تفسيره ٣٠١/٣ واقتصر فيه على تفسير قوله تعالى: M K L M L [البقرة: ١٩٣] "أن يقال لا إله إلا الله"، وأخرج مثله في ١٧٩/١١ عند تفسير قوله تعالى: M وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ © وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ L [الأنفال: ٣٩]، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٨/١ رقم (١٧٣٥) عند تفسير قوله تعالى: M K L M L [البقرة: ١٩٣] بصيغة التمريض (روي) مختصراً جداً ، والطبراني في الدعاء ١٥١٣/٢ رقم (١٥٥٨) من طريق سعيد به مختصراً، والنحاس في ناسخه ص ٢٨ ، سورة البقرة - باب ذكر الآية الثلاث عشرة، من طريق سعيد عن قتادة نحوه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٧١/١ مفرقاً على شطرين: أما الشطر الأول

٥٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M Q R S T U L [البقرة: ١٩٣] «والظالم الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله»(١).

٥٥) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M ! " # L [الرعد: ١٤] قال: «شهادة أن لا إله إلا الله»(٢).

٥٦) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M s L [إبراهيم: ١٥] قال: «استنصرت الرسل على قومها، M t u v w L [إبراهيم: ١٥] بعيد عن الحق معرض عنه أبى أن يقول: لا إله إلا الله»(٣).

٥٧) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M h i j L [النحل: ٦٠] قال: «شهادة أن لا إله إلا الله»(٤).

فمن أول الأثر إلى قوله: "ثم نسخ بعد ذلك" وهذا عزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبي داود في ناسخه وابن جرير، وأما الشطر الثاني فمن قوله تعالى: M وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ © L [الأنفال: ٣٩] إلى آخر الأثر وهذا عزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه وأبي الشيخ.

(١) جامع البيان ٣/٣٠٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً النحاس في ناسخه ص ٢٨ - سورة البقرة - باب ذكر الآية الثلاث عشرة من طريق سعيدة عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧١ إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) تفسير القرآن ٢/٢٣٣ رقم (١٣٦٦)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرج ابن جرير في تفسيره ١٣/٤٨٦ من طريق بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة نحوه.

(٣) تفسير القرآن ٢/٢٤٣ رقم (١٤٠١)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٣/٦١٦ من طريق سعيد عن قتادة نحوه، وابن أبي حاتم ٧/٢٢٣٨ رقم (١٢٢٣١) معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/١٣٧ إلى ابن المنذر.

(٤) تفسير القرآن ٢/٢٧٠ رقم (١٤٩٢)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٤/٢٥٨ من طريق معمر به، وابن أبي حاتم ٧/٢٢٨٧ رقم (١٢٥٤٧) معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩/٦٤ إلى ابن المنذر.

٥٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: Mوَإِذَا ´ µ ¶ ¸ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ L [الإسراء: ٤٦] : «وإن المسلمين لما قالوا: لا إله إلا الله، أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم، فضاقَها[١] إبليس وجنوده، فأبى الله إلا أن يمضيَها وينصرها ويفلِجَها[٢] ويظهرها على من ناوأها[٣]، إنها كلمة من خاصم بها فَلَج ، ومن قاتل بها نُصِر، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين، التي يقطعها الراكب في ليال قلائل، ويسير الدهر في فِئام[٤] من الناس لا يعرفونها ولا يقرّون بها»[٥].

٥٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M G H I J K L L [الروم: ٢٧] : «مثله أنه لا إله إلا هو، ولا ربّ غيره»[٦].

٦٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: Mوَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ L [الأحزاب: ٤٦] : «إلى شهادة أن لا إله إلا الله»[٧].

---

(١) فضاقها: في الأثر الذي سيأتي بعد قليل رقم (٦٤) : فصادمها.

(٢) الفلج: هو الفوز والغلبة، أو الفرجة بين الشيئين المتساويين، والمقصود هنا هو المعنى الأول، ففلج الله لكلمة لا إله إلا الله هو بمعنى نصرها، فيكون الفوز والغلبة لها ولأهلها. انظر: الصحاح في اللغة للجوهري ١/٣٣٥ ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/٤٤٨ .

(٣) ناوأها: ناء ينوء نوءا أي: نهض بجهد ومشقة، والمناوأة هي المعاداة وتقاس على المناهضة، لأن في المناهَضة هذا ينوءُ إلى هذا وهو ينوءُ إليه أي يَنْهَض. انظر: (الصحاح في اللغة ١/٧٨ ومعجم مقاييس اللغة ٥/٣٦٦).

(٤) فئام: هم الجماعة من النّاس. انظر: كتاب العين ٨/٤٠٥ و تهذيب اللغة ١٥/٥٧٢ .

(٥) جامع البيان ١٤/٦٠٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٦) جامع البيان ١٨/٤٨٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر الدر المنثور ٥/٢٩٨ إلى ابن أبي حاتم.

(٧) جامع البيان ١٩/١٢٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر الدر المنثور ٥/٣٩١ إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

٦١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا L [فاطر: ٣٢] : «شهادة أن لا إله إلا الله»(١).

٦٢) قال عبدالرزاق: أنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M V W X Y L [الزمر: ٣] قال: «فشهادة أن لا إله إلا الله»(٢).

٦٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ L [غافر: ٧] : «لأهل لا اله إلا الله»(٣).

٦٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M c d e f g h i L [الشورى: ١٣] قال: «أنكرها المشركون، وكبر عليهم شهادة أن لا إله إلا الله، فصادمها إبليس وجنوده؛ فأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يُمضيها وينصرها ويفلجه، ويظهرها على من ناوأها»(٤).

٦٥) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M a b c d e L [الزخرف: ٢٨] قال: «التوحيد والإخلاص، لا يزال في ذريته من يعبد الله وحده»(٥).
وحده»(٥).

---

(١) جامع البيان ٣٧٢/١٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) تفسير القرآن ١٢٨/٣ رقم (٢٦١٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٥٦/٢٠ من طريق سعيد عن قتادة مثله، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٠٢/٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) جامع البيان ٢٨٣/٢٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٤) جامع البيان ٤٨٢/٢٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر الدر المنثور ٦٩٦/٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) تفسير القرآن ١٦٨/٣ رقم (٢٧٦١)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٥٧٧/٢٠ من طريق معمر به نحوه.

٦٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M a b c d e L [الزخرف: ٢٨] قال: «شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد؛ لم يزل في ذريته من يقولها من بعده»(١).

٦٧) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن الحسن وقتادة في قوله تعالى: M r s t u v w x L [الفتح: ٢٦] قال: «شهادة أن لا إله إلا الله»(٢).

٦٨) قال ابن أبي شيبة(٣): حدثنا أبو داود، عن محمد بن سليم(٤)، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب: في القوم ينتهون إلى المسجد وقد صُلِّي فيه ، قال: يؤذنون ويقيمون، وقال قتادة: «لا يأتيك من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا: خير»(٥).

٦٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M] ^ _ ` a b c d L [المزمل: ١٠] : «"براءة" نسخت ما

---

(١) جامع البيان ٢٠/٥٧٧ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً البيهقي في الأسماء والصفات ١/٢٧٤ رقم (٢٠٩) من طريق شيبان عن قتادة نحوه، وقال محققه: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٢) تفسير القرآن ٣/٢١٦ رقم (٢٩١٨) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢١/٣١٢ من طريق سعيد عن قتادة مثله، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٧٨ إلى عبد بن حميد.

(٣) هو: عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان أبو بكر العبسي المعروف بابن أبي شيبة صاحب المصنف. انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٠/٦٦ رقم (٥١٨٥).

(٤) هو: محمد بن سليم الرّاسبيّ البصريّ، قيل كان مكفوفا، نزل في بني راسب فنسب إليهم، توُفي في ذي الحجة سنة ١٦٧هـ. انظر: تاريخ الإسلام ١٠/٥٥٧ رقم (٤٧٢)، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٢٩٢ رقم (٥٢٥٦).

(٥) المصنف ٢/٣٦١ رقم (٢٣١٥).

ههنا، أُمِر بقتالهم حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؛ لا يقبل منهم غيرها »[1].

٧٠) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحي[2]، ثنا العباس[3]، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة قال: «الحنيفية: شهادة أن لا إله الا الله، يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات، والعمات، وما حرم الله ﷻ ، والختان، وكانت حنيفة[4] في الشرك: كانوا أهل الشرك، وكانوا يحرمون في شركهم الأمهات والبنات والخالات والعمات، وكانوا يحجون البيت، وينسكون المناسك»[5].

التعليق:

لكلمة التوحيد - لا إله إلا الله - فضائل عظيمة، وقد ورد في الآثار السابقة ذكر جملة منها وهي كالآتي:

١- أنها الدين كله.

٢- عليها قاتل النبي ﷺ.

---

(١) جامع البيان ٢٣/٣٨٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً النحاس في ناسخه ص ٢٥٢ من طريق همام بن يحي عن قتادة نحوه.

(٢) هو: محمد بن يحي الواسطي نزيل بغداد، قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي وكان رجلا صالحا صدوقا في الحديث، انظر: الجرح والتعديل ٨/١٢٥ رقم (٥٦٢).

(٣) هو: العباس بن الوليد بن نصر أبو الفضل الباهلي النرسي البصري، كان متقنا صاحب حديث، مات سنة ٢٣٧هـ وقيل ٢٣٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١١/٢٧ رقم (١١) وميزان الاعتدال ٢/٣٨٦ رقم (٤١٨٤).

(٤) هكذا.

(٥) تفسير القرآن العظيم ١/٢٤٢ رقم (١٢٩٧)، وصحَّح إسناده: حكمت بشير، وعطية بن نوري نوري الفقيه. انظر: التفسير الصحيح ص ٥٣ ، وأسانيد نسخ التفسير ص ٤٦٥ ، وأخرجه ابن أبي حاتم أيضاً في تفسيره ٤/١٣٣١ رقم (٧٥٢٩) دون قوله: وكانت حنيفة في الشرك إلى آخره.

٣- إليها دعا النبي ﷺ.

٤- أنها أساس العدل والظالم من أبى أن يقولها.

٥- أنها دعوة الحق.

٦- أن من أبى أن يقولها فهو بعيد عن الحق معرض عنه.

٧- أنها المثل الأعلى.

٨- أن من خاصم بها فلج.

٩- أن من قاتل بها نصر.

١٠- أن الدعوة إليها هي حقيقة الدعوة إلى الله.

١١- أنها الكتاب الذي أورثه الله جل وعلا المصطفين من عباده.

١٢- أنها الدين الخالص.

١٣- أن أهلها هم أهل الإيمان.

١٤- فضيلتها عند ربنا جل وعلا.

رابعا: ما أثر عنه في شروط "لا إله إلا الله":

٧١) قال ابن جرير: حدثني بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله:
M ! " # $ % & ' ( ) * + , - .
/ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ L [البقرة: ١٧] : «وإن المنافقَ تكلم بـــ"لا إله إلا الله"، فأضاءت له في الدنيا؛ فناكَح بها المسلمين، وعادَّ(١) بها المسلمين، ووارثَ بها المسلمين، وَحقن بها دَمه وماله، فلما كان عند الموت سُلبها المنافق؛ لأنه لم يكن لها أصلٌ في قلبه، ولا حقيقةٌ في عمله»(٢).

---

(١) في بعض النسخ غازى.

(٢) جامع البيان ١/٣٣٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرج عبدالرزاق في تفسيره ١/٢٥٩ رقم (١٧) عن معمر عن قتادة نحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٧٢ إلى عبد بن حميد.

٧٢) قال ابن أبي حاتم: عن قتادة في قوله: M i j k l m L [سبأ: ٥٤] قال: « إياكم والشك والريبة! فإنه من مات على شك بعث عليه، ومن مات على يقين بعث عليه»(١).

التعليق:

شهادة أن لا إله إلا الله مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة، وما من مفتاح إلا وله أسنان، قيل لوهب بن منبه : "أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: نعم. ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فمن جاء به بأسنانه فتح وإلا لم يفتح"(٢).

وقد ذكر أهل العلم شروطاً لكلمة التوحيد لا تتحقق إلا بها، وكان مرجعهم في ذكر هذه الشروط هو استقراؤهم للكتاب والسنة، وقد جمع الشيخ حافظ الحكمي - هذه الشروط في أبيات فقال:

"وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقا وردت

فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبه"(٣)

وزاد بعضهم شرطاً ثامناً كما في هذين البيتين:

"علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإله من الأشياء قد ألها"(٤)

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣١٦٩/١٠ رقم (١٧٩١٤) معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥٧/٥ إلى عبد بن حميد.

(٢) الحجة في بيان المحجة ١٥٢/٢ رقم (٩١).

(٣) معارج القبول ٦٢/١ .

(٤) قد ذكر هذين البيتين كثير من الشراح من غير تسمية القائل.

ومما ورد في الأثرين السابقين من كلام لقتادة - نجد أنه يقرر أن مجرد النطق بشهادة أن لا إله إلا الله لا يكفي عند الله ﷻ ما لم يقترن بالنطق بها شروط معينة وهي:

١-أن يكون للشهادة أصل في قلب قائلها.

٢-أن يكون لها حقيقة في عمله.

٣-أن يكون النطق بها على يقين.

وأما ما ذكره في الأثر الثاني وإن كان عاماً في الشهادة وغيرها، فإن أول شيء يدخل في ذلك هو كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" التي هي أساس الاعتقاد.

خامسا: ما أثر عنه في الشفاعة:

٧٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة في قوله: M \ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m L [البقرة: ٢٥٤] : «قد علم الله أن ناسا يتحابون في الدنيا، ويشفع بعضهم لبعض، فأما يوم القيامة فلا خلة[1] إلا خلة المتقين»[2].

٧٤) قال عبدالرزاق: أنا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M b c d e f L [الزمر: ٣] قال: «إلا ليشفعوا لنا عند الله»[3].

(١) قال ابن القيم - : "وأما الخلة فتوحيد المحبة؛ فالخليل هو الذي توحد حبه لمحبوبه، وهي رتبة لا تقبل المشاركة، ولهذا اختص بها في العالم الخليلان إبراهيم ومحمد $ عليهما". روضة المحبين ص ٤٧ .

(٢) جامع البيان ٥٢٥/٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨٥/٢ رقم (٢٥٦٥) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) تفسير القرآن ١٢٨/٣ رقم (٢٦١٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٥٧/٢٠ من طريق سعيد عن قتادة نحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٣٢/١٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

٧٥) قال عبد الرزاق: نا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M T U V W X Y [
L [الزمر: ٤٣] قال: «هي من الآلهة ، اتخذناها لتشفع لنا»[1].

التعليق:

الشفاعة حقّ، وهي من رحمة الله جل وعلا بالخلق[2]، ولكنَّ مفهوم الشفاعة[3] مما ضل فيه كثيرٌ من الناس، فمنهم من غلا في بعض المخلوقين حتى عبدوهم من دون الله ﷻ كالذين عبدوا الملائكة والأنبياء والصالحين لينالوا شفاعتهم، وهذا هو الشرك الذي كان عليه أهل الجاهلية.

قال شيخ الإسلام: "والثاني: أنه يراد بذلك نفي الشفاعة التي أثبتها أهل الشرك، ومن شابههم من أهل البدع، من أهل الكتاب والمسلمين، الذين يظنون أن للخلق عند الله

---

(١) تفسير القرآن ١٣٣/٣ رقم (٢٦٣٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢١٧/٢٠ من طريق سعيد عن قتادة ولفظه: «M T U V W X Y [L الآلهة M [\ ] ^ _ ` L الشفاعة»، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٦٨/١٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) قال شيخ الإسلام: "فتلك الشفاعة هي لأهل الإخلاص بإذن الله ليست لمن أشرك بالله ولا تكون إلا بإذن الله، وحقيقته أن الله هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي أذن له أن يشفع؛ ليكرمه بذلك وينال به المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ﷺ". مجموع الفتاوى ٧٨/٧ .

(٣) الشفاعة في اللغة: هي كلام الشَّفيع للملِكِ في حاجة يسألها لغيره. انظر: تهذيب اللغة ١٣٥/١ ، وأما تعريف الشفاعة شرعا فهي كما قال ابن الأثير - : "قد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة وهي: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم. يقال شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع، والمشفِّع: الذي يقبل الشفاعة والمشفَّع الذي تقبل شفاعته". النهاية في غريب الأثر ١١٨٤/٢ .

من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه، كما يشفع الناس بعضهم عند بعض فيقبل المشفوع إليه شفاعة الشافع لحاجته إليه رغبة ورهبة ، كما يعامل المخلوقُ المخلوق بالمعاوضة "[1].

وقد أوضح قتادة - في هذه الآثار هذا المعنى الذي قصده المشركون من عبادتهم لغير الله، وهذه الشفاعة هي الشفاعة الشركية التي نفاها القرآن كما قال تعالى:

M \ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m

o p q r L [البقرة: ٢٠٤]

ومقابل هذه الشفاعة التي نفاها القرآن أثبت الله جل وعلا في آيات عديدة شفاعة بعض الخلق للبعض الآخر يوم القيامة ولكن بشروط معينة وهي:

١- إذن الله للشافع.

٢- رضاه عن المشفوع له.

والله جل وعلا لا يرضى عن أهل الشرك والكفر فبهذا لا تكون الشفاعة إلا لأهل التوحيد، قال تعالى: M وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ : ; < = > ? @ A L [غافر: ١٨]، قال ابن كثير - : "أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير "[2].

وقد دلّ على الشرطين الأول والثاني قوله تعالى: Mمَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ L [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: I M J K L M L [الأنبياء: ٢٨]، وقوله: M وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ à إِلَّا â بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ ç è é ê L [النجم: ٢٦].

---

(١) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية؛ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، (المملكة العربية السعودية، الرياض: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ص ٣١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٧/٣٠٧١ .

قال البغوي - : "M فَلِلَّهِ ٱلْأَخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ L [النجم: ٢٥] ليس كما ظن الكافر وتمنى بل لله الآخرة والأولى، لا يملك أحد فيهما شيئاً إلا بإذنه M وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ L يعبدهم هؤلاء الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله Mلَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ à L في الشفاعة M ç è é L أي: من أهل التوحيد، قال ابن عباس: يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه"(١).

وهذا هو المعنى الصحيح للشفاعة وهي ثابتة كما أثبتها الله جل وعلا وأثبتها نبيه $ ، أما في الدنيا فتكون بدعاء المؤمنين الأحياء بعضهم لبعض، وأما يوم القيامة فكما ورد في أنواع الشفاعة الواردة في السنة، وسيأتي ذكر بعضها في مباحث اليوم الآخر بإذن الله تعالى(٢).

سادسا: ما أثر عنه في التوسل ومعنى الوسيلة:

٧٦) قال عبدالرزاق: أرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: Mوَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ L [المائدة: ٣٥] قال: «القربة»(٣).

٧٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ L [المائدة: ٣٥] أي: «تقربوا إليه بطاعته والعملِ بما يرضيه»(٤).

---

(١) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي؛ تفسير البغوي "معالم التنزيل"، تحقيق: محمد عبدالله النمر و عثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلَّم الحرش، الإصدار الثاني، الطبعة الثالثة، (المملكة العربية السعودية، الرياض: دار طيبة ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ج ٤ ، ص ٢٥٩ .

(٢) للمزيد والفائدة في هذه المسألة المهمة انظر: كتاب الشفاعة للشيخ مقبل بن هادي الوادعي - ، ورسالة الشفاعة عند المثبتين والنافين دراسة مقارنة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتورة/ عفاف بنت حمد بن عبدالعزيز الونيس.

(٣) تفسير القرآن ١٦/٢ رقم (٧٠٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٤٠٤/٨ من قول السدي ومجاهد والحسن وعبدالله بن كثير.

(٤) جامع البيان ٤٠٤/٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر

٧٨) قال عبدالرزاق: أرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: Y X W V U TM L [الإسراء: ٤٢] قال: «لابتغوا التقرب إليه مع أنه ليس كما يقولون»[(١)].

٧٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: L Z Y X W V U T S R Q P O NMM [الإسراء: ٤٢] يقول: «لو كان معه آلهة إذن لعرفوا له فضله ومرتبته ومترلته عليهم، فابتغوا ما يقربهم إليه»[(٢)].

٨٠) قال عبدالرزاق: أرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: Mٱلْوَسِيلَةَ L [الإسراء: ٥٧] قال: «القربة والزلفة»[(٣)].

٨١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M ¶ ¸ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ L [الإسراء: ٥٧] قال: «كان أناس من أهل الجاهلية يعبدون نفراً من الجن، فلما بعث النبي ﷺ أسلموا جميعاً، فكانوا يبتغون أيهم أقرب»[(٤)].

التعليق:

إن مسألة التوسل ومعنى الوسيلة من أكثر المسائل التي وقع فيها خلاف بين أهل السنة وغيرهم من أهل البدع كالرافضة والصوفية وسائر القبورية، وقد أدّى فهمهم

المنثور ٢٩٢/٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(١) تفسير القرآن ٢٩٩/٢ رقم (١٥٧٠)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٦٠٣/١٤ من طريق معمر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٩/٩ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) جامع البيان ٦٠٣/١٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٣) تفسير القرآن ٣٠١/٢ رقم (١٥٧٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٦٣٢/١٤ من طريق معمر به.

(٤) جامع البيان ٦٣٠/١٤ وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

الخاطئ لمعنى التوسل والوسيلة إلى وقوعهم في البدع المنكرة بل وقوعهم في الشرك بالله ﷻ ، وذلك لاعتقادهم بأن التوسل المذكور في النصوص هو التوسل بذوات الصالحين أو بجاههم عند الله حتى بلغ بهم الأمر إلى سؤال الصالحين أنفسهم أن يقربوهم إلى الله جل وعلا زاعمين بأن هذا هو معنى الوسيلة في قوله تعالى: Mوَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ L [المائدة: ٣٥] ، ولكن بالرجوع إلى آثار السلف وتفسيرهم لمعاني القرآن، وإلى ما بينوه من معاني السنة؛ تتضح لنا المعاني الصحيحة لألفاظ الكتاب والسنة وبالتالي ينقطع الخلاف، ومن ذلك ما ورد عن قتادة - في معنى الوسيلة وأنها القربة و الزلفى إلى الله جل وعلا بطاعته و العمل بما يرضيه.

وقد جاء عن السلف في بيان معنى الوسيلة مثل ما ذكر قتادة - [1]، وقد أجمع أهل التفسير[2] على هذا المعنى واتفق عليه أهل السنة، قال شيخ الإسلام: "ولفظ (التوسل) قد يراد به ثلاثة أمور؛ أمران متفق عليهما بين المسلمين، أحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام، وهو التوسل بالإيمان به[3] وبطاعته"[4].

وللتوسل معانٍ أخرى صحيحة وردت بها الأدلة من الكتاب والسنة وهي:

أولا: التوسل إلى الله جل وعلا بأسمائه وصفاته، وقد دلّ عليه قوله تعالى: M C D E F G L [الأعراف: ١٨٠].

ثانيا: التوسل إلى لله ﷻ بالعمل الصالح ، وهذا دلّت عليه قصة أصحاب الغار[5].

---

(١) انظر: جامع البيان ٨/٤٠٢ و ١٤/٦٢٧ .

(٢) قال ابن كثير - بعد أن نقل أقوال السلف في معنى الوسيلة: "وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه". تفسير القرآن العظيم ٣/١١٦٥ .

(٣) أي: بالرسول $.

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٣٥ .

(٥) انظر: صحيح البخاري: كتاب الإجارة - باب من استأجر أجيرا فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره فاستفضل - حديث رقم (٢٢٧٢)، وصحيح مسلم: كتاب الزهد والرقاق - حديث رقم (٢٩٦٤).

ثالثا: التوسل بدعاء الرجل الصالح، ودليله حديث الضرير[1]، وقصة عمر بن الخطاب مع العباس في الاستسقاء[2].[3]

فائدة: يقول شيخ الإسلام: "ومحمد ﷺ أعظم جاهاً من جميع الأنبياء والمرسلين، لكن شفاعته ودعاؤه إنما ينتفع بهما من شفع له الرسول ودعا له، فمن دعا له الرسول وشفع له توسل إلى الله بشفاعته ودعائه، كما كان أصحابه يتوسلون إلى الله بدعائه وشفاعت، وكما يتوسل الناس يوم القيامة إلى الله تبارك وتعالى بدعائه وشفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا، ولفظ (التوسل) في عرف الصحابة كانوا يستعملونه في هذا المعنى، والتوسل بدعائه وشفاعته ينفع مع الإيمان به، وأما بدون الإيمان به فالكفار والمنافقون لا تغني عنهم شفاعة الشافعين في الآخرة"[4].

---

(١) عن عثمان بن حنيف:$أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي اللهم فشفعه في7. أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات - (١١٩) باب - حديث رقم: (٣٥٧٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأخرجه ابن ماجه: كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها - باب ما جاء في صلاة الحاجة: حديث رقم: (١٣٨٥)، وصححه الألباني.

(٢) عن أنس ﷺ :$أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسّل إليك بعمّ نبينا فاسقنا، قال: فيسقون7. صحيح البخاري: كتاب الاستسقاء - باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا - حديث رقم (١٠١٠)، وكتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - باب ذكر العباس بن عبدالمطلب ﷺ ، حديث رقم (٣٧١٠).

(٣) انظر: التوسل أنواعه وأحكامه لمحمد ناصر الدين الألباني - .

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٠ .

سابعا: ما أثر عنه في مسألة سماع الموتى:

٨٢) قال البخاري: حدثني عبد الله بن محمد، سمع روح بن عبادة، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال:$ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد[1] قريشٍ فقذفوا في طويٍّ من أطواء[2] بدر[3] خبيثٍ مخبث. وكان إذا ظهر على قومٍ أقام بالعرصة[4] ثلاث ليال. فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشُدّ عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الرَّكي[5] فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم:$ يا فلان ابن فلان! ويا فلان ابن فلان! أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاًّ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاًّ؟#. قال: فقال عمر: يا رسول الله! ما تكلم من أجسادٍ لا أرواح لها؟! فقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم7. قال قتادة[6]: «أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقيمة[7] وحسرة وندماً[1]»[2].

---

(١) صناديد: جمع صنديد وهي كلمة تدل على عظم قدر وعظم جسم، والصنديد هو السيد الشريف. معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣١٢/٣ .

(٢) الأطواء: جمع طوي وهي البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار. فتح الباري ٣٧٧/٧ .

(٣) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين المدينة ١٥٠كم على طريق ينبع البحر، ويقال إنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة وقيل غير ذلك، وهو موضع الوقعة المباركة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام، وفرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة ٢هـــ. انظر: معجم البلدان ٣٥٧/١ .

(٤) العرصة: هي كل موضع واسع لا بناء فيه. النهاية في غريب الأثر ٢٠٨/٣ .

(٥) أي: طرف البئر ، وفي رواية أخرى: شفير الركي. انظر: فتح الباري ٣٧٧/٧ .

(٦) قال ابن حجر - : هو موصول بالإسناد المذكور. انظر: فتح الباري ٣٧٨/٧ .

(٧) نقيمة: يقال: نقم ينقم نقما، ونقم ينقم ونقمت نقيمة إذا أنكرت الأمر وانتقمت منه: عاقبته بما بما صنع. غريب الحديث للحربي ٤٦٢/٢ ، وفي الرواية المخرجة عند البيهقي: "نقمة" ومعناها:

٨٣) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ثنا هشام بن خالد، ثنا شعيب بن إسحاق، ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M إِنَّكَ : ; > L [النمل: ٨٠] قال: « هذا مثل ضربه الله للكافر؛ كما لا يسمع الميِّت كذلك لا يسمع الكافر ولا ينتفع به. وفي قوله: M = > ? @ A B C L [النمل: ٨٠] يقول: لو أن أصمَّ ولّى مدبراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع »[٣].

٨٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن : ; < = > ? @ A L [فاطر: ٢٢] « كما لا يسمع من في القبور، كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع »[٤].

المكافأة بالعقوبة. لسان العرب ٤٥٣١/٥٠ .

(١) قال ابن حجر - : أراد قتادة بهذا التأويل الرد على من أنكر أنهم يسمعون كما جاء عن عائشة " أنها استدلت بقوله تعالى: M إِنَّكَ : ; > L [النمل: ٨٠]. فتح الباري ٣٧٨/٧

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المغازي - باب قتل أبي جهل - حديث رقم (٣٩٧٦) ، وأخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر ص ٦٤ رقم (٧١) وقال فيه بعد أن أورد الحديث من رواية ثابت البناني عن أنس بن مالك ﷺ: وبمعناه رواه قتادة بن دعامة عن أنس بن مالك ﷺ ثم قال قتادة: " أحياهم الله بأعيانهم حتى يسمعوا قوله توبيخاً وصغاراً ونقمة وندامة ".

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٩٢١/٩ رقم (١٦٥٨١)، وحسّن إسناده عطية بن نوري الفقيه. أسانيد نسخ التفسير ص ٤٦٠ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٩٨/١١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) جامع البيان ٣٥٩/١٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٧٩/١٠ رقم (١٧٩٧٢) عن قتادة معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٧٥/١٢ إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

التعليق:

الموتى في قبورهم في حياة برزخية لا يعلمها إلا الله ﷻ ، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بذلك ، قال تعالى: Mوَمِن وَرَآيِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ ´ µ L[المؤمنون: ١٠٠] قال ابن جرير: "ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع"(١).

وقد اختلف الناس في الحياة البرزخية، وهل الموتى يسمعون كالأحياء من أهل الدنيا أم لا؟ فاعتقد البعض بأن الموتى يسمعون؛ فدعوهم وسألوهم من دون الله ﷻ ، ومما استدلوا به على اعتقادهم هذا حديث أبي طلحة المذكور ضمن الآثار والذي فيه قول عمر ﷺ لرسول الله ﷺ : ما تكلم من أجسادٍ لا أرواح لها؟! فأجابه النبي ﷺ بقوله:$ والذي نفس محمد بيده! ما أنتم بأسمع لما أقول منهم#(٢) وحديث أنس بن مالك ﷺ أن نبي الله ﷺ قال:$ إن العبد إذا وضع في قبره، وتولوا عنه أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم ...الخ#(٣).

وأما من نفى سماع الموتى فقد استدل بالآيات المذكورة ضمن الآثار، وبما ورد عن أم المؤمنين عائشة " عندما استدلت بقوله تعالى: Mإِنَّكَ : ; < L[النمل: ٨٠] وقوله: M< = > ? @ A L[فاطر: ٢٢] على نفي السماع، وأجابوا عن حديث عمر المذكور آنفا بأن ذلك سماعٌ خاص، واستنتجوا من الحديث أيضا أن عدم سماع الموتى قد كان مستقرا عند الصحابة % بدلالة استنكار عمر بن الخطاب ﷺ تكليم النبي ﷺ لأهل قليب بدر(٤).

---

(١) جامع البيان ١٠٩/١٧ .

(٢) تقدم تخريجه. انظر: ص ١١٨ .

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز - باب: الميت يسمع خفق النعال - حديث رقم (١٣٣٨) ، و باب ما جاء في عذاب القبر - حديث رقم (١٣٧٤) ، وأخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه - حديث رقم (٢٨٧٠).

(٤) انظر في هذه المسألة المهمة: كتاب الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات

ومن خلال ما ورد عن قتادة - من آثار في هذا المطلب يتبين أنه ينفي سماع الموتى؛ فإنه قد ذكر بأنهم لم يسمعوا كلام النبي ﷺ إلا بعد إحياء الله لهم، وذلك لعلة وهي توبيخهم وتصغيرهم، ولكي يكون نقمة عليهم وحسرة وندماً، وأما الأثران الثاني والثالث فدلا على المفهوم الصحيح للآيتين اللتين استدل بهما القائلون بعدم سماع الموتى؛ وأن المقصود بالآيتين هو تشبيه الكفار بالموتى الذين هم أصحاب القبور والذي يفهم منه نفي سماع الموتى.

ثامنا: ما أثر عنه في الرقى:

٨٥) قال عبدالرزاق: قال معمر تلا قتادة: L I H G F E D M [الفلق: ٤] قال: «إياكم ومخالط السحر من هذه الرقى»[1].

التعليق:

الرقى من الأعمال التي كانت في الجاهلية؛ ولما جاء الإسلام أقرّ بعضها ومنع من البعض الآخر، قال عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه :$ كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله! كيف ترى في ذلك، فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك#[2].

ولقد رَقى رسول الله ﷺ ورُقي ، قال البخاري - : باب رقية النبي ﷺ : ثم أورد حديثا عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال لثابت: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ ! قال: بلى، قال اللهم رب الناس، مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت؛ شفاء لا

لنعمان بن محمود الألوسي.

(١) تفسير القرآن ٣/٤٧٦ رقم (٣٧٤٣) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٤/٧٥٠ من طريق معمر به مثله.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب السلام - باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك - حديث رقم (٢٢٠٠).

يغادر سقما#[1]، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ 8أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد! اشتكيت؟ فقال: نعم. قال: باسم الله أرقيك؛ من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك باسم الله أرقيك7[2].

والرقية المشروعة لها شروط معينة مستنبطة من السنة النبوية، وهي: "أن تكون بكلام الله 1 ، أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي، وبما يعرف معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى"[3].

وقتادة - في هذا الأثر ينهى عن الرقية الشركية المشتملة على السحر، وبهذا يعلم أنه يقسّم الرقى إلى نوعين جائز ومنهي عنه كما سبق والله أعلم.

تاسعا: ما أثر عنه في التبرك:

٨٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: M ´ µ ¶ ¸ مُصَلًّى L [البقرة: ١٢٥] «إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها، ولقد ذكَر لنا بعض من رأى أثرَ عقِبه وأصابِعِه، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق[4] وانمحى[5]»[6].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب - باب رقية النبي ﷺ - حديث رقم (٥٤١٨) .

(٢) أخرجه مسلم: كتاب السلام - باب الطب والمرض والرقي - حديث رقم (٢١٨٦) .

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد ٣٧٧/١ لسليمان بن عبدالله فإنه قد نقل هذا عن السيوطي - .

(٤) اخلولق الثوب والجلد وغيرهما بلي والشيء اِملاس ولان واستوى وقارب، يقال اخلولقت السحابة أن تمطر، ويقال: اخلولق بعد تفرق تهيأ وتجمع. المعجم الوسيط ٢٥٢/١ .

(٥) انمحى: من المحو وهو لكل شيء يذهب أثره تقول أنا أمحوه. كتاب العين ٣١٤/٣ .

(٦) جامع البيان ٥٢٧/٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه الأزرقي في أخبار مكة وما جاء فيها من آثار ٥٣٢/١ رقم (٦٣٧) من طريق سعيد به.

٨٧) قال الفاكهي: حدثني أبو عمر الصوفي، قال: حدثني أحمد بن شبيب، عن يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة قال: «كانت شجرة عند الجمرة ، وكانت تُعبد - يعني في الجاهلية - قال: فأمر السلطان بها فقطعت»(١).

التعليق:

من البدع المنكرة التي ظهرت أواخر زمن الصحابة ممن لم يصحب النبي ﷺ : بدعة التمسح بمقام إبراهيم عليه السلام الذي ذكره الله ﷻ في كتابه وأمرنا بالصلاة عنده، فتكلف بعض الناس التمسح به رجاء بركته؛ وهذا من التبرك المذموم الذي جاء في شرعنا الحنيف النهي عنه، والواجب على كل مسلم أن يعبد الله جل وعلا بما شرع، وذلك بالتمسك بكتابه وسنة نبيه ﷺ كما قال تعالى:M p q r s t u v L [الحشر: ٧].

وأما بالنسبة لما ورد من تقبيل الحجر الأسود واستلام الركن اليماني فإن ذلك عبادة محضة أُمرنا بإتباع النبي ﷺ فيها، وليس ذلك التقبيل أو المسح من أجل التبرك بهما، فعندما قبّل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحجر الأسود قال: "إني أعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبّلك ما قبّلتك"(٢).

وفي الأثر الثاني الذي ذكره قتادة بيان نوعٍ آخر من أنواع التبرك المذموم؛ وهو التبرك بالأشجار الذي كان يفعله أهل الجاهلية، ومما يؤسف له وقوع بعض هذه الأمة في مثل ذلك؛ فعظّموا بعض هذه الأشجار رجاء بركتها حتى أدّى بهم ذلك الأمر لعبادتها من دون الله ﷻ ، وهذا ما أشار إليه قتادة - .

---

(١) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه للفاكهي ٢٥٤/٤ رقم (٢٥٦٧)، وعلق عليه محققه بقوله: شيخ المصنف لم أقف عليه وبقية رجاله موثقون.

(٢) أخرجه البخاري: باب ما ذكر في الحجر الأسود - حديث رقم (١٥٩٧) ، وأخرجه مسلم: كتاب الحج - باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف - حديث رقم (١٢٧٠).

عاشرا: ما أثر عنه في الولاء والبراء:

٨٨) قال عبدالرزاق: نا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ L [آل عمران: ٢٨] قال: «لا يحل للمؤمن أن يتخذ كافرا ولياً في دينه، وقوله تعالى: M إِلَّآ أَن تَـتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً L [آل عمران: ٢٨] إلا أن يكون بينك وبينه قرابة فتصله لذلك»(١).

٨٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ L إلى: M إِلَّآ أَن تَـتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً L [آل عمران: ٢٨] : «نهى الله المؤمنين أن يوادُّوا الكفار، أو يتولَّوْهم دون المؤمنين. وقال الله: M إِلَّآ أَن تَـتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً L [آل عمران: ٢٨] الرحم من المشركين، من غير أن يتولوهم في دينهم إلا أن يَصل رحمًا له في المشركين»(٢).

٩٠) قال ابن أبي حاتم: أخبرنا موسى بن هارون الطوسي فيما كتب إلي، ثنا الحسين بن محمد المروزي، ثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة قوله: M وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا L [الأنعام: ١٢٩] قال: «إنما يوالي الله بين الناس بأعمالهم؛ فالمؤمن ولي المؤمن أينما كان، وليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولعمري لو عملت بطاعة الله و لم تعرف أهل طاعة الله ما ضرك ذلك، ولو عملت بمعصية الله وتوليت أهل طاعة الله ما نفعك ذلك شيئا»(٣).

---

(١) تفسير القرآن ٣٨٧/١ رقم (٣٨٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه عبدالرزاق أيضاً في المصنف ٣٥/٦ رقم (٩٩٢٢) من طريق معمر به، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣١٩/٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٠/٣ رقم (٣٣٨٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠٦/٣ إلى عبد بن حميد.

(٢) جامع البيان ٣١٩/٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٣) تفسير القرآن العظيم ١٣٨٩/٤ رقم (٧٩٠٠)، وصحّح إسناده حكمت بشير في التفسير الصحيح ص ٥٣ ، وعطية بن نوري الفقيه في أسانيد نسخ التفسير ص ٤٦٧ ، وعزاه

٩١) قال ابن جرير: حدثنا يونس، قال: ثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ L [الأنعام: ١٢٩]: «وإنما يولي الله بين الناس بأعمالهم ، فالمؤمن وليُّ المؤمن ، أين كان ، وحيث كان، والكافر وليُّ الكافر ، أينما كان، وحيثما كان، ليس الإيمان بالتَمنِّي ولا بالتحَلِّي»(١).

٩٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M h i j k l m n o p L [التوبة: ١١] يقول: «إن تركوا اللات والعزّى، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله M n o p r s t u v L [التوبة: ١١]»(٢).

٩٣) قال ابن أبي حاتم: أخبرنا موسى بن هارون الطوسي فيما كتب إلي، ثنا الحسين بن محمد المروزي، ثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة قوله: M n o p L [التوبة: ١١] قال: «فكونوا من أخوة الإسلام؛ ممن يرعاهم ويعاهد عليها ويعظم حقها، فإن أفضل المسلمين أوصلهم لأخوة الإسلام»(٣).

٩٤) قال ابن أبي حاتم: أخبرنا موسى بن هارون الطوسي فيما كتب إلي، ثنا الحسين بن محمد المروذي، حدثنا شيبان، عن قتادة قوله: M i j k l m

---

السيوطي في الدر المنثور ٢٠٣/٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

(١) جامع البيان ٥٥٨/٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٨/٤ رقم (٧٨٩٩) من طريق يزيد به.

(٢) جامع البيان ٣٦١/١١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٦٠/٦ رقم (١٠٠١٦) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٥٠/٧ إلى ابن المنذر.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١٧/٥ رقم (١٠١٥٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٨٩).

n o p q r s t L [الأنفال: ٧٢] قال: «نهى[1] المسلمون عن أهل ميثاقهم فوالله لأخوك المسلم أعظم عليك حرمة وحقاً»[2].

٩٥) قال الأوزاعي: «كتب إليّ قتادة من البصرة: «إن كانت الدار فرّقت بيننا وبينك فإن ألفة الإسلام بين أهلها جامعة»[3].

التعليق:

"من أصول العقيدة الإسلامية ما فرضه الله ﷻ من وجوب موالاة المسلم لأهل الإسلام الذين يدينون بهذه العقيدة؛ فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم"[4].

ولقد بين الله جل وعلا هذا الأمر في آيات عديدة من كتابه الكريم فأمر بولاية المؤمنين كما قال تعالى: M a b c d e L [التوبة: ٧١]، وهذه الولاية تتفاوت بحسب العمل وقوة الإيمان فكلما كان المؤمن أكمل إيمانا كانت ولايته آكد، وكذلك حذر جل وعلا من ولاية الكافرين قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) + , - . / يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ : ; L [المائدة: ٥١]، وقال: M ! " # $ % & ' ( ) * + L [الممتحنة: ١]، وبين مفاسد هذه الولاية و أضرارها قال تعالى: M U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b L [الممتحنة: ٢].

(١) لم تحركّ، ولعلها "نُهي" على البناء للمجهول، والمسلمون: نائب فاعل مرفوع.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٧٤٠/٥ رقم (٩١٩٦)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٨٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢١٧/٧ إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١/٥ .

(٤) انظر: الولاء والبراء في الإسلام للشيخ صالح الفوزان ص ٧ .

ومما يجدر ذكره أن التعامل مع الكفار في أمور الدنيا كالبيع والشراء مثلا(١) أو وصال القريب الكافر والإحسان إليه ليس من الولاء الذي ذمّه الله تعالى فإن هذا جائز في ديننا كما قال تعالى: M X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d f g h i L [لقمان: ١٥]، ومن المعلوم لكل مسلم ما جاء في شريعتنا من جواز نكاح الكتابية(٢)، والذي قد يحصل فيه نوع محبة بسبب العشرة الزوجية وهو أمر فطري بين كل زوجين، فدل هذا على أن هناك فرق بين تولي الكفار وبين موالاتهم وبين مجرد التعامل معهم فإن حكم ذلك يختلف باختلاف سببه فأما تولّيهم فهو ردة عن الإسلام والمقصود به موالاتهم ومحبتهم من أجل دينهم ومن أمثلته مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين(٣) فقد عدّه العلماء ناقضا من نواقض الإسلام، وأما موالاة الكفار من أجل الدنيا فهو محرم وكبيرة من كبائر الذنوب؛ ومثاله ما ورد في سبب نزول قوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / مِّنَ ٱلۡحَقِّ L [الممتحنة: ١] وذلك في قصة حاطب بن أبي بلتعة ﵁ الذي أرسل إلى كفار قريش ينبئهم بقدوم النبي ﷺ إليهم ومع ذلك ناداه الله باسم الإيمان و لم يحكم عليه

(١) يدل على هذا ما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: "اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعاما، ورهنه درعه" أخرجه البخاري: كتاب الرهن - باب الرهن عند اليهود وغيرهم - حديث رقم (٢٥١٣) وفي رواية "توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة بثلاثين صاعا من شعير عند يهودي" مسند أبي عوانة: مبتدأ كتاب البيوع - باب الإباحة لبائع الشيء بالنسيئة أن يسترهن من المشتري رهنا - حديث رقم (٤٤٦٤).

(٢) قال تعالى: M ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ´ µ ¶ ¸ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ L [المائدة: ٥].

(٣) انظر: رسالة الدلائل في موالاة أهل الإشراك مع شرحها للفوزان، وكتاب سبيل النجاة من موالاة المرتدين وأهل الإشراك للشيخ حمد بن علي بن عتيق - .

النبي ﷺ بالكفر[1]، وأما صلة القريب الكافر والإحسان إليه فهي كما سبق مما أباحته الشريعة الإسلامية بل حثّت عليه ، وفي آثار قتادة - في هذا المطلب ما يبين ذلك .

(١) انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي باب غزوة الفتح - حديث رقم (٤٠٣٧)، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم - باب من فضائل أهل بدر ! وقصة حاطب بن أبي بلتعة - حديث رقم (٢٤٩٤).

حادي عشر: ما أثر عنه في بعض أنواع العبادة:

١ - الإخلاص.

٢ - الصدق.

٣ - الخوف والرجاء.

٤ - الخشية.

٥ - الخشوع.

٦ - التوبة والإنابة.

٧ - الاستعانة.

٨ - الصبر والشكر.

٩ - التقوى.

١٠ - ذكر الله عز وجل.

١ - الإخلاص:

٩٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M h i j k l L(١) [آل عمران: ٣٤] قال: «في النية، والعمل، والإخلاص، والتوحيد له»(٢).

٩٧) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M [\ ] L [يونس: ٢٢] قال: «إذا مسهم الضر في البحر أخلصوا لله النية(٣)»(٤).

٩٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M a b c d e f g h i j k L [النحل: ٦٠] «الإخلاص والتوحيد»(٥).

٩٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴿٢٥﴾ L [الأنبياء: ٢٥] : «به أرسلت الرسل؛ بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم - قال أبو جعفر(٦): أظنه أنا قال- عملٌ حتى يقولوه ويقرّوا به، والشرائع مختلفة؛ في التوراة شريعة، وفي

---

(١) قال ابن جرير: "وإنما معناه ذرية دين بعضها دين بعض، وكلمتهم واحدة، وملتهم واحدة، في توحيد الله وطاعته". جامع البيان ٥/ ٣٣٠ .

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٣٨).

(٣) أشار محقق تفسير عبدالرزاق في الحاشية معلقا على قوله: "النية" إلى أنه في إحدى النسخ: الدعاء، أي بدلا من النية.

(٤) تفسير القرآن ١٧٣/٢ رقم (١١٤٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٤٦/١٢ من طريق معمر عن قتادة بلفظ: "إذا مسهم الضر في البحر أخلصوا له الدعاء"، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٣٩/٦ رقم (١٠٢٩٩) من طريق معمر عن قتادة بلفظ: "إذا مسهم الضر في البحر أخلصوا لله الدعاء".

(٥) جامع البيان ٢٥٨/١٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٦) هو ابن جرير نفسه.

الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في إخلاصٍ لله وتوحيدٍ له»[(١)].

١٠٠) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد، أنبا سعيد، عن قتادة قوله: M E L أي: «بربه، وفي قوله: M E F G H L [الفرقان: ٧٠] أي: فيما بينه وبين الله ﷻ»[(٢)].

١٠١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال ثنا سعيد، عن قَتادة قوله: M مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ L [القصص: ٨٤] أي: «له منها حظٌّ خيرٍ، والحسنة: الإخلاص، والسيئة: الشرك»[(٣)].

١٠٢) قال عبدالرزاق: أرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M مَّثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ L [الزمر: ٢٩] قال: «هو الكافر، والشركاء المتشاكسون: الشياطين، ورجلا سالمًا لرجل فهو المؤمن يعمل لله»[(٤)].

١٠٣) قال عبدالرزاق: عن معمر عن قتادة في قوله تعالى: M O P Q L [المزمل: ٨] قال: «أخلص له الدعاء ، والعبادة»[(٥)].

---

(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٤٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٨/٢٧٣٢ رقم (١٥٤٢٤)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩).

(٣) جامع البيان ١٨/٣٤٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩/٣٠٢٤ عقب الآثار (١٧١٩٢ ، ١٧١٩٤).

(٤) تفسير القرآن ٣/١٣٠ رقم (٢٦٢٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢٠/١٩٨ من طريق سعيد عن قتادة نحوه وقال في آخره: "ورجلا سالمًا لرجل قال: هو المؤمن أخلص الدعوة لله والعبادة"، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٦٥٤ إلى عبد بن حميد.

(٥) تفسير القرآن ٣/٣٥٨ رقم (٣٣٦٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢٣/٣٧٩ من طريق سعيد عن قتادة نحوه، وعزاه السيوطي

التعليق:

الإخلاص عبادة من أجل العبادات القلبية، ومعناه في اللغة: "ترك الرياء في الطاعة"(١)، وفي الاصطلاح: "تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك"(٢)، وللإخلاص منزلة عظيمة في دين الله ﷿ ، وكل شريعة إنما شرعها الله ﷿ من أجل تحقيق الإخلاص، قال تعالى: L p o n m l k j i h M [البينة: ٥]، وقال: L Y X W V M [الزمر: ٣]، وقال: L A @ ? > = < ; M [الزمر: ١٤]، وفي الصحيح عن أبي هريرة ﵁ ، أنه قال : قلت: يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: "لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه"(٣).

والإخلاص شرط لقبول الأعمال، فالعبادة لا تُقبل من صاحبها إذا لم تكن خالصة لله ﷿ ، قال رسول الله ﷺ:$ قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه#(٤)، قال الفضيل بن عياض - في قوله تعالى: "M / أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ L [الملك: ٢] قال: أخلصه وأصوبه؛ فإنه إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل حتى يكون خالصاً، والخالصُ إذا كان لله، والصوابُ إذا كان على السنة"(٥).

في الدر المنثور ١٥/ ٥٠ إلى عبد بن حميد وابن نصر وابن المنذر.

(١) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف لعبدالرؤوف المناوي ص ٢٨ .

(٢) معارج القبول ٢/٥٢٣ .

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق - باب صفة الجنة والنار – حديث رقم (٦٥٧٠).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق - باب من أشرك في عمله غير الله - حديث رقم (٢٩٨٥).

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني ٨/٩٥ .

وفي بيان كيفية تحقيق الإخلاص يقول ابن القيم - : "فصلٌ لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبِل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص"(١).

وفي الآثار التي وردت عن قتادة - بيانٌ لمعنى الإخلاص وأنه بمعنى التوحيد، وأنه ضد الشرك كما جاء عنه في تفسير الحسنة بالإخلاص والسيئة بالشرك، وأنه بالإخلاص أرسلت الرسل، وأن جميع الشرائع مبنية على التوحيد والإخلاص، وأن الإخلاص هو ما يكون بين العبد وبين ربه ﷻ ، ويكون في النية وفي الدعاء وغيرهما من الأعمال، وأنه من صفات أهل الإيمان.

ثانيا: الصدق:

١٠٤) قال ابن أبي حاتم: أخبرنا موسى بن هارون الطوسي فيما كتب إلي، ثنا الحسين بن محمد المروزي، ثنا شيبان، عن قتادة قوله: WM X L [الأعراف: ٧٠] قال: «الصدق في النية، والصدق في العمل، والصدق في الليل والنهار، والصدق في السر والعلانية»(٢).

١٠٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا : ; < = > ! L

---

(١) ابن القيم؛ الفوائد، (بيروت: دار مكتبة الحياة)، ص ١٦٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥/١٥١١ رقم (٨٦٥٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٨٩)، وأخرجه ابن أبي حاتم أيضاً في تفسيره ٥/١٩٠٧ رقم (١٠١٠٢) عند تفسير قوله تعالى: M E F G H I L [التوبة: ١١٩].

[البقرة: ٢٧١] «كلٌّ مقبول إذا كانت النية صادقة، وصدقة السر أفضل، وذكر لنا أن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار[١]»[٢].

التعليق:

الصدق من العبادات الجليلة، ويكون بالقلب واللسان والجوارح، وهو في اللغة: نقيض الكذب صدق يصدق صدقا وصدقا وتصداقا، وصدّقه: قبل قوله، وصدقه الحديث: أنبأه بالصدق [٣]، ولقد حثَّ الله ﷻ على الصدق ومدح أهله، قال تعالى: M B C D E F G H I J L [التوبة: ١١٩]، قال ابن جرير: "يعني: مع من صدق الله الإيمان به، فحقق قوله بفعله، ولم يكن من أهل النفاق فيه، الذين يكذب قيلهم فعلهم"[٤].

وقول قتادة - : الصدق في النية، والصدق في العمل، والصدق في الليل والنهار، والصدق في السر والعلانية، يُبيِّن أن الصدق واجب في كل عمل وكل وقت، فالصدق علامة أهل الإيمان، قال تعالى: M q r s t u v w x y

---

(١) حديث مرفوع ، أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٥٢٨٤)، والترمذي في سننه: كتاب الجمعة عن رسول الله ﷺ - باب ما ذكر في فضل الصلاة - حديث رقم (٦١٤) وقال فيه: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه...، وأخرجه أيضا ابن حبان في صحيحه: كتاب الصلاة - باب فضل الصلوات الخمس - ذكر البيان بأن الصلاة قربان للعبيد يتقربون بها إلى بارئهم جل وعلا - حديث رقم (١٧٢٣)، وصحَّحه الألباني.

(٢) جامع البيان ١٥/٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٧/٢ رقم (٢٨٤٩) من قول الربيع ثم قال وروي عن قتادة نحو ذلك، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣١٢/٣ إلى عبد بن حميد.

(٣) لسان العرب ١٩٣/١٠ .

(٤) جامع البيان ٦٧/١٢ .

z { | } ~ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ © ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾
L [العنكبوت: ١-٣].

وفي الفرق بين الصدق والإخلاص يقول ابن القيم - : "والفرق بينه وبين الإخلاص: أن للعبد مطلوباً وطلباً؛ فالإخلاص توحيد مطلوبه، والصدق توحيد طلبه، فالإخلاص أن لا يكون المطلوب منقسماً والصدق أن لا يكون الطلب منقسماً فالصدق بذل الجهد والإخلاص إفراد المطلوب"[1].

ثالثا: الخوف والرجاء:

١٠٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M ? @ A B C D L [الرحمن: ٤٦] قال: «إن المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له، ودانوا له، وتعبَّدوا بالليل والنهار»[2].

١٠٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ : ; < = > L [الأنفال: ٢] قال: «فرقًا من الله تبارك وتعالى، ووَجلا من الله، وخوفًا من الله تبارك وتعالى »[3].

---

(١) مدارج السالكين ١/١١٠ .

(٢) جامع البيان ٢٢/٢٣٧ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٢٣٧ رقم (١٢٢٢٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٤٩٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) جامع البيان ١١/٢٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٦٥٥ رقم (٨٧٧٦) نحوه من قول ابن عباس ﷺ ثم أشار إلى أنه روي عن قتادة نحوه.

١٠٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: h M i j k l m n L [السجدة: ١٦] قال: «خوفا من عذاب الله، وطمعا في رحمة الله، M l m n L في طاعة الله وفي سبيله»(١).

١٠٩) قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا شيبان، عن قتادة، عن عقبة بن عبد الغافر، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: $إن رجلا ممن خلا من الناس رزقه الله مالا وولدا، فلما حضره الموت ودعا بنيه فقال: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال: فإنه والله ما ابتأر(٢) عند الله خيرا قط، فإذا مات فأحرقوه، حتى إذا كان فحما فاسحقوه، ثم أذروه في يوم، - يعني ريحا عاصفا - قال: وقال نبي الله ﷺ: أخذ مواثيقهم على ذلك وربي، ففعلوا وربي لما مات أحرقوه حتى إذا كان فحماً سحقوه ثم أذروه في يوم عاصف، قال ربه: كن ، فإذا هو رجل قائم، قال له ربه: ما حملك على الذي صنعت، قال: رب خفت عذابك، قال: فوالذي نفس محمد بيده ما تلافاه غيرها أن غفر الله له7 . قال الحسن مرة: ما تلاقاه غيرها أن غفر الله له، قال قتادة: «رجل خاف عذاب الله فأنجاه الله من مخافته»(٣).

التعليق:

الخوف والرجاء عبادتان من العبادات الواجبة لله جل وعلا، قال تعالى: M إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ : ; < = L [آل عمران: ١٧٥]،

(١) جامع البيان ٦١٦/١٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) أي: ادّخر. قال ابن سيده: ويقال قد ابتأر فلان عند الله خيرا: إذا ادّخره. انظر: المخصص لابن سيده ١٩٩/٤ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١١٦٦٤)، وأخرجه أيضاً أبو يعلى في مسنده: مسند أبي سعيد الخدري ﷺ رقم (١٢٦٤) من طريق الحسن بن موسى به، وقد أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق - باب الخوف من الله رقم (٦١٢٥) من دون قول قتادة.

وقال سبحانه: M ? @ A B C D L [الرحمن: ٤٦]، وقال ﷻ: M ¶ ¸ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ L [الإسراء: ٥٧]، وقال تبارك اسمه: M ¸ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ L [الزمر: ٩]، وعن عائشة " قالت:$سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: M ! " # $ % & L [المؤمنون: ٦٠] أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون7[١].

والخوف له عدة معانٍ منها: "هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره"[٢]، وهو كما قال ابن القيم من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب.

وأما الرجاء فمما قيل فيه أنه: "حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة ويطيب لها السير"[٣].

والخوف والرجاء للمؤمن كجناحي الطائر وهما متلازمان، يقول ابن القيم - : "القلب في سيره إلى الله ﷻ بمترلة الطائر؛ فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف"[٤].

(١) أخرجه أحمد في المسند: رقم (٢٥٢٦٣)، والترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب: ومن سورة المؤمنون - حديث رقم (٣١٧٥)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار: كتاب المكاتب - باب المكاتب - حديث رقم (٦٣٦١)، وصححه الألباني.

(٢) مدارج السالكين ٣٨٢/١ .

(٣) المصدر السابق ٣٨١/١ .

(٤) المصدر السابق ٥١٧/١ .

وذكر ابن القيم أيضا أنّ حقيقة الرجاء هي الخوف والرجاء معاً فيفعل المرء ما أمر الله به على نور الإيمان راجياً للثواب ويترك ما نهى الله عنه على نور الإيمان خائفاً من العقاب(١).

وفي الآثار الواردة عن قتادة بيان منه - أن الخوف والرجاء من صفات المؤمنين، وأنهما من أسباب رحمة الله ﷻ بعباده ونجاتهم من عقابه.

رابعا: الخشية:

١١٠) قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، ثنا محمد بن أبي حماد، ثنا مهران، عن سفيان، عن رجل، عن قتادة: M وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ L قال: «من يطع الله فيما أمر به، ورسوله قال: فيما أمر به، Mوَيَخۡشَ ٱللَّهَ L قال: فيما مضى من ذنوبه، Mوَيَتَّقۡهِ L [النور: ٥٢] قال: يخشاه فيما يستقبل»(٢).

١١١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴿١٠﴾ L [الأعلى: ٩-١٠] «فاتقوا الله، ما خشي اللهَ عبدٌ قطّ إلا ذكَّره، Mوَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١١﴾ L [الأعلى: ١١] فلا والله لا يتنكَّب عبدٌ هذا الذكر زهدًا فيه وبُغضًا لأهله إلا شَقِيٌّ بَيِّنُ الشَّقاء»(٣).

(١) انظر: مدارج السالكين ١/٥٠٢ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ٨/٢٦٢٤ رقم (١٤٧٤٧).
(٣) جامع البيان ٢٤/٣١٧ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/٣٤١٧ رقم (١٩٢٢٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/٣٦٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

التعليق:

خشية الله ﷻ نوع من أنواع العبادة، قال تعالى: M { ~ وَٱخۡشَوۡنِي L [البقرة: ١٥٠]، وقال: M إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ L [المؤمنون: ٥٧]، وقال عز من قائل سبحانه: M ٱللَّهُ نَزَّلَ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L [الزمر: ٢٣] والخشية أخص من الخوف فهي خوف مقرون بمعرفة[1]، فلا تكون إلا من العلماء العارفين بالله قال تعالى: M إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ´ L [فاطر: ٢٨]، وقال النبي ﷺ: $ والله! إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي #[2]

وفي آثار قتادة - : بيان منه لمعنى الخشية وأنها الخوف من الله ﷻ فيما مضى من الذنوب، وخشيته أيضا لما سيكون في المستقبل.

خامسا: الخشوع:

١١٢) قال عبد الرزاق: أرنا معمر، قال قتادة: «الخشوع في القلب»[3].

---

(١) مدارج السالكين ٣٨٢/١ .

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصيام - باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب - حديث رقم (١١١٠) .

(٣) تفسير القرآن ٤١٢/٢ رقم (١٩٥٤)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٠/١٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥٥٩/١٠ عن قتادة بلفظ: "الخشوع في القلب وهو الخوف وغض البصر في الصلاة " وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

التعليق:

من أنواع العبادة أيضاً: الخشوع، وهو في اللغة: الخضوع[1]، وفي الشرع: التذلل لله ﷻ، ومن أدلته قوله تعالى: M ¸ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠ L [الأنبياء: ٩٠]، وقوله: M ! " # $ % & ' ( ) * L [المؤمنون: ١-٢].

والخشوع يكون في القلب - كما قال: قتادة - وكذلك يظهر على الجوارح، قال ابن حجر - :"وأصل الخشوع هو: التذلل والسكون، ويظهر بغض البصر وخفض الصوت"[2].

سادسا: التوبة والإنابة:

١١٣) قال عبد الرزاق: أنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: Mثُمَّ ٱزۡدَادُواْ L [آل عمران: ٩٠] قال: «ازدادوا كفرا حين حضرهم الموت، فلم تقبل توبتهم حين حضرهم الموت»[3].

١١٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M M N O P Q R S L [آل عمران: ١٣٥] «فإياكم والإصرار! فإنما

(١) انظر: تاج العروس ٢٠/ ٥٠٦ .

(٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني؛ هدي الساري مقدمة فتح الباري، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (المملكة العربية السعودية: دار السلام، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ص ١٦٤ .

(٣) تفسير القرآن ١/٤٠١ رقم (٤٢٧) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٥/٥٦٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٧٠٢ رقم (٣٨٠٤).

هلك المصرُّون الماضون قُدُمًا؛ لا ينهاهم مخافة الله ﷻ عن حرام حرَّمه الله عليهم، ولا يتوبون من ذنب أصابوه حتى أتاهم الموتُ وهم على ذلك»[1].

١١٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M h i j k l m n o p L [التوبة: ١١] يقول: «إن تركوا اللات والعزّى، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله M n o p r s t u v L [التوبة: ١١]»[2].

١١٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M ! " # $ %& ' (L [التحريم: ٨] قال: «هي الصادقة الناصحة»[3].

١١٧) قال عبدالرزاق: عن معمر، وقال قتادة - أي: في قوله تعالى: M مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ : ; < = > ? @A B C D E F G L [التوبة: ١١٣]، قال: «تبيّن له حين مات وعلم أن التوبة قد انقطعت عنه»[4].

١١٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M S T U L [هود: ٢٣] يقول: «وأنابوا إلى ربهم»[5].

---

(١) جامع البيان ٦/٦٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٩١).

(٣) جامع البيان ٢٣/١٠٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات - باب التوبة معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/٥٩٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) تفسير القرآن ٢/١٦٨ رقم (١١٣٣)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٢/٢٩ من طريق معمر به، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في نفس الجزء والصفحة بنحوه.

(٥) جامع البيان ١٢/٣٧٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم

١١٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا زيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M
p q r L [الزمر: ١٧] : «وأقبلوا إلى الله»(١).

١٢٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M
وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ L [الزمر: ٥٤]: أي: «أقبلوا إلى ربكم»(٢).

١٢١) قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد(٣)، قال: ثنا الحكم بن بشير(٤)، قال: ثنا عمرو(٥)، عن قتادة في قوله: M & ' ( ) (L [مريم: ٩٦] قال: «ما أقبل عبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه وزاده من عنده»(٦).

التعليق:

إن من رحمة الله ﷻ بخلقه أن شرع لهم التوبة، فالتوبة عبادة لله سبحانه وبابها مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها أو يبلغ المرء الغرغرة(١)، قال ﷺ : 8لا تقوم الساعة

في تفسيره ٦/٢٠٢٠ رقم (١٠٧٩٨) من طريق سعيد به.

(١) جامع البيان ٢٠/١٨٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٦٤٢ إلى عبد بن حميد.

(٢) جامع البيان ٢٠/٢٣١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٦٨١ إلى عبد بن حميد.

(٣) هو: محمد بن حميد بن حيان التميمي الحافظ أبو عبدالله الرازي، روى عنه أحمد وغيره ، قال عنه ابن حجر: حافظ ضعيف، توفي سنة ٢٤٨هـ. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٢/٢٥٥ رقم (٧٣٣) وتهذيب الكمال ٢٥/٩٧ رقم (٥١٦٧).

(٤) هو: الحكم بن بشير بن سلمان النهدي أبو محمد بن أبي إسماعيل الكوفي، من علماء الري، قال عنه أبو حاتم: صدوق. انظر: تهذيب الكمال ٧/٨٩ رقم (١٤٢٣).

(٥) هو: عمرو بن أبي قيس الرازي الأزرق كوفي نزل الري. انظر: تهذيب الكمال ٢٢/٢٠٣ رقم (٤٤٣٧).

(٦) جامع البيان ١٥/٦٤٣ .

حتى تطلع الشمس من مغربها؛ فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ M لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ : ; < = > ? @ A B L [الأنعام: ١٥٨]7(٢)،

وروى أبو موسى ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها "(٣).

وقد أمر الله سبحانه عباده بالتوبة فقال تعالى: M وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ L [النور: ٣١]، وقال تعالى: M { ~ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ © ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ L [التوبة: ١٠٤]، وبيّن تعالى لخلقه حال من تقبل توبته فقال: M J K L M N O P Q R S T U V W X Y [\ ] ^ _ L [النساء: ١٧]

وأما عن معنى التوبة: فهي في اللغة: كلمة تدل على الرجوع، يقال: تاب من ذنبه أي: رجع عنه، ويتوب إلى الله توبة ومتابا فهو تائب، والتوب: التوبة. قال الله تعالى: M ? @ L [غافر: ٣]"(٤)، وفي الشرع فكما قال ابن حجر - : ترك الذنب لقبحه، والندم على فعله، والعزم على عدم العود، ورد المظلمة إن كانت، أو طلب البراءة من صاحبها وهي أبلغ ضروب الاعتذار"(٥)، وفي هذا التعريف بيانٌ لشروط التوبة.

---

(١) جاء في الحديث: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر" أي: ما لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض. والغرغرة: أن يجعل المشروب في الفم ويردد إلى أصل الحلق ولا يبلع. النهاية في غريب الأثر ٦٦٥/٣ .

(٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة - باب Mلَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَاL - حديث رقم (٤٦٣٥)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان - حديث رقم (١٥٧).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب التوبة - باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة - حديث رقم (٢٧٥٩).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة ٣٢٦/١ .

(٥) فتح الباري ١٢٣/١١ .

والتوبة نوعان؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - : "التوبة نوعان واجبة ومستحبة؛ فالواجبة: هي التوبة من ترك مأمور أو فعل محظور، وهذه واجبة على جميع المكلفين كما أمرهم الله بذلك في كتابه وعلى ألسنة رسله، والمستحبة: هي التوبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات، فمن اقتصر على التوبة الأولى كان من الأبرار المقتصدين، ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين، ومن لم يأت بالأولى كان من الظالمين إما الكافرين وإما الفاسقين"(١).

ومن أنواع العبادة أيضاً: الإنابة وهي التوبة النصوح والرجوع إلى الله تعالى، قال ابن منظور: "والإنابة الرجوع إلى الله بالتوبة"(٢)، قال ابن كثير - : ثم استحثّ تعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة، فقال: M وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ L [الزمر: ٥٤] أي: ارجعوا إلى الله واستسلموا له Mمِن قَبْلِ ´ µ ¶ ¸ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ L [الزمر: ٥٤] أي: بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة"(٣).

وفي الآثار الواردة عن قتادة - بيان منه لمعنى التوبة والإنابة، وأن للتوبة زمان محدد به تنقطع وهو إما الموت أو طلوع الشمس من مغربها، وقد حذّر - من التمادي في الذنوب والإصرار عليها، كما جاء في قوله تعالى: M J K L M N O P Q R S T U V W X Y [\ ] ^ _ L [النساء: ١٧]، وبيَّن - أيضاً أن التوبة تُقبل حتى من المشرك؛ وتوبته تكون بترك المعبودات الباطلة والدخول في الإسلام بأن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وبيَّن أيضا أن المراد بالتوبة النصوح: الصادقة، وأن التوبة والإنابة والإخبات والإقبال إلى الله بمعنى واحد، ثم بشّر - التائبين والمقبلين إلى الله بإقبال الله بقلوب العباد إليهم.

---

(١) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية؛ التوبة، تحقيق: عبدالله حجاج، (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي)، ص ١٣ .

(٢) ابن منظور؛ لسان العرب، (القاهرة: دار المعارف)، ج ٥٠ ، ص ٤٥٦٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٠٤٩/٧ .

سابعا: الاستعانة:

١٢٢) قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا عبد الوهاب عن سعيد، عن قتادة في قوله: M إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ L [الفاتحة: ٥] قال: «يأمركم أن تخلصوا له العبادة، وأن تستعينوه على أمركم»(١).

التعليق:

مما يجب على الثقلين: إفراد الله تعالى بالعبودية، وكذلك إفراده بالاستعانة به فيما لا يقدر عليه أحد غيره سبحانه، قال ﷺ لعبدالله بن عباس : " وإذا استعنت فاستعن بالله "(٢)، وقال جل وعلا: M إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ L [الفاتحة: ٥] يقول ابن جرير - : ومعنى قوله: M وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ L [الفاتحة: ٥]: "وإياك ربنا نستعين على عبادتنا إياك وطاعتنا لك، وفي أمورنا كلها لا أحداً سواك، إذ كان من يكفر بك يستعين في أموره معبودَه الذي يعبده من الأوثان دونك، ونحن بك نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة"(٣).

والاستعانة: طلب العون؛ وهي وسيلة للعبادة، فلا يوفق أحد لعبادة الله سبحانه إلا إذا أعانه على ذلك، ولهذا ذكر الله جل وعلا الاستعانة بعد ذكر العبادة لينبه على هذا الأمر ، قال ابن القيم - : " وتقديم العبادة على الإستعانة في الفاتحة من باب تقديم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٩/١ رقم (٢٩)، وحسّن إسناده الدكتور/ عطية بن نوري الفقيه. انظر: أسانيد نسخ التفسير ص ٤٦١ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: رقم (٢٦٦٩)، والترمذي في سننه: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ - حديث رقم (٢٥١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أيضا الحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابة ! - ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ٥٤١/٣ وقال: هذا حديث كبير عال من حديث عبدالملك - أي: عن ابن عباس-، والحديث صححه الألباني.

(٣) جامع البيان ١٦٠/١ .

الغايات على الوسائل، إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها والإستعانة وسيلة إليها(1)، وقال ابن كثير: "وإنما قدم: M إِيَّاكَ نَعۡبُدُ L على M وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ L [الفاتحة: ٥] لأن العبادة له هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها"(2).

ثامنا: الصبر والشكر:

١٢٣) قال ابن جرير: حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا هشام، عن عمرو، عن سعيد، عن قتادة في قول الله ﷻ: M Y Z [\ ] ^ _ L [ابراهيم: ٥] قال: «نعمَ العبدُ عَبْدٌ، إذا ابتلي صَبَر، وإذا أعْطِي شَكَر»(3).

١٢٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة M U V W X Y Z L [الإنسان: ١٢] يقول: «وجزاهم بما صبروا على طاعة الله، وصبروا عن معصيته ومحارمه؛ جنة وحريراً »(4).

١٢٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة M / بِٱلصَّبۡرِ L [العصر: ٣] قال: «الصبر طاعة الله»(5).

---

(1) مدارج السالكين ١/٧٥ .

(2) تفسير القرآن العظيم ١/١٣٥ .

(3) جامع البيان ١٣/٥٩٨ ، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم ٧/٢٢٣٥ رقم (١٢٢١٤) معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٤٩٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(4) جامع البيان ٢٣/٥٥٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم ٨/٢٥١٠ رقم (١٤٠٥٨) من طريق سعيد عن قتادة مختصراً جداً، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٥/١٥٧ بلفظ: "الصبر صبران؛ صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله" وعزاه إلى عبد بن حميد.

(5) جامع البيان ٢٤/٦١٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم ١٠/٣٤٦٢ رقم (١٩٤٦٧) معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/٦٤٣ إلى عبد بن حميد.

١٢٦) قال ابن أبي الدنيا: وحدثني علي بن أبي مريم، عن موسى بن داود قال: حدثنا مجمع بن أبي غاضرة العنبري قال: سمعت قتادة يقول: «الصبر من الإيمان بمترلة اليدين من الجسد؛ من لم يكن صابراً على البلاء لم يكن شاكراً على النعماء، ولو كان الصبر رجلا لكان كريما جميلا»(١).

١٢٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: Mيُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى L [هود: ٣] «فأنتم في ذلك المتاع، فخذوه بطاعة الله ومعرفة حقّه، فإن الله منعم يحبّ الشاكرين، وأهل الشكر في مزيدٍ من الله؛ وذلك قضاؤه الذي قضى»(٢).

١٢٨) قال ابن أبي حاتم: عن قتادة D(٣) في قوله: M = > ? @ A B L [إبراهيم: ٧] قال: «حق على الله أن يعطي من سأله ويزيد من شكره، والله منعم يحب الشاكرين، فاشكروا لله نعمه »(٤).

---

(١) الصبر والثواب عليه ص ١١٢ رقم (١٦٣)، وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة في المصنف ٦٢٩/١٥ رقم (٣١٠٧٩)، والبيهقي في شعب الإيمان ٧١/١ رقم (٤٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٩٢٤/٤ رقم (١٥٦٩) جميعهم من قول علي ﷺ بنحو ما قال قتادة، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٥٣/١ عن علي بن أبي طالب ﷺ وعزاه إلى ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان، وكذلك إلى البيهقي - ولم يسمّ كتابه - وهو في شعب الإيمان ١٢٤/٧ رقم (٩٧١٨).

(٢) جامع البيان ٣١٣/١٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٩٧/٦ رقم (١٠٦٤١) من طريق سعيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٨ إلى وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) هكذا.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢٢٣٦/٧ رقم (١٢٢١٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩١/٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

١٢٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M { | } ~ ٱلْأَرْضِ L [النحل: ١٣] يقول: «وما خلق لكم Mمُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُۥٓ L من الدوابّ ومن الشجر والثمار، نعم من الله متظاهرة فاشكروها لله»(١).

١٣٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M h i j k l m n o L [البلد: ٨-٩] «نِعَم من الله متظاهرة، يقررك بها كيما تشكره»(٢).

١٣١) قال البيهقي: أخبرنا أبو الحسن بن بشران، أنا إسماعيل الصفار، نا أحمد بن منصور، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن قتادة قال: «من شكر النعم إفشاؤها»(٣).

١٣٢) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ثنا هشام بن خالد، ثنا شعيب بن اسحاق، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: «كرامة أكرمكم الله بها فاشكروا لله نعمته»(٤).

التعليق:

لقد خلق الله ﷻ الجن والإنس لأمر عظيم وهو عبادته وحده سبحانه، فأرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب وشرع لهم الشرائع ثم حثهم على الصبر على ذلك، قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + ,

---

(١) جامع البيان ١٨٤/١٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٠/٩ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) جامع البيان ٤١٥/٢٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤١/١٥ إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٣) شعب الإيمان ١٣٦/٤ رقم (٤٥٧٢) ، وورد في مصنف عبدالرزاق ٤٢٥/١٠ رقم (١٩٥٨٠) عن معمر عن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ : «من شكر النعم إفشاؤها» قال الألباني: وهذا إسناد ضعيف؛ لإرساله ورجاله ثقات. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٢٧/١٠ رقم (٤٥٢٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢٨٢/١ رقم (١٥١٦)، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (٨٢).

- . / بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ L [العصر: ١-٣]، وقال تعالى: M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ L [البقرة: ١٥٣]، وقد قدّر الله جل وعلا على عباده بعض الأقدار المؤلمة لكي يعلم الصابر منهم من غيره فتتفاوت بذلك درجاتهم، قال تعالى: M وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ; < = L [البقرة: ١٥٥] ، قال السعدي - : "أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن ليتبين الصادق من الكاذ، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان ولم يحصل معها محنة لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر، هذه فائدة المحن"(١).

والصبر في اللغة: الحبس(٢) وأنواعه ثلاثة، قال ابن عرفة في قوله تعالى: M * , - . / L [الأنفال: ٤٦]: "الصبر صبران هما عدتان للإيمان: الصبر على طاعة الله وما أمره ، والصبر عن معصية الله جل ثناؤه وما نهى عنه"(٣)، وعن ميمون بن مهران قال:"الصبر صبران الصبر على المصيبة حسن وأفضل من ذلك الصبر عن المعاصي"(٤).

وأما الشكر: فإن الله ﷻ قد أنعم على عباده بنعم كثيرة لا تحصى، قال تعالى: M < = > ? @ A C D E F G L [النحل: ١٨] ومن الواجب على كل عبد أن يشكر الله جلا وعلا على هذه النعم، وذلك بعبادته وحده والعمل بشريعته، والشكر يكون بالقلب واللسان والأركان كما قال الشاعر(٥):

أفادتكم النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

---

(١) تفسير السعدي ٧٥/١ .
(٢) انظر: تاج العروس ٢٧١/١٢ .
(٣) نقلا من تهذيب اللغة ٢٠١/٤ .
(٤) الصبر والثواب عليه. ص ٢٨ رقم (١٨).
(٥) لم أقف على اسمه.

قال ابن القيم - : نِعَم من الله تعالى تترادف عليه[1] فقَيْدُها الشكر وهو مبني على ثلاثة أركان: الاعتراف بها باطنا، والتحدث بها ظاهرا، وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها؛ فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها "[2]، وبالشكر تزداد النعم كما قال تعالى: M = > ? @ A B D E F G H I L [إبراهيم: ٧].

والشكر والصبر عبادتان تستلزم كل واحدة منهما الأخرى ، يقول ابن القيم - : " فالشكر مستلزم للصبر لا يتم إلا به، والصبر مستلزم للشكر لا يتم إلا به؛ فمتى ذهب الشكر ذهب الصبر ومتى ذهب الصبر ذهب الشكر، وإن كان في بلية ففرضها الصبر والشكر أيضا: أما الصبر فظاهر، وأما الشكر فللقيام بحق الله عليه في تلك البلية، فإن لله على العبد عبودية في البلاء كما أن عليه عبودية في النعماء وعليه أن يقوم بعبوديته في هذا وهذا، فعُلم أنه لا انفكاك له عن الصبر ما دام سائراً إلى الله "[3].

وقد بيّن قتادة - في هذه الآثار فضيلة هاتين العبادتين (الصبر والشكر) وحثّ عليهما، وذكر من أنواع الصبر: الصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله ، وذكر طريقة شكر النعم بقوله: "من شكر النعم إفشاؤها".

---

(١) أي: على العبد.

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية؛ الوابل الصيب، تحقيق: عبدالرحمن بن حسن بن قائد ، (دار عالم الفوائد)، ص ٥ .

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية؛ طريق الهجرتين، (القاهرة: مكتبة المتنبي)، ص ٢٨١ .

تاسعا: التقوى:

١٣٣) قال ابن جرير: حدثني المثنى، قال: ثنا حجاج بن المنهال، قال: ثنا همام، عن قتادة: Mيَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ : L : «أن يطاع فلا يعصى، قال: M ; > = < ? L [آل عمران: ١٠٢]»[1].

١٣٤) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ L [الفرقان: ٤٣] : «والله لكلما هوى شيئا ركبه وكلما اشتهى شيئا أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى»[2].

١٣٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: Mإِنَّا ç è é L [المعارج: ٣٩] «إنما خُلقتَ من قَذرٍ يا ابن آدم، فاتق الله»[3].

التعليق:

التقوى عبادة من العبادات القلبية فعن أبي هريرة ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ : "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا "ويشير إلى صدره ثلاث مرات ...الخ"[4].

---

(١) جامع البيان ٦٤٠/٥ ، وأخرجه أيضاً النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٩٠ من طريق شيبان عن قتادة.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٧٠٠/٨ رقم (١٥٢٠٣)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٨٢/١١ إلى عبد بن حميد.

(٣) جامع البيان ٢٨٢/٢٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٠١/١٤ إلى عبد بن حميد.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي - حديث رقم (٢٥٦٤).

والتقوى: هي أن يجعل العبد بينه وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ، قال ابن القيم - : "وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً، أمراً ونهياً فيفعل ما أمر الله به إيماناً بالأمر وتصديقاً بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيماناً بالنهي وخوفا من وعيده، كما قال طلق بن حبيب: "إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى قالوا: وما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجوا ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله "(١).

وقد بيّن قتادة - في هذه الآثار معنى التقوى وذكّر الإنسان بأصل خلقته حاثّاً له على تقوى الله ﷻ .

عاشرا: ذكر الله ﷻ:

١٣٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M وَٱذۡكُر ´ µ ¶ ¸ وَخِيفَةً L إلى قوله: Mبِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ L [الأعراف: ٢٠٥] «أمر الله بذكره، ونهى عن الغفلة، أما Mبِٱلۡغُدُوِّ L فصلاة الصبح، Mوَٱلۡأٓصَالِ L بالعشي»(٢).

١٣٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣

---

(١) ابن القيم؛ الرسالة التابوذكية زاد المهاجر إلى ربه، تحقيق: سيد ابراهيم صادق، (القاهرة: دار الحديث)، ص ٧ .

(٢) جامع البيان ١٠/٦٧٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم ٥/١٦٤٧ رقم (٨٧٣٩) من طريق يزيد به دون قوله: "أما بالغدو إلى آخره"، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٧٢٦ إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والذي عند عبدالرزاق هو تفسير قوله تعالى: Mبِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ L قال: "الآصال: العشي". تفسير القرآن ٢/١٠٥ رقم (٩٧٢).

L [الأنفال: ٣٣] قال: «إن القوم لم يكونوا يستغفرون، ولو كانوا يستغفرون ما عُذِّبوا»(١).

١٣٨) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة يعني قوله: M > = ا L [الفرقان: ٥٨] أي: «بمعرفته وطاعته»(٢).

١٣٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: M وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ L [العنكبوت: ٤٥] قال: «لا شيء أكبر من ذكر الله، قال: أكبر الأشياء كلها، وقرأ: M / ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ L [طه: ١٤] قال: لذكر الله وإنه لم يصفه عند القتال إلا أنه أكبر»(٣).

التعليق:

إن من أفضل الأعمال وأيسرها على من يسّرها الله عليه أن يكون العبد ذاكرا لله ﷻ ، وقد أمر سبحانه بذكره قال تعالى: M فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ L [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: M ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ´ µ ¶ ¸ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ L [العنكبوت: ٤٥] ، وعن أبي هريرة ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ : 8يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني

---

(١) جامع البيان ١١/١٥٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٨/٢٧١٣ رقم (١٥٢٩٣)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩).

(٣) جامع البيان ١٨/٤١٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً عبدالرزاق في تفسيره ٣/٧ رقم (٢٢٥١) عن معمر عن قتادة قال: «ليس شيء أفضل من ذكر الله»، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٥٥٦ إلى عبد بن حميد وابن جرير.

في ملإ ذكرته في ملإ هم خير منهم، وإن تقرب مني شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة7[1]، وذكر الله ﷻ يحصل بالقلب وباللسان والجوارح فكل عبادة يُتعبد بها فهي من ذكره سبحانه. وقد أورد قتادة - في هذه الآثار بعض فضائل الذكر ومن ذلك فضيلة الاستغفار.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: Mوَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ L - حديث رقم (٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب الحث على ذكر الله تعالى - حديث رقم (٢٦٧٥).

ثاني عشر: ما أثر عنه في القوادح في التوحيد:

١ - تعريف الشرك وبيان بعض ألفاظ القرآن الدالة عليه.

٢ - سوء عاقبة الشرك وأهله.

٣ - ذم المشركين وذم آلهتهم الباطلة.

٤ - التماثيل والأوثان.

٥ - دعاء غير الله ﷻ.

٦ - السجود لغير الله.

٧ - الذبح لغير الله.

٨ - السحر.

٩ - الكهانة.

١٠ - التنجيم.

١١ - الرياء.

١٢ - إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

١٣ - التعبيد لغير الله.

١٤ - الأمن من مكر الله.

١ - تعريف الشرك وبيان بعض ألفاظ القرآن الدالة عليه:

١٣٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: Mفَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا L [البقرة: ٢٢] أي: «عِدلاً»(١).

١٤٠) قال عبدالرزاق: نا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M k l m n o p q L[البقرة: ٨١] قال: «السيئة الشرك، والخطيئة الكبائر»(٢).

١٤١) قال عبدالرزاق: نا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M (* + , L [البقرة: ١٩١] قال: يقول: «الشرك أشد من القتل»(٣).

١٤٢) قال عبدالرزاق: نا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M F G H I J L[البقرة: ١٩٣] قال: «حتى لا يكون شرك»(٤).

١٤٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: M R S T U L [البقرة: ٢١٧] «من ذلك. ثم عيَّر المشركين بأعمالهم

---

(١) جامع البيان ١/٣٩١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وقد ذكر محققه أن في بعض النسخ: "عدلاء" بدلا من "عدلا".

(٢) تفسير القرآن ١/٢٧٨ رقم (٨٢)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢/١٨٠ وأخرجه أيضاً في ٢/١٧٩ من طريق سعيد عن قتادة بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٤٥١ إلى عبد بن حميد مختصراً.

(٣) تفسير القرآن ١/٣١٤ رقم (١٩٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣/٢٩٤ ، وأخرج أيضاً من طريق سعيد عن قتادة مثله.

(٤) تفسير القرآن ١/٣١٥ رقم (١٩٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣/٢٩٩ ، وأخرج أيضاً من طريق سعيد عن قتادة مثله، وأورد السيوطي في الدر المنثور ٢/٣١٥ نحوه ضمن أثر طويل وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والنحاس في "ناسخه" وأبو الشيخ.

أعمال السوء فقال: M Y Z [\ | L [البقرة: ٢١٧] أي: الشرك بالله أكبر من القتل»(١).

١٤٤) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M # $ % & L [الأنعام: ٨٢] قال: «بشرك»(٢).

١٤٥) قال الحربي: حدثنا يوسف بن حماد، عن عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة: M ! " # $ % L[التوبة: ٤٨] : «يعني الشرك، والوجه الثاني من الفتنة: أنها الضلالة، وذلك قوله في آل عمران: M ~ ٱلْفِتْنَةِ L [آل عمران: ٧]»(٣).

١٤٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M f g h L [إبراهيم: ٣٠] «والأنداد: الشرك»(٤).

١٤٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M @ A B C L [النحل: ٤٥] «أي: الشرك»(٥).

١٤٨) قال ابن أبي حاتم: عن قَتادة في قوله: Mأَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ L [النحل: ٧٢] قال: «الشرك»(١).

---

(١) جامع البيان ٣/٦٦٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٣٨٦ عقب الأثر (٢٠٣١) من طريق شيبان عن قتادة نحوه.

(٢) تفسير القرآن ٢/٥٦ رقم (٨٢٢)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرج ابن جرير في تفسيره ٩/٣٧٦ من طريق سعيد عن قتادة مثله، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣٣٣ عقب الأثر (٧٥٤٣).

(٣) غريب الحديث ٥/٢٨١ .

(٤) جامع البيان ١٣/٦٧٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وقد ذكر محققه أن في بعض النسخ: قال: "الشركاء" بدلا من "الشرك"، والأثر أورده السيوطي في الدر المنثور ٨/٥٥١ بلفظ: "أشركوا بالله" وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) جامع البيان ١٤/٢٣٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩/٥٤ إلى ابن أبي حاتم.

١٤٩) قال عبد الرزاق: أرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: Mوَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا L [طه: ١١١] قال: «خاب من حمل شركاً»[٢].

١٥٠) قال عبد الرزاق: أرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M > = < > ? @ L [الحج: ٢٥] قال: «هو الشرك، من أشرك في بيت الله عذّبه الله»[٣].

١٥١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: Mمَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ L [النمل: ٩٠] قال: «الإخلاص Mوَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ L [النمل: ٩٠] قال: الشرك»[٤].

١٥٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال ثنا سعيد، عن قَتادة قوله: Mمَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ L [القصص: ٨٤] أي: «له منها حظّ خير ، والحسنة: الإخلاص، والسيئة: الشرك»[٥].

١٥٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: Mأَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ L أي: «الشرك Mأَن يَسۡبِقُونَاۚ L [العنكبوت: ٤]»[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٢٩٢/٧ رقم (١٢٥٩٢) معلقا.
(٢) تفسير القرآن ٣٧٧/٢ رقم (١٨٣٢)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٧٥/١٦ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤٤/١٠ إلى عبد بن حميد.
(٣) تفسير القرآن ٤٠١/٢ رقم (١٩٠٩) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٥٠٧/١٦ ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم (٤٠١٥) من طريق سعيد عن قتادة.
(٤) جامع البيان ١٤٢/١٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).
(٥) جامع البيان ٣٤٥/١٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).
(٦) جامع البيان ٣٦٠/١٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٠٣٣/٩ رقم (١٧١٥٠) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣٠/١١ إلى عبد بن حميد.

١٥٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: Mوَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ L [العنكبوت: ٥٢]: «الشرك»(١).

١٥٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة قوله: M W X Y Z [L[العنكبوت: ٦٧] «أي: بالشرك M Y Z [L[العنكبوت: ٦٧] أي: يجحدون»(٢).

١٥٦) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ L قال: «هو الشرك امتلأت الأرض ضلالة وظلماً، والبر: أهل البوادي، والبحر: أهل القرى Mبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ L[الروم: ٤١]»(٣).

١٥٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M @ A B L [سبأ: ٣٣] «شركاء»(٤).

١٥٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M ´ µ ¶ ¸ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ L [فاطر: ٤٣] : «وهو الشرك»(٥).

---

(١) جامع البيان ١٨/٤٣٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٩/٣٠٧٣ رقم (١٧٣٨٤) من طريق يزيد به.

(٢) جامع البيان ١٨/٤٤٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٩/٣٠٨٣ رقم (١٧٤٤٣) من طريق يزيد به مختصراً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٥٧١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) تفسير القرآن ٣/٢٠ رقم (٢٢٨٤)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢).

(٤) جامع البيان ١٩/٢٩٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٥) جامع البيان ١٩/٣٩٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، عزاه السيوطي في الدر الدر المنثور ١٢/٣٠٨ إلى عبد بن حميد.

١٥٩) قال عبدالرزاق: أرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M ﴿وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ L [غافر: ٤٠] قال: «من عمل شركاً»(١).

١٦٠) قال عبدالرزاق: أرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M U V W X Y L [الزخرف: ١٥] قال: أي «عِدلا»(٢).

١٦١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ L [الواقعة: ٤٦] «هو الشرك»(٣).

التعليق:

إن من أبرز القضايا التي عالجها القرآن الكريم وبينها أتم بيان قضية التوحيد وما ينافيه من الشرك بالله ﷻ ، ولهذا فقد وردت آيات كثيرة في كتاب ربنا تبيّن معنى الشرك الذي نهى الله عنه وبعث الرسل وأنزل الكتب من أجل محاربته وبيان التوحيد الذي هو بضده؛ فتوحيد الله ﷻ أفضل الأعمال والشرك أعظمها سوءاً.

وقد وصف الله ﷻ الشرك في كتابه بأوصاف عِدَّة فالشرك هو الفتنة وهو الظلم وهو الباطل وهو السيئة، وهذه الكلمات وإن كان لها معانٍ أخرى إلا أن أبرز ما يراد بها هو الشرك بالله ﷻ ، ومن المعلوم أن من خصائص السنة النبوية أنها مبينة لما أنزل من القرآن ولذا فقد بينت معاني بعض الألفاظ كما جاء في معنى الظلم، فقد أخرج البخاري

---

(١) تفسير القرآن ٣/١٤٥ رقم (٢٦٧٨) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢٠/٣٣٠ من طريق سعيد عن قتادة نحوه، وجاء في متنه هذا القول: "السيئة عند قتادة شرك"، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣/٤٢ إلى عبد بن حميد.

(٢) تفسير القرآن ٣/١٦٦ رقم (٢٧٥٦) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢٠/٥٦١ من طريق معمر به، ومن طريق سعيد عن قتادة مثله، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣/١٩٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) جامع البيان ٢٢/٣٤٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

في صحيحه عن عبد الله ﷺ قال: 8لما نزلت هذه الآية : M ! " # $ % & L [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ ، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ :$ليس كما تظنون ، إنما هو كما قال لقمان لابنه: M < = > ? A B C D L [لقمان: ١٣]7 [1]، فدل الحديث على أن للشرك معانٍ أخرى كالظلم.

ومعنى الشرك في اللغة كما قال ابن فارس: "الشين والراء والكاف أصلانِ؛ أحدهما يدلُّ على مقارنَة وخِلاَفِ انفرا، والآخر يدلُّ على امتدادٍ واستقامة؛ فالأول الشِّرْكة، وهو أن يكون الشيءُ بين اثنين لا ينفردُ به أحدهما..."[2]، وأما معناه في الشرع فهو: "(**اتخاذ العبد غير الله**) من نبي، أو ولي، أو ملك، أو قبر، أو جني، أو شجر، أو حجر، أو حيوان، أو نار، أو شمس، أو قمر، أو كوكب، أو غير ذلك (**ندا**) من دون الله، (**مسوياً به**) الله يحبه كحب الله، ويخافه ويخشاه كخشية الله، ويتبعه على غير مرضاة الله، ويطيعه في معصية الله، ويشركه في عبادة الله (**مضاهي**) به الله"[3].

وقد أشار قتادة - في هذه الآثار إلى بعض الكلمات والمعاني المرادفة للشرك ومنها: السيئة والظلم والباطل والفساد والحنث العظيم.

(١) أخرجه البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم - باب ما جاء في المتأولين - حديث رقم (٦٩٣٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣/٢٠٥ .

(٣) معارج القبول ٢/٤٨٣ ، وما بين الأقواس من أبيات الشيخ حافظ في سلم الوصول والباقي شرح لها، والأبيات هي قوله: والشرك نوعان فشرك أكبر...به خلود النار إذ لا يغفر ...
وهو اتخاذ العبد غير الله...... ندا به مسويا مضاهي ....

٢- سوء عاقبة الشرك وأهله:

١٦٢) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M E F L [الشعراء: ٨٩] قال: «سليم من الشرك»[(١)].

١٦٣) قال عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن قتادة أو الحسن - أو كليهما - قال: «الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم يغفر، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله ، وأما الظلم الذي لا يترك فظلم الناس بعضهم بعضاً، وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربّه»[(٢)].

التعليق:

بيَّن سبحانه وتعالى عظم ذنب الشرك به وسوء عاقبته ومن ذلك الخزي والحرمان من رحمته عز وجل ، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: Mوَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ : ; > = < ? @ A B C D E F G L [الشعراء: ٨٧-٨٩] ، قال ابن القيم - : "فالقلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما؛ بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادة ومحبة وتوكلا وإنابة وإخباتا وخشية ورجاء وخلص عمله لله"[(٣)].

والشرك بالله عز وجل أعظم الظلم "وأي ظلم أعظم ممن سوى المخلوق - من تراب - الناقص من جميع الوجوه ، الفقير بذاته من كل وجه، الذي لا يملك لنفسه - فضلا

---

(١) تفسير القرآن ٤٦٢/٢ رقم (٢١١٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٥٩٦/١٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٧٣/١١ بلفظ: «كان يقال: سليم من الشرك»، وعزاه إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) المصنف ١٨٣/١١ رقم (٢٠٢٧٦) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢).

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية؛ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى، (الرياض: مكتبة المعارف)، ج ١ ، ص ٧ .

عمّن عبده - نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا - ، بالخالق لكل شيء الكامل من جميع الوجوه ، الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع، الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا فمنه تعالى، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟"(١)، يقول ابن القيم - : "ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله ﷻ حرَّم الجنة على أهله، فلا تدخل الجنة نفسٌ مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد ، فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمَن لم يكن معه مفتاح لم يُفتح له بابها، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به"(٢).

ومن أدلة القرآن الكريم على عِظم ذنب الشرك بالله وخطورته، قوله تعالى: M
Z Y X W V T S R Q P O N M L K J
L [المائدة: ٧٢]، وقوله: M r s t u v w x y z { | } ~ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ L [النساء: ٤٨]، قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي - : "يخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك إذا اقتضت حكمتُه مغفرتَه، فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسبابا كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين، ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد، وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة ، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئاً ، وما لهم يوم القيامة Mمِن شَٰفِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ L [الشعراء: ١٠٠-١٠١]، ولهذا قال تعالى: Mوَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ L [النساء: ٤٨] أي افترى جُرماً كبيراً"(٣).

---

(١) تفسير السعدي ص ١٧٨ .

(٢) الوابل الصيب ص ٢٤ .

(٣) تفسير السعدي ص ١٧٨ .

ومما ورد في السنة مما يُبيِّن عِظَم ذنب الشرك ما جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ ، قال: 8سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: " أن تجعل لله ندا وهو خلقك" قال: قلت له: إن ذلك لعظيم، قال: قلت: ثم أي؟ قال: "ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك" قال: قلت: ثم أي؟ قال: "ثم أن تزاني حليلة جارك"7[1].

وما ذكره قتادة - في شأن الدواوين الثلاثة قد رُوي في السنة النبوية شبهه فعن عائشة " عن رسول الله ﷺ قال: 8الدواوين عند الله ﷻ ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئا، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله؛ فأما الديوان الذي لا يغفره الله: فالشرك بالله، قال الله ﷻ M J K L M N O P Q R L [المائدة: ٧٢] وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً: فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله ﷻ يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً: فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة7[2]، وهنا ينبه إلى أن المراد بالديوان الذي لا يعبأ الله به ما تحصل فيه المسامحة والمساهلة، كما نبه على هذا ابن القيم - حيث قال: "وأما حديث الدواوين: فإنما فيه أن حق الرب تعالى لا يؤوده أن يهبه ويسقطه ولا يحتفل به ويعتني به كحقوق عباده، وليس معناه: أنه لا يؤاخذ به ألبتة أو أنه كله صغائر وإنما معناه: أنه يقع فيه من المسامحة والمساهلة والإسقاط والهبة ما لا يقع مثله في حقوق الآدميين"[3].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة - باب قوله تعالى: Mفَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ L - حديث رقم (٤٤٧٧)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان - حديث رقم (٨٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: رقم (٢٦٠٣١)، والحاكم في المستدرك: كتاب الأهوال ٥٧٥/٤ ، وضعفه الألباني. انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص ٤٤٣ رقم (٣٠٢٢).

(٣) مدارج السالكين ٣٢٧/١ .

٣- ذم المشركين وذم آلهتهم الباطلة:

١٦٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ قال، ثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة قوله: M
] \ [Z Y W V U T S R Q P O N M
L [البقرة: ١٦٥] «من الكفار لأوثانهم»(١).

١٦٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M
Z [\ ^ _ ` a b L [النحل: ٢١] : «وهي هذه الأوثان التي تُعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها، ولا تملك لأهلها ضرّا ولا نفعاً»(٢).

١٦٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M
! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴿٧٣﴾
L [النحل: ٧٣] قال: «هذه الأوثان التي تُعْبد من دون الله لا تملك لمن يعبدها رزقا، ولا ضرّا ولا نفعا، ولا حياة ولا نشورا»(٣).

١٦٧) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد عن قتادة قوله: M ! " # $ L [الفرقان: ٣]: «وهي هذه الأوثان التي تعبد من دون الله ﷻ»(٤).

---

(١) جامع البيان ٣/١٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٧٦ عقب الأثر (١٤٨٤)، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢/١٢١ بلفظ: " M U V W L قال: يحبون أوثانهم كحب الله، M Y Z [\ ] L من الكفار لأوثانهم " وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢) جامع البيان ١٤/١٩٧ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٣) جامع البيان ١٤/٣٠٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٢٩٢ رقم (١٢٥٩٣) معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩/٨٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٨/٢٦٦٢ رقم (١٤٩٦٤)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم

١٦٨) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد عن قتادة قوله: M وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ L [الفرقان: ٣]: «وهي هذه الأوثان التي تعبد من دون الله لا تضر ولا تنفع ولا تملك موتاً ولا حياة وفي قوله: M وَلَا نُشُورٗا L أي: ولا بعثاً»(١).

١٦٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M E F G L «الآلهة»، M H I J K L [يس: ٧٥] والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً، ولا تدفع عنهم سوءاً؛ إنما هي أصنام»(٢).

١٧٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M < = > ? @ A B C D E F G H L [غافر: ٤٣] أي: «لا ينفع ولا يضرّ»(٣).

١٧١) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ L [النجم: ٤٩] قال: «كان ناس في الجاهلية يعبدون هذا النجم الذي يقال له الشعرى»(٤).

---

(٦٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/١٣٥ إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(١) تفسير القرآن العظيم ٨/٢٦٦٢ رقم (١٤٩٦٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/١٣٥ إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) جامع البيان ١٩/٤٨٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٣٧٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) جامع البيان ٢٠/٣٣٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣/٤٣ إلى عبد بن حميد.

(٤) تفسير القرآن ٣/٢٥٥ رقم (٣٠٤٤)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٢/٨٦ من طريق معمر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/٥٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

التعليق:

قد تنوعت معبودات المشركين في الجاهلية فمنهم من كان يعبد الملائكة، ومنهم من كان يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من كان يعبد الأشجار والأحجار والشمس والقمر والكواكب والنجوم، وفي هذه الآثار بيَّن قتادة - حال هذه المعبودات التي عبدها المشركون من دون الله ﷻ فبعضها كالأصنام أموات لا أرواح فيها، وجميعها لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً فضلاً عن أن تملكه لغيرها، وأما عن حال عابديها فهم يحبونها حبًّا عظيماً وينتصرون لها ويغضبون، وهي كما ذكر - لا تسوق إليهم خيراً، ولا تدفع عنهم سوءاً؛ إنما هي أصنام.

٤ - التماثيل والأوثان:

١٧٢) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد قال: سمعت سعيدا يقول: عن قتادة قوله: M < L [العنكبوت: ١٧] أي: «أصناما»(١).

١٧٣) قال عبدالرزاق: عن معمر عن قتادة قال: «يكره من التماثيل ما فيه الروح، فأما الشجر فلا بأس به»(٢).

١٧٤) قال عبدالرزاق: عن معمر عن قتادة: «أنه كان في باب صُفّته تماثيل ، فقيل له: يا أبا الخطاب! ما هذا؟ فقال: هذا شيء لم آمر به و لم أصنعه، أمر به غيري وشُنِّعت به»(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٠٤٣/٩ رقم (١٧٢١٠)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩).

(٢) المصنف ٤٠٠/١٠ ، باب التماثيل وما جاء فيه، رقم (١٩٤٩٣) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢).

(٣) المصنف ٤٠١/١٠ ، باب التماثيل وما جاء فيه، رقم (١٩٤٩٦) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢).

التعليق:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بسد الذرائع وحماية التوحيد؛ ولهذا حرَّمت تصوير ذوات الأرواح حتى لا تُصبح أوثاناً تُعبد من دون الله ﷻ ، ومن ذلك ما يُصنع من التماثيل، قال الخطابي - : "والصورة التي لا تدخل الملائكة البيت الذي هي فيه ما يحرم اقتناؤه؛ وهو ما يكون من الصور التي فيها الروح مما لم يُقطع رأسه أو لم يُمتهن"(١).

ومما ورد في السنة في تحريم التصاوير ما جاء عن عائشة " أنها قالت: 8دخل عليَّ النبي ﷺ وفي البيت قرام فيه صور، فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه، وقالت: قال النبي ﷺ : "إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور"7(٢) وعن عائشة " أيضاً: 8أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : "إن أولئك ، إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوّروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة"7(٣)، قال ابن حجر - : "فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك سداً للذريعة المؤدية إلى ذلك وفي الحديث دليل على تحريم التصوير"(٤).

والتمثال "اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله؛ وجمعه: التّماثِيل"(٥). والتمثال إذا عبد من دون الله ﷻ صار وثناً، فعن النبي ﷺ أنه قال: "اللهم لا تجعل قبري وثناً ، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(٦).

---

(١) نقله ابن حجر في فتح الباري ١٠/٣٨٢ .

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب - باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله - حديث رقم (٦١٠٩).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة - أبواب استقبال القبلة وما يكره من الصلاة في القبور - حديث رقم (٤٢٧)، وأخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة - حديث رقم (٥٢٨).

(٤) فتح الباري ١/٥٢٥ .

(٥) تهذيب اللغة ٥/٩٧ .

(٦) أخرجه أحمد في المسند: رقم (٧٣٥٨)، وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح: كتاب

قال ابن عبد البر - : "الوثن: الصنم وهو الصورة من ذهب كان أو من فضة أو غير ذلك من التمثال، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنماً كان أو غير صنم، وكانت العرب تصلِّي إلى الأصنام وتعبدَها فخشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم"(١).

وقال الأزهري - : "وقال شمر فيما قرأت بخطّه: أصل الأوثان عند العرب: كُلُّ تمثال من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس ونحوها، وكانت العرب تنصبها وتعبدها، وكانت النصارى تنصب الصليب وهو كالتمثال تعظّمه وتعبده "(٢).

وقد ذكر قتادة - في معنى قوله تعالى:M > L [العنكبوت: ١٧] أي: «أصناما»
وفي الفرق بين الصنم والوثن يقول ابن الأثير: "قد تكرر فيه ذكرُ [الصَّنم والأصْنام] وهو ما اتُّخِذ إلها من دون اللّه تعالى، وقيل هو ما كان له جسْمٌ أو صورةٌ فإن لم يكن له جسمٌ أو صورةٌ فهو وثَنٌ"(٣).

٥ - دعاء غير الله ﷻ:

١٧٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ قال، ثنا يزيد قال، ثنا سعيد، عن قتادة قوله: PM Q RS T U V W X Y L[الأنعام: ١٢١] الآية : «يعني عدوّ الله إبليس، أوحى إلى أوليائه من أهل الضلالة، فقال لهم: خاصموا أصحاب محمد في الميتة، فقولوا: أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون، وأما ما قتل الله فلا تأكلون، وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمرَ الله! فأنزل الله على نبيه: M b c d e L

الصلاة - باب المساجد ومواضع الصلاة ١/٢٣٤ رقم (٧٥٠)، وانظر أيضا كتابه تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ص ٢٥ فقد استوفى تخريجه فيه.

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٥/٤٥ .

(٢) تهذيب اللغة ٥/١١١ .

(٣) النهاية في غريب الأثر ٣/١١٥ .

[الأنعام: ١٢١] وإنا والله ما نعلمه كان شرك قط إلا بإحدى ثلاث؛ أن يدعو مع الله إلهًا آخر، أو يسجد لغير الله، أو يسمي الذبائح لغير الله» [1].

التعليق:

إن من حق الخالق جل وعلا على خلقه أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وهذا من تمام العدل، فإذا اختل هذا الأمر وعَبد المخلوقُ غير خالقه فقد وقع في الشرك بالله الذي لا يرضاه الله ﷻ ولا يغفره لصاحبه إن مات عليه، وإن من أعظم أنواع العبودية لله ﷻ عبودية الدعاء، ولهذا سمّاه الله ﷻ عبادة فقال تعالى: M - . / أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ : ; L [غافر: ٦٠]، وأخرج أحمد وغيره عن النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ في قوله تعالى:$ M - . / أَسْتَجِبْ لَكُمْ L قال: الدعاء هو العبادة، وقرأ: M - . / أَسْتَجِبْ لَكُمْ L - إلى قوله - M : L# [2].

وقد أوضح قتادة - في الأثر المذكور سابقاً بأن دعاء غير الله من الشرك الأكبر، وهذا ما دل عليه القرآن الكريم، قال تعالى: M ¶ ﮁ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا

---

(١) جامع البيان ٥٢٥/٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٨٧/٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٨٣٥٢)، والترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب: ومن سورة البقرة - حديث رقم (٢٩٦٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن الكبرى: كتاب التفسير - سورة غافر - حديث رقم (١١٤٠٠)، وأبو داود في سننه: كتاب الصلاة - باب الدعاء - حديث رقم (١٤٧٩)، وابن ماجه في سننه: كتاب الدعاء - باب فضل الدعاء - حديث رقم (٣٨٢٨)، والحاكم في المستدرك: كتاب الدعاء والذكر ٤٩٠/١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه: كتاب الرقائق - باب الأدعية - ذكر البيان بأن دعاء المرء ربه في الأحوال من العبادة التي - حديث رقم (٨٩٠)، والحديث صححه الألباني.

بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ L [المؤمنون: ١١٧] قال الشيخ سليمان بن عبدالله - : "والآية نص في أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك أكبر"(١).

٦- السجود لغير الله:

١٧٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M P Q R S T U V W X Y L[الأنعام: ١٢١] الآية : «يعني عدوّ الله إبليس، أوحى إلى أوليائه من أهل الضلالة، فقال لهم: خاصموا أصحاب محمد في الميتة، فقولوا: أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون، وأما ما قتل الله فلا تأكلون، وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمرَ الله ! فأنزل الله على نبيه: M b c d e L [الأنعام: ١٢١] وإنا والله ما نعلمه كان شرك قط إلا بإحدى ثلاث؛ أن يدعو مع الله إلهًا آخر، أو يسجد لغير الله، أو يسمي الذبائح لغير الله»(٢).

١٧٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: M ^ _ ` L [يوسف: ١٠٠] «وكانت تحية من قبلكم ، كان بها يحيِّي بعضهم بعضًا ، فأعطى الله هذه الأمة السلام، تحية أهل الجنة، كرامةً من الله تبارك وتعالى عجّلها لهم ونعمة منه»(٣).

---

(١) تيسير العزيز الحميد ١/٥٠٥ .

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (١٧٥).

(٣) جامع البيان ١٣/٣٥٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٢٠٢ رقم (١١٩٩٦) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة نحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٣٣٩ إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

١٧٨) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى:M Z [\ ] ^ _ ` L [يوسف: ١٠٠] قال: على السرير M ^ _ ` L قال: «كان تحية الناس يومئذ أن يسجد بعضهم لبعض»(١).

١٧٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ © قَبْلُ L [الحجر: ٢٧] «وهو إبليس خُلق قبل آدم، وإنما خلق آدم آخر الخلق، فحسده عدوّ الله إبليس على ما أعطاه الله من الكرامة، فقال: أنا ناريّ، وهذا طينيّ ، فكانت السجدة لآدم، والطاعة لله تعالى ذِكره، فقال: Mفَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ : ; L [الحجر: ٣٤]»(٢).

التعليق:

كما أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، فكذلك من عقيدهم أيضا أن الكفر والشرك يكونان بالقول و العمل و الاعتقاد، ولهذا كان السجود لغير الله من الشرك الأكبر المخرج من الملة، وفي كلام قتادة - ما يبين ذلك حيث قال في الأثر الأول: "وإنا والله ما نعلمه كان شرك قط إلا بإحدى ثلاث؛ أن يدعو مع الله إلهًا آخر، أو يسجد لغير الله، أو يسمي الذبائح لغير الله" ، ولقد نهى الله عز وجل عن السجود لغيره وأمر بالسجود له وحده إذ هو الخالق المستحق لهذه العبادة، قال تعالى: M وَمِنْ ءَايَٰتِهِ © وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ µ ¶ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ L [فصلت: ٣٧]، وعن قيس بن سعد رضي الله عنه

---

(١) تفسير القرآن ٢/٢٢٤ رقم (١٣٤١)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٣/٣٥٥ من طريق معمر به.

(٢) جامع البيان ١٤/٦٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٨/٦١٣ مختصراً مقتصراً على قوله: "وهو إبليس، خُلق قبل آدم" وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قال: أتيت الحيرة[1] فرأيتهم يسجدون لمرزبان[2] لهم فقلت: رسول الله أحق أن يسجد له، قال: فأتيت النبي ﷺ ، فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك، قال:$ أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟" قال: قلت: لا، قال: "فلا تفعلوا، لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق#[3]، وقد دل هذا الحديث على أن من السجود المنهي عنه السجود للأنبياء سواء في حياتهم أو السجود إلى قبورهم بعد مماتهم، قال ابن القيم - : "فإن السجود لقبور الأنبياء وعبادتها شرك بل من أعظم الشرك، وقد لعن إمام الحنفاء وخاتم الأنبياء اليهود والنصارى حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وأصل الشرك وعبادة الأوثان من العكوف على القبور واتخاذها مساجد"[4].

واختلف أهل التفسير F في المقصود بسجود إخوة يوسف وأبويه له، قال الشوكاني - : M ^ _ ` L [يوسف: ١٠٠] أي: الأبوان والأخوة، والمعنى أنهم خروا ليوسف سُجداً، وكان ذلك جائزاً في شريعتهم مُنزّلا منزلة التحية، وقيل: لم يكن ذلك سجوداً بل هو مجرد إيماء، وكانت تلك تحيتهم وهو يخالف معنى: M ^ _ ` L فإن الخرور في اللغة: المقيد بالسجود لا يكون إلا بوضع الوجه على الأرض،

(١) الحيرة: بلدة قديمة كانت على ساحل البحر بقرب أرض الكوفة، وكان هناك في قديم الزمان بحر. والآن ليس بها أثر البحر ولا المدينة، بل هي دجلة وآثار طامسة. وكانت الحيرة منزل ملوك بني لخم، وهم كانوا ملوك العرب في قديم الزمان. آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص ١٨٦ ، وانظر أيضا: الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٢٠٧ .

(٢) المرزبان: بضم الزاي رئيس الفرس، أو الفارس الشجاع المقدم على القوم وهو دون الملك في الرتبة ، معرب. تاج العروس من جواهر القاموس ١٦٧/٣٦ ، والمعجم الوسيط ٣٤١/١ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب النكاح - باب في حق الزوج على المرأة - حديث رقم (٢١٤٠)، والحاكم في المستدرك: كتاب النكاح ١٨٧/٢ وصححه، والدارمي في سننه: كتاب الصلاة - باب النهي أن يسجد لأحد - حديث رقم (١٥٠٤)، وقال فيه الألباني: صحيح دون جملة القبر.

(٤) إغاثة اللهفان ٢٨٦/٢ .

وقيل: الضمير في قوله: M _ L راجع إلى الله سبحانه، أي: وخروا لله سجداً وهو بعيد جداً، وقيل: إن الضمير ليوسف واللام للتعليل: أي وخرّوا لأجله" [1]، وقال الخازن[2] - في سجود الملائكة لآدم: " M { L [البقرة: ٣٤] يعني الملائكة وفي هذا السجود قولان أصحهما: أنه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الأرض، وإنما هو الانحناء، وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود إخوة يوسف له في قوله: M ^ _ ` L فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام، وفي السجود لآدم معنى الطاعة لله تعالى والامتثال لأمره، والقول الثاني: أن آدم كان كالقبلة، وكان السجود لله تعالى، كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى"[3].

والسجود وإن كان عند من قبلنا بمعنى الانحناء للتحية إلا أن هذا أيضا مما نُهي عنه في شريعتنا وذلك من تمام التوحيد، قال شيخ الإسلام - : "وأما الانحناء عند التحية: فينهى عنه كما في الترمذي {عن النبي ﷺ أنهم سألوه عن الرجل يلقى أخاه ينحني له؟ قال: لا}[4]، ولأن الركوع والسجود لا يجوز فعله إلا لله ﷻ ؛ وإن كان هذا على وجه

---

(١) محمد بن علي بن محمد الشوكاني؛ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الطبعة الثالثة ، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، (المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، ج ٣ ، ص ٧٨ .

(٢) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، ولد ببغداد سنة: ٦٧٨هـ ثم سكن دمشق وسمع بعض علمائها، وعُرف بالخازن لأنه كان أمينًا لمكتبة بالمدرسة السميساطية في دمشق، وهو عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، توفي بحلب سنة: ٧٤١هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٥/٥ .

(٣) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن؛ تفسير الخازن "لباب التأويل في معاني التنزيل"، (بيروت: دار الفكر - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ج ١ ، ص ٤٨ .

(٤) لفظ الحديث كما أخرجه الترمذي: عن أنس بن مالك ﷺ قال: 8قال رجل: يا رسول الله الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: لا، قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: لا، قال: أفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال نعم7 . قال أبو عيسى: هذا حديث حسن ، وحسّنه الألباني. سنن الترمذي: كتاب الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في المصافحة - حديث

التحية في غير شريعتنا كما في قصة يوسف: M ^ _ ` a b c d e f g h L [يوسف: ١٠٠] وفي شريعتنا لا يصلح السجود إلا لله بل قد تقدم نهيه عن القيام كما يفعله الأعاجم بعضها لبعض فكيف بالركوع والسجود؟ وكذلك ما هو ركوع ناقص يدخل في النهي عنه"(١).

٧- الذبح لغير الله:

١٨٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M P Q R S T U V W X Y Z L [الأنعام: ١٢١] الآية : «يعني عدوّ الله إبليس، أوحى إلى أوليائه من أهل الضلالة، فقال لهم: خاصموا أصحاب محمد في الميتة، فقولوا: أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون، وأما ما قتل الله فلا تأكلون، وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمرَ الله! فأنزل الله على نبيه: M b c d e L [الأنعام: ١٢١] وإنا والله ما نعلمه كان شرك قط إلا بإحدى ثلاث؛ أن يدعو مع الله إلهًا آخر، أو يسجد لغير الله، أو يسمي الذبائح لغير الله» (٢).

١٨١) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: Mوَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ L [المائدة: ٣] «والنصب: حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها، ويذبحون لها، فنهى الله عن ذلك»(٣).

رقم (٢٧٢٨).

(١) مجموع الفتاوى ١/٣٧٧ .

(٢) تقدم تخريجه. انظر: حاشية الأثر رقم (١٧٥).

(٣) جامع البيان ٨/٧١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

التعليق:

الذبح عبادة من العبادات الواجبة لله جل وعلا، قال تعالى: M قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي © رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ L [الأنعام: ١٦٢]، وسئل علي ﷺ ، أخصّكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال: ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعم به الناس كافة، إلا ما كان في قراب سيفي هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: "لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثا "[1].

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي - : "فإن نصوص الكتاب والسنة صريحة في الأمر بالذبح لله وإخلاص ذلك لوجهه كما هي صريحة بذلك في الصلاة؛ فقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتابه، وإذا ثبت أن الذبح لله من أجل العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام، فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده: أن يصرف العبد نوعاً من أفراد العبادة لغير الله، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر "[2].

فتبين مما سبق أن الذبح لغير الله ﷻ شرك أكبر مخرج من الملة، وهذا ما كان عليه أهل الجاهلية فإنهم كانوا يذبحون لمعبوداتهم من دون الله ﷻ كما جاء في الأثر عن قتادة - .

٨- السحر:

١٨٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M / ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ L

(١) أخرجه مسلم: كتاب الأضاحي- حديث رقم (١٩٧٨).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص ٥٤ .

[البقرة: ١٠٢] «فالسحر سحران: سحر تعلِّمُه الشياطين، وسحر يعلِّمُه هاروت وماروت»(١).

١٨٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M F G H I J K L M L [البقرة: ١٠٢] «وتفريقهما: أن يُؤَخِّذَ كل واحد منهما عن صاحبه، ويبغض كل واحد منهما إلى صاحبه»(٢).

١٨٤) قال عبدالرزاق: نا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M c d e f g h i L [البقرة: ١٠٢] أي: «ليس له في الآخرة جنة عند الله»(٣).

التعليق:

السحر نوع من أنواع الشرك، ومعناه في اللغة: كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع وكل ما لطف مأخذه ودق(٤)، وأما في الشرع فهو ينقسم إلى قسمين؛ الأول: "عزائم ورقى وعقد تؤثر في الأبدان و القلوب فيُمرض و يقتل و يُفرِّق بين المرء و زوجه و يأخُذ أحد الزوجين عن صاحبه"(٥) إلا أنه "ليس بمؤثر

---

(١) جامع البيان ٣٣٣/٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) جامع البيان ٣٥٩/٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٣/١ رقم (١٠١٥) من طريق أبي جعفر عن قتادة بنحوه، و رقم (١٠١٦) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣٥/١ إلى عبد بن حميد.

(٣) تفسير القرآن ٢٨٣/١ رقم (٩٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٦٦/٢ إلا أنه قال: "جهة" بدلاً من "جنة"، وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٥/١ رقم (١٠٢٧) وقال: "جهة عند الله" بدلاً من "جنة".

(٤) المعجم الوسيط ٤١٩/١ .

(٥) موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي؛ الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، الطبعة الأولى، (بيروت: دارالكتب العلمية، ١٤٢١هـ -

لذاته نفعاً ولا ضراً، وإنما يؤثر بإذن الله الكوني القدري؛ لأن الله I هو الذي خلق الخير والشر"[١] وهذا القسم هو الذي يكفر فاعله لأنه لا يحصل إلا بالشرك بالله ﷻ ، وأما القسم الثاني فهو: "أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله" وهذا لا يكفر فاعله ولكن يعتبر عاصياً معتدياً[٢].

وقد دلّ على ذم السحر وكفر فاعله قوله تعالى: M ! " # $ %
& ') * + , - . / ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ
أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ : ; < = > ? @ A B C
D F G H I J K L M O P Q R S T
U V W Y Z [\ ] _ ` a b c d e
f g h j k l m n p q r s L
[البقرة: ١٠٢].

وقد حذر النبي ﷺ من السحر وبيّن أنه من الموبقات[٣] فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: 8اجتنبوا السبع الموبقات " قيل: يا رسول الله! وما هن؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات7 [٤].

٢٠٠١م)، ج ٤ ، ص ٧٧ .

(١) عبدالعزيز بن عبدالله بن باز؛ حكم السحر والكهانة، (المملكة العربية السعودية: رئاسة البحوث العلمية والإفتاء " الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية" - ١٤٢١هـ)، ص ٧ .

(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد بن صالح العثيمين، الطبعة الثانية، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ)، ج ١ ، ص ٤٨٩ و ٤٩٠ .

(٣) أي: الذنوب المهلكات. النهاية في غريب الأثر ٣١٥/٥ .

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الوصايا - باب قول الله تعالى : M T U V W X
Y L - حديث رقم (٢٧٦٦)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان - حديث رقم (٨٩).

قال الصابوني - : عن معتقد السلف: "ويشهدون أن في الدنيا سحرا وسحرة إلا أنهم لا يضرون أحدا إلا بإذن الله، قال الله ﷻ: M O P Q R S T U V W L [البقرة: ١٠٢]، ومن سحر منهم واستعمل السحر واعتقد أنه يضر أو ينفع بغير إذن الله تعالى فقد كفر بالله O ، وإذا وصف ما يكفر به استُتيب، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه، وإن وصف ما ليس بكفر أو تكلم بما لا يُفهَم نُهِي عنه فإن عاد عُزِّر، وإن قال: السحر ليس بحرام، وأنا أعتقد إباحته وجب قتله لأنه استباح ما أجمع المسلمون على تحريمه"(١).

ومن أنواع السحر "التولة" وهو: تحبيب المرأة إلى زوجها والرجل إلى إمرأته(٢) ويدخل فيه أيضا التفريق بينهما وتبغيضهما إلى بعض ، وقد بيّن قتادة - هذا النوع من السحر بقوله: «وتفريقهما: أن يُؤَخِّذَ كل واحد منهما عن صاحبه، ويبغض كل واحد منهما إلى صاحبه»، وذكر - معنى قوله تعالى: M c d e f g h i L [البقرة: ١٠٢] بأن الساحر ليس له في الآخرة جنة عند الله.

٩ - الكهانة:

١٨٥) قال عبدالرزاق: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ L [النساء: ٥١] قال: «الجبت: الشيطان، والطاغوت: الكاهن»(٣).

---

(١) أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني؛ عقيدة السلف وأصحاب الحديث، الطبعة الأولى، تحقيق: أبو اليمين المنصوري، (القاهرة: دار المنهاج ، ١٤٢٣هـ)، ص ١٠٥ .

(٢) قال ابن الأثير: التِّوَلَة - بكسر التاء وفتح الواو - ما يُحبّب المرأة إلى زوْجها من السّحر وغيره. النهاية في غريب الأثر ١/٥٥٢ .

(٣) تفسير القرآن ١/٤٦٣ رقم (٦٠١)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٧/١٣٨ ، وأخرجه أيضاً من طريق سعيد عن قتادة بلفظ: «كنا نحدث أن الجبت شيطان، والطاغوت الكاهن».

١٨٦) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M ~ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ L [الشعراء: ٢٢٢] قال: «هم الكهنة تسترق الجن السمع، ثم يأتون إلى أوليائهم من الإنس»(١).

١٨٧) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ L [الشعراء: ٢٢٣] قال: «كانت الشياطين يستمعون إلى السماء فيترلون فيخبرون به الكهنة؛ فكانت الكهنة يحدثون به الناس ويخلطون به كذباً كثيراً فأما ما كان من سمع السماء فتصير حقاً، وأما ما خلطوا به من الكذب فيصير كذباً»(٢).

التعليق:

الكهانة ادعاء علم الغيب الذي استأثر الله جل وعلا به، فيخبر الكاهن ببعض الأمور المستقبلية ويخدع الناس بإصابة الصواب أحياناً، وسبب إصابته هو استراق الجن له من خبر السماء فيلقونه عليه فيخلط معه كذبا كثيراً حتى إذا أخطأ يوماً قال الناس: لقد صدق في يوم كذا وكذا، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: 8إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا M , - . / مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ L قالوا للذي قال: Mٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ L [سبأ: ٢٣]، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته،

---

(١) تفسير القرآن ٢/٤٧٠ رقم (٢١٤٠)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٧/٦٧١ من طريق عبدالرزاق، وكذلك ابن أبي حاتم في تفسيره ٩/٢٨٣٠ رقم (١٦٠٤١و١٦٠٤٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٣١٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٩/٢٨٣٠ رقم (١٦٠٤٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٣١٨ إلى عبد بن حميد وعبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر، والموجود عند عبدالرزاق وابن جرير هو الشطر الأول منه وهو الأثر المذكور قبله.

حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سَمِع من السماء7[1].

قال الخطابي - : الكهنة: قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه، وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصا في العرب لانقطاع النبوة فيهم وهي على أصناف؛ منها ما يتلقونه من الجن فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضا إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حُرِست السماء من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب فبقي من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب"[2].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله: "والكهانة ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن"[3].

ومما جاء في ذم الكهانة ما ورد عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: 8من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد7[4]، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : 8ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير - باب M * + , - . / مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ : L - حديث رقم (٤٨٠٠).

(٢) انظر: فتح الباري ٢١٧/١٠ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ٨٢٣/٢ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند: رقم (٩٥٣٦)، والطيالسي في مسنده - ما أسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - حديث رقم (٣٨١) وقال: محققه: إسناده حسن.

أو سحر له، ومن عقد عقدة - أو قال: من عقد عقدة - ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ 7[1].

والآثار الواردة عن قتادة - فيها بيان لما سبق ذكره من معنى الكهانة وذمّ الكهان.

١٠ - التنجيم:

١٨٨) قال أبو الشيخ: أخبرنا أبو يعلى[2]، حدثنا العباس بن الوليد، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة - تعالى قال: «إن الله تبارك وتعالى خلق هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة السماء، وجعلها يُهتدى بها، وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قلّل رأيه وأخطأ حظّه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به، وإن ناساً جهلة بأمر الله تعالى قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة؛ من غرس بنجم كذا وكذا كان كذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري! ما من نجم إلا يولد به القصير والطويل والأحمر والأبيض والحسن والدميم، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذه الطير شيئاً من الغيب وقضاء[3]، لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله، ولعمري! لو أن أحداً علم الغيب لعلم آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلّمه أسماء كل شيء وأسكنه الجنة يأكل منها رغداً حيث شاء ونهى عن شجرة واحدة فلم يزد به البلاء حتى وقع بما نهي عنه، ولو كان أحد

---

(١) أخرجه البزار في مسنده: أول حديث عمران بن حصين - حديث رقم (٣٥٧٨)، وقال فيه: وهذا الحديث قد روي بعض كلامه من غير وجه فأما بجميع كلامه ولفظه فلا نعلمه يروى إلا عن عمران بن حصين، ولا نعلم له طريقا عن عمران بن حصين إلا هذا الطريق، وأبو حمزة العطار بصري لا بأس به.

(٢) هو: أحمد بن علي بن المثنى ابن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي، محدث الموصل، وصاحب المسند والمعجم، ولد في ٢١٠هـ، وعاش إلى أثناء سنة ٣٠٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/١٧٤ رقم (١٠٠).

(٣) هكذا.

يعلم الغيب لعلم الجنّ حيث مات سليمان بن داود * فلبثت تعمل حولاً في أشد العذاب وأشد الهوان لا يشعرون بموته، فما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل من مِنْسأته - أي تأكل عصاه - فلما خرّ تبينت الجنّ أن لو كانت الجن تعلم الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، وكانت الجن تقول مثل ذلك: إنها كانت تعلم الغيب وتعلم ما في غد فابتلاهم الله ﷻ بذلك، وجعل موت نبي الله ﷺ للجن عظة وللناس عبرة»(١).

التعليق:

خلق الله ﷻ النجوم لحكمٍ عظيمة بيّنها سبحانه في كتابه، قال تعالى: M !
" # $ % & ' ( ) * + , - . /
مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ L [الحجر: ١٦-١٨]، وقال: M إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا :
; < = > ? @ A L [الصافات: ٦-١٠]، وقال: M X Y Z [
\ ] ^ _ a b c d e L [الملك: ٥]، وقال: M E
F G H I J K L M N O Q R S T U V
L [الأنعام: ٩٧]، وقال: M - / هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ L [النحل: ١٦].

---

(١) العظمة ١٢٢٦/٤ رقم (٧٠٢)، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وقد أخرجه البخاري معلقاً مختصراً ١٠٧/٤ في باب في النجوم ، وأخرجه عبد بن حميد في تفسيره (كما في فتح الباري لابن حجر) من طريق آخر عن شيبان عن قتادة به مطولاً إلى قوله: "وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر شيء من الغيب"، وأخرجه ابن جرير مختصراً ٢٨١/٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور إلى قوله: "وعلمه أسماء كل شيء" وعزاه إلى عبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم والخطيب في كتاب النجوم.

وفي هذه الآيات دليل على صحة ما ذكره قتادة - في الحكمة من خلق النجوم حيث قال: "إن الله تبارك وتعالى خلق هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة السماء، وجعلها يُهتدى بها، وجعلها رجوماً للشياطين".

وأما ما ذكره قتادة بقوله: "فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قلّل رأيه وأخطأ حظّه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به....الخ": فهذا يختلف الحكم فيه بحسب نوعه، فعلم النجوم منه ما هو جائز ومنه ما هو محرم وهو "ينقسم إلى قسمين: علم التأثير وعلم التسيير؛ أما علم التأثير فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث والشرور وهذا شرك أكبر، والثاني: أن يجعلها سبباً يدعي به علم الغيب، فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا، ودعوى علم الغيب كفر مخرج عن الملة لأن الله يقول: M قُل لَّا يَعْلَمُ : ; < = > ? @ L [النمل: ٦٥]، والثالث: أن يعتقد أنها سبباً لحدوث الخير والشر، أي أنه إذا وقع شيء نسبة إلى النجوم، ولا ينسب إلى النجوم شيئاً إلا بعد وقوعه، فهذا شرك أصغر.

وعلم التيسير ينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية كجهة القبلة فهذا فيه فائدة عظيمة.

والثاني: أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية، وهو نوعان:

النوع الأول: أن يستدل بها على الجهات، كمعرفة أن القطب يقع شمالاً، والجدي وهو قريب منه يدور حوله شمالاً، وهكذا فهذا جائز، قال تعالى: M - . / هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ L [النحل: ١٦].

والنوع الثاني: أن يستدل بها على الفصول، وهو ما يعرف بتعلم منازل القمر؛ فهذا كرهه بعض السلف وأباحه آخرون "(١).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/٧ بتصرف.

١١ - الرياء:

١٨٩) قال أبو بكر القاضي: حدثنا أحمد، نا إبراهيم الحربي، نا محمد بن الحارث، عن المدائني قال: قال قتادة: «إذا راءى العبد يقول الله تبارك وتعالى لملائكته انظروا إلى عبدي يتهزأ بي»(١).

١٩٠) قال ابن أبي الدنيا: حدثنا عبد الله، قال: حدثنا خالد بن خداش، قال: حدثنا أبو عوانة، عن قتادة قال: «كل بناء رياء فهو على صاحبه لا له إلا من بنى المساجد رياء فهو لا له ولا عليه»(٢).

التعليق:

الرياء عمل ذميم؛ وهو في الأصل من صفات المنافقين الذين ذمّهم الله ﷻ به، قال تعالى: M H I J K L M N O P Q R S T U V W XY Z [L [النساء: ١٤٢]، وهو "مصدر راءى يرائي مراءاة ورياء، وهو أن يري الناس أنه يعمل عملا على صفة وهو يضمر في قلبه صفة أخرى"(٣)، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: 8ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي "قال: قلنا: بلى، قال: "الشرك الخفي: أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل7(٤).

وإن من كمال عظمة الخالق جل وعلا أنه لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته، فالعمل لا يقبله / إلا إذا كان خالصا له موافقاً لسنة نبيه، قال تعالى: Mقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ à â كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ç è é ê ë

(١) المجالسة وجواهر العلم ٤٧٤/١١ رقم (١٦٩٢).

(٢) قصر الأمل ص ١٨٥ رقم (٢٨٧).

(٣) تيسير العزيز الحميد ١٠٤٤/٢ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١١٢٥٢)، وابن ماجه في سننه: كتاب الزهد - باب الرياء والسمعة - حديث رقم (٤٢٠٤) ، وحسنه الألباني.

بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ Î Ï L [الكهف: ١١٠]، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: 8قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه7(١).

ولابن رجب تفصيل جميل في مسألة الرياء ، قال - : "واعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياء محضا؛ بحيث لا يراد به سوى مرئيات المخلوقين لغرض دنيوي كحال المنافقين في صلاتهم، قال الله ﷻ: M N O P Q R S T U L النساء، وقال تعالى: M F G L الماعون، وكذلك وصف الله تعالى الكفار بالرياء المحض في قوله: M وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ L الأنفال، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر عن مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة والتي يتعدى نفعها فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة، وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه أيضاً وحبوطه...، وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء فلا يضره؛ فإن كان خاطرا ودفعة فلا يضره بغير خلاف، فإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، وأرجو أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى وهو مروي عن الحسن البصري وغيره"(٢).

قال الشيخ سليمان بن عبدالله: "لما كان المرائي قاصداً بعمله الله تعالى وغيره كان قد جعل الله تعالى شريكاً، فإذا كان كذلك فالله تعالى هو الغني على الإطلاق، والشركاء

(١) تقدم ذكره. انظر: ص ١٣٢ .

(٢) أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي؛ جامع العلوم والحكم، الطبعة الثالثة، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي - ١٤٢٢هـ)، ص ٣٧ .

بل جميع الخلق فقراء إليه بكل اعتبار فلا يليق بكرمه وغناه التام أن يقبل العمل الذي جعل له فيه شريك، فإن كماله تبارك وتعالى وكرمه وغناه يوجب أن لا يقبل ذلك"(١).

ومن المعلوم لكل مسلم أن الله / لا تخفى عليه خافية، فمن أعظم الجهل أن يعمل الإنسان العمل يُظهر أنه لله وهو يريد به غير وجه الله تعالى، فكأن فاعل هذا الفعل يهزأ بمن ينظر إليه ويعلم ما في قلبه، عن محمود بن لبيد ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال: 8إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله ﷻ لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء7(٢) ، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله: "سمي الرياء شركاً خفياً لأن صاحبه يظهر أن عمله لله ويخفي في قبله أنه لغيره وإنما تزين بإظهاره أنه لله بخلاف الشرك الجلي"(٣).

وقد أشار قتادة - في هذه الآثار إلى نحو ما ذكره الشيخ سليمان حيث قال: «إذا راءى العبد يقول الله تبارك وتعالى لملائكته انظروا إلى عبدي يتهزأ بي».

١٢ - إرادة الإنسان بعمله الدنيا:

١٩١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قول الله:

M y z { | } ~ فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ L

[البقرة: ٢٠٠] «فهذا عبدٌ نَوَى الدنيا ؛ لها عملَ ولها نَصِب»(٤).

١٩٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: قوله:

M ! " # $ % & ' ( ) * + , - .

(١) تيسير العزيز الحميد ١٠٤٨/٢ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: رقم (٢٣٦٣٠).

(٣) تيسير العزيز الحميد ١٠٥٨/٢ .

(٤) جامع البيان ٥٤٣/٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٥٧/٢ رقم (١٨٧٥) من طريق شيبان عن قتادة بنحوه.

/ ﴿٧﴾ L[يونس: ٧] قال: «إذا شئتَ رأيته صاحب دُنْيا؛ لها يفرح، ولها يحزن، ولها يرضى، ولها يسخط»[1].

١٩٣) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: K J I H G M L U T S R Q P O N M L [هود: ١٠] قال: «من كان إنما همه الدنيا أن يطلبها أعطاه الله مالاً وأعطاه ما يعيش به وكان ذلك قصاصاً له بعمله، قال: وهم فيها لا يبخسون يقول: لا يظلمون»[2].

١٩٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: L U T S R Q P O N M L K J I H G M [هود: ١٠] أي: «لا يظلمون. يقول: من كانت الدنيا همَّه وسَدَمه[3] وطَلِبته ونيتّه، جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاءً، وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة، T S R Q M L[هود: ١٠] أي: في الآخرة لا يظلمون»[4].

١٩٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M ! " # $ % & ' ( ) * + L[الإسراء: ١٨] يقول: «من كانت

---

(١) جامع البيان ١٢/١٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/١٩٢٨ رقم (١٠٢٣٢) من طريق سعيد به ، وعنده: "أتيت" بدلا من "شئت".

(٢) تفسير القرآن ٢/١٨٤ رقم (١١٨٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٢/٣٤٩ .

(٣) السّدَم: بالتحريك النّدم والحزن، والسّدم: الهم ، وقيل: همّ مع ندم، وقيل غيظ مع حزن. انظر: تهذيب اللغة ٤/٢٦٨ ، ولسان العرب ١٢/٢٨٣ .

(٤) جامع البيان ١٢/٣٤٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/٢٠١٢ رقم (١٠٧٤٦) من طريق سعيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٢٦ إلى أبي الشيخ.

الدنيا همّه وسدمه وطلبته ونيته، عجَّل الله له فيها ما يشاء ثم اضطرّه إلى جهنم، قال: M , - . / يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا L [الإسراء: ١٨] مذموما في نعمة الله مدحورا في نقمة الله»[١].

١٩٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M ! " # $ % & ' ( ) L [القيامة: ٢٠-٢١] : «اختار أكثر الناس العاجلة إلا من رحم الله وعصم»[٢].

التعليق:

من أنواع الشرك بالله ﷻ أن يعمل الإنسان العمل وهو يريد به الدنيا؛ وهذا وإن كان فعله يشبه فعل المرائي من إرادة غير الله بعمله إلا أن المرائي يريد رؤية الناس ومديحهم وتعظيمهم له على ما يفعل من عبادة، أما هذا فهو يريد المال أو أي شيء آخر من متاع الدنيا، قال تعالى: M G H I J K L M N O P Q R S T U L [هود: ١٥]، وورد في السنة عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:$تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع7[٣].

---

(١) جامع البيان ١٤/٥٣٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٣٢٢ رقم (١٣٢١٩) من قول الضحاك.

(٢) جامع البيان ٢٣/٥٠٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/١٠٩ إلى عبد بن حميد.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير - باب الحراسة في الغزو في سبيل الله - حديث رقم (٢٧٥٢).

قال شيخ الإسلام: "وهكذا أيضا طالب المال فإن ذلك يستعبده ويسترقه، وهذه الأمور نوعان: منها ما يحتاج العبد إليه كما يحتاج إليه من طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ونحو ذلك؛ فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمترلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه بل بمترلة الكنيف الذي يقضى فيه حاجته من غير أن يستعبده فيكون M N ۞ P Q R S T U V W X Y L [المعارج: ١٩-٢١]، ومنها ما لا يحتاج العبد إليه فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه به فإذا علق قلبه به صار مستعبدا له وربما صار معتمدا على غير الله فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ: $ تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة# (١)"(٢).

وقد بيّن قتادة - في هذه الآثار حال من يعمل من أجل الدنيا، وذكر بأن من كان هذا حاله جازاه الله بحسناته في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب، وأما من كان عمله لله فمن رحمة الله جل وعلا وكرمه أنه يجازيه في الدنيا ويثيبه على أعماله في الآخرة.

١٣- التعبيد لغير الله:

١٩٧) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن الكلبي وقال قتادة: M M N O P Q L [الأعراف: ١٨٩]، قال: «كان آدم لا يولد له ولد إلا مات، فجاءه الشيطان فقال: إن سرك أن يعيش ولدك هذا فسميه عبد الحارث، ففعل، قال: فأشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه. انظر: الصفحة السابقة.

(٢) العبودية ص ٩٢ .

(٣) تفسير القرآن ١٠٣/٢ رقم (٩٦٨) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٦٢٥/١٠ من طريق معمر به.

التعليق:

يثبت قتادة - في هذا الأثر أن من الشرك بالله ﷻ: إضافة العبودية لغير أسماء الله ﷻ وهذا مما اتفق السلف على تحريمه، قال ابن حزم:" واتفقوا على تحريم كل اسم مُعبّد لغير الله ﷻ كعبد العزى، وعبد هبل، وعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب"[1]، قال الشيخ سليمان بن عبد الله معلّقا على قول ابن حزم "حاشا عبد المطلب": "فقد تبين أنه ليس في الصحابة من اسمه مُعبّد لغير الله إلا وغَيّره النبي ﷺ، ومن لا تصح تسميته بذلك أولا تصح له صحبة، فعلى هذا لا تجوز التسمية بعبد المطلب ولا غيره مما عُبّد لغير الله، وكيف تجوز التسمية وقد أجمع العلماء على تحريم التسمية بعبد النبي، وعبد الرسول، وعبد المسيح، وعبد علي، وعبد الحسين، وعبد الكعبة، وكل هذه أولى بالجواز من عبد المطلب لو جازت التسمية به، وأيضاً فقد نص النبي ﷺ على أن التسمية بعبد الحارث من وحي الشيطان وأمره"[2].

وأما عن صحة القصة وهل المقصود بالآية آدم وحواء عليهما السلام أو ذريتهما فهذا محل خلاف بين أهل العلم[3]، إلا أن ما ورد عن قتادة - يقتضي بأن التشريك إنما كان بطاعتهما للشيطان في التسمية لا في العبادة.

١٤ - الأمن من مكر الله:

١٩٨) قال ابن أبي حاتم: أخبرنا موسى بن هارون الطوسي فيما كتب إلي، ثنا الحسين بن محمد المروزى، ثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قوله: ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام:

---

(١) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري؛ مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ١٥٤ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ٢/١٢٥٧ .

(٣) انظر: جامع البيان ٦٢٣ - ٦٣٢ ، والقول المفيد لابن عثيمين ٢/٣٠٨ .

٤٤] قال: «بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قوماً قطّ إلا عند سلوتهم وعزتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله! إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون»(١).

التعليق:

يُحذّر قتادة - في هذا الأثر من الاغترار بالله ﷻ ؛ بحيث يستمر المرء على معصية الله غافلا عنه معتمدا على سعة رحمته فهذا من الأمن من مكر الله الذي هو من الأعمال المذمومة المنافية لكمال التوحيد، قال تعالى: M L J I H M

L S R Q P O N [الأعراف: ٩٩]، يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن - في شرح هذه الآية: "قصد المصنف - بهذه الآية التنبيه على أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب وأنه ينافي كمال التوحيد كما أن القنوط من رحمة الله كذلك"(٢)، ومما ورد في الأثر من ذمّ الأمن من مكر الله ما رواه ابن مسعود ﷺ قال: "أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله"(٣)، وهذا يدل على وجوب الجمع بين الخوف والرجاء كما سبق بيانه في التعليق على الخوف والرجاء عند ذكر أنواع العبادة.

❁❁❁

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/١٢٩١ ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٨٩).

(٢) عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب؛ فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، الطبعة الثالثة عشرة، تحقيق: الوليد بن عبدالرحمن بن محمد الفريان، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الأثير، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ص ٤١٣ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: سورة النساء - حديث رقم (٥٤٥) ، وفي مصنفه ١٠/٤٥٩ رقم (١٩٧٠١)، والطبراني في المعجم الكبير ٩/١٥٦ رقم (٨٧٨٤)، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/٢٠ رقم (١٠١٩)، والحديث إسناده صحيح وهو موقوف على ابن مسعود ﷺ . انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/٧٩ التعليق على حديث رقم (٢٠٥١).

الفصل الثاني:

الآثار الواردة عن قتادة في باب الأسماء والصفات.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة عنه في أسماء الله الحسنى.

المبحث الثاني: الآثار الواردة عنه في صفات الله عز وجل.

المبحث الثالث: الآثار الواردة عنه في المسائل المتعلقة بباب الأسماء والصفات.

المبحث الأول:

الآثار الواردة عنه في أسماء الله الحسنى.

أولا: ما أثر عنه في بعض الأسماء الحسنى.

ثانيا: ما أثر عنه في اسم الله الأعظم.

ثالثا: ما أثر عنه في الإلحاد في أسماء الله.

أولا: ما أثر عنه في بعض الأسماء الحسنى:

١ - الرحمن والرحيم.

٢ - القدوس.

٣ - السلام.

٤ - المؤمن.

٥ - المهيمن.

٦ - العزيز.

٧ - الجبار.

٨ - المتكبر.

٩ - الحي والقيوم.

١٠ - الصمد.

١١ - الخالق والرازق.

١٢ - الحكيم والخبير.

١ - الرحمن والرحيم

١٩٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زُريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M V W X Y Z [\ ] L أي: «يعلمون أنه كلامُ الرحمن، وأنه الحق من الله M _ ` a b c d e f g L [البقرة: ٢٦]»(١).

٢٠٠) قال عبدالرزاق: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M + , - . / وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ L [الحج: ١٧] قال: «الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويصلون القبلة ويقرءون الزبور، والمجوس يعبدون الشمس والقمر، والذين أشركوا يعبدون الأوثان، والأديان ستة؛ خمسة للشيطان وواحد للرحمن»(٢).

٢٠١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة قوله: M يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ L [الأنبياء: ٢٠] يقول: «إن الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون فيها»(٣).

٢٠٢) قال عبدالرزاق: قال معمر، وقال قتادة: «والله لقد استحل بها(٤) الفرج الحرام والمال الحرام والدم الحرام وعصي بها الرحمن »(١).

---

(١) جامع البيان ٤٣١/١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩/١ رقم (٢٧٦) من طريق يزيد به، و رقم (٢٧٧) من طريق سعيد بن بشير به مثله وزاد: "وأنه من عند الله"، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٢٥/١ إلى عبد بن حميد.

(٢) تفسير القرآن ٤٠٨/٢ رقم (١٩٣٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه عبدالرزاق أيضاً في المصنف ١٢٤/٦ رقم (١٠٢٠٦)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٨٥/١٦ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١١٧٦/٤ رقم (٦٦٢٨).

(٣) جامع البيان ٢٤٥/١٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٤) لم يأت في الأثر ذكر المشار إليه، والذي يظهر أنه يريد بذلك كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

٢٠٣) قال الدارقطني: حدثنا أبو بكر النيسابوري، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا يحى بن سلام، حدثني همام، عن قتادة قال: «ينادي المنادي يوم القيامة: إن الله وعد الحسنى وهي الجنة، وأما الزيادة فهو النظر إلى وجه الرحمن ﷻ ، قال: فيتجلى لهم حتى ينظروا إليه»(٢).

٢٠٤) قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، ثنا العباس بن الوليد، ثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة قوله: M G L [الأنعام: ٥٤] قال: «رحيم بعباده»(٣).

التعليق:

يثبت قتادة - في هذه الآثار اسمي "الرحمن والرحيم"، وهما من أسماء الله ﷻ الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، ومعنى الرحمن: أي "ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معاشهم ومصالحهم، وهو اسم يختص بالله سبحانه وتعالى ولا يجوز إطلاقه على غيره، وأما الرحيم: فهو خاص في رحمته لعباده المؤمنين بأن هداهم إلى الإيمان وهو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع"(٤).

وعن الفرق بين هذين الاسمين الكريمين يقول ابن القيم - : "الرحمن: دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم: دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف والثاني للفعل؛ فالأول: دال أن الرحمة صفته، والثاني: دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: Mوَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا L [الأحزاب: ٤٣] Mإِنَّهُۥ

(١) تفسير القرآن ٣/١٤٢ رقم (٢٦٦٣)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢).

(٢) أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني؛ الرؤية، الطبعة الأولى، تحقيق: إبراهيم محمد العلي و أحمد فخري الرفاعي، (الأردن: مكتبة المنار، ١٤١١هـــ - ١٩٩٠م)، ص ١٧٢ رقم (٥٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/١٣٠٢ رقم (٧٣٥٥).

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٢٨ ، وشأن الدعاء للطبراني ص ٣٥ ، وأسماء الله الحسنى "دراسة من مؤلفات ابن القيم" ص ٢٠٧ .

بِهِمۡ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ L [التوبة: ١١٧]و لم يجيء قط رحمن بهم فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته"(١).

ولقد ورد هذان الاسمان في القرآن الكريم في مواضع كثيرة؛ منها قوله تعالى: M + , - L [الفاتحة: ٣]، وقوله: Mوَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ L [البقرة: ١٦٣]وقوله:M Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f h i j k l m n o p q r L [الإسراء: ١١٠]، وقوله: M # $ % & ' L [فصلت: ٢]، وقوله:M m n o p q r s u v w y z { | L [الحشر: ٢٢]وغيرها من الآيات، وأما السنة فقد جاء عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر:$ يأخذ الله سمواته وأرضيه بيديه ثم يقول: أنا الله ويقبض بين أصابعه ويبسطها أنا الرحمن أنا الملك، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ ؟#(٢)، وعن عائشة " ، أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـــ M ! " # $ % L [الإخلاص: ١]، فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال:$ سلوه لأي شيء يصنع ذلك، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن؛ فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ :$ أخبروه أن الله يحبه#(٣)، وعن عبد الرحمن بن سابط، قال: كان رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات ويعظمهن:$ اللهم فارج الهم، وكاشف الكرب، ومجيب المضطرين، ورحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، ارحمني اليوم رحمة واسعة

---

(١) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية؛ بدائع الفوائد ، الطبعة الثانية، تحقيق: علي بن محمد العمران، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد ، ١٤٢٧هـــ)، ج ١ ، ص٤٢ .

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار - حديث رقم (٢٧٨٨) .

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد - باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته - حديث رقم (٧٣٧٥)، وأخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل قراءة: M ! " # $ % L - حديث رقم (٨١٣).

تغنيني بها عن رحمة من سواك#[1] وقد ذَكَر هذين الاسمين ضمن أسماء الله جميع من عدّ وجمع أسماء الله الحسنى[2].

٢ - القدوس

٢٠٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: Mٱلْقُدُّوسُ L [الحشر: ٢٣] أي: «المبارك»[3].

التعليق:

القدُّوس اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، أما دليله من الكتاب فكما ورد في هذا الأثر، وكذلك قوله تعالى: M ! " #$ % & ' ( ) * + , - L [الجمعة: ١]، ويدل عليه من السنة ما أخرجه الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ: $أنه كان يقرأ في الوتر بـــ M o p q r s L [الأعلى: ١] و M ! " # $ L [الكافرون: ١] و M ! " # $ % L [الإخلاص: ١]، فإذا سلم قال: سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس، ورفع بها صوته#[4].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب الدعاء ٥١٤/١ وصححه، والبزار في مسنده: ما روت عائشة عن أبي بكر - حديث رقم (٤٨).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر ٢١٩/١١ ، والنعوت الأسماء والصفات للنسائي ٣٠٥/١ رقم (٣٣)، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعثيمين ص ٤٠ ، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى لمحمد خليفة التميمي ص ١٥٢ .

(٣) جامع البيان ٥٥١/٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً: أبو الشيخ في العظمة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٠١/١٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة.

(٤) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٥٣٥٤)، والنسائي في السنن الكبرى: كتاب الصلاة - كيف

وقد بيَّن قتادة - في هذا الأثر معنى اسم الله "القدوس" وذكر بأن معناه "المبارك"، وقد نَقل أهل اللغة هذا المعنى عن قتادة - ، قال الأزهري: "وجاء في التفسير: أن القدوس المباركُ، ويقال: أرضٌ مقدسةٌ أي: مباركة "(١)، وقال ابن منظور: "ويقال أَرض مقدَّسة أَي مباركة وهو قول قتادة وإِليه ذهب ابن الأَعرابي"(٢)، وللقدوس معنى آخر في اللغة فقالوا "القدوس": أي الطاهر والمنزه عن العيوب والنقائص، قال ابن فارس: (قدس) القاف والدال والسين أصلٌ صحيح، وأظنه من الكلام الشرعيِّ الإسلاميّ، وهو يدلُّ على الطهْر، ومن ذلك الأرضُ المقدَّسة هي المطهَّرة، وتُسمَّى الجنَّة حَظِيرةَ القُدْس أي الطُّهر، وجَبْرَئيلُ عليه السلام رُوح القُدُس وكلُّ ذلك معناه واحد، وفي صِفَة الله تعالى: القُدُّوس وهو ذلك المعنى لأنّه منزَّهٌ عن الأضداد والأنداد"(٣) ، ومما يتميز به هذا الاسم وكذلك اسم الله "السُبّوح" أنه ليس في الكلام اسم على وزن فُعُّول غيرهما(٤).

٣- السلام

٢٠٦) قال عبدالرزاق: عن معمر ، عن قتادة قوله تعالى: M ٱلسَّلَٰمُ L قال: «الله هو السلام، M ٱلْمُؤْمِنُ L قال: آمن لقوله، وهو M © L قال: الشهيد عليه، M ٱلْعَزِيزُ L نقمته إذا انتقم M ٱلْجَبَّارُ L جبر خلقه على ما شاء، M ٱلْمُتَكَبِّرُ L [الحشر: ٢٣] يكبر على كل شيء»(٥).

الوتر بثلاث - حديث رقم (٤٤٦)، والحاكم في المستدرك: كتاب الصلاة ١/٢٧٣ وصححه، وصححه الألباني.

(١) تهذيب اللغة ٣/١٦٣ .

(٢) لسان العرب ٦/١٦٨ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٥/٥٢ .

(٤) انظر: كتاب العين ٣/١٥٢ وتهذيب اللغة ٢/٤٦ .

(٥) تفسير القرآن ٣/٣٠١ رقم (٣١٩٦)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢٢/٥٥٤ مفرقا بعضه من طريق معمر عن قتادة والبعض الآخر من

٢٠٧) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ L [يونس: ٢٥]، قال: «الله هو السلام، والدار الجنة»(١).

التعليق:

الآية التي فسّرها قتادة - في الأثر الأول هي قوله تعالى: M { ~ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ © ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ L [الحشر: ٢٣] وهذه الآية حوت مجموعة من أسماء الله الحسنى، يقول الشيخ ابن سعدي - عن هذه الآية والتي بعدها: "هذه الآيات الكريمات قد اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنى وأوصافه العلى عظيمة الشأن وبديعة البرهان"(٢).

وقد بيّن قتادة - في الأثر الأول معاني بعض هذه الأسماء، وذكر في أوله أن الله هو السلام، ومثله أيضاً في الأثر الثاني، وهذا إثبات منه - لاسم الله "السلام"، وكما ثبت هذا الاسم في القرآن الكريم فقد ثبت في السنة النبوية أيضا فعن عبد الله بن مسعود ، قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة، قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ : 8لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام، ولكن

طريق سعيد عن قتادة، وأبو الشيخ في العظمة باب الأمر بالتفكر في آيات الله 1 وقدرته وملكه وسلطانه - ذكر تعظيم الرب تبارك وتعالى ٣٤٢/١ رقم (٧٦) عن قتادة نحوه، وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ١٣٣/١ نحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٠١/١٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(١) تفسير القرآن ١٧٤/٢ رقم (١١٥٣)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٥٤/١٢ من طريق عبدالرزاق، وفي ١٥٣/١٢ من طريق معمر به نحوه ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٤٣/٦ رقم (١٠٣٢٩) من طريق معمر به مقتصراً على قوله: "فداره الجنة" وأشار إلى شطره الأول عقب الأثر رقم (١٠٣٣٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٤٩/٧ إلى أبي الشيخ.

(٢) تفسير السعدي ص ٩٠٣ .

قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات...الخ7(1)، وعن ثوبان ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ ، إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال: 8اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام...7 (2)، وفي معنى السلام قولان: "أحدهما الذي سلّم عباده من الجور، والآخر السليم من النقائص"(3).

وأما ما ورد في الأثر الثاني من تفسير قوله تعالى: M وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ L بأن السلام هو الله، فهذا أحد المعنيين من الآية وإلا فقد قيل في معنى الآية بأن السلام اسم للدار والتي هي الجنة، قال الأزهري - : وقال الله جل وعز: M وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ L: دار السلام هي الجنة والسلام هو الله، ويجوز أن تكون الجنة دار السلامة والبقاء"(4).

٤ - المؤمن

٢٠٨) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة قوله تعالى: M ٱلسَّلَٰمُ L قال: «الله هو السلام، M ٱلۡمُؤۡمِنُ L قال: آمن لقوله، وهو M © L قال: الشهيد عليه، M ٱلۡعَزِيزُ L نقمته إذا انتقم M ٱلۡجَبَّارُ L جبر خلقه على ما شاء، M ٱلۡمُتَكَبِّرُ L [الحشر: ٢٣] يكبر على كل شيء»(5).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان - أبواب صفة الصلاة - باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب - حديث رقم (٨١٢)، وأخرجه مسلم: كتاب الصلاة - باب التشهد في الصلاة - حديث رقم (٦٣٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته - حديث رقم (٥٩١).

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١١١/٤ .

(٤) تهذيب اللغة ٣٤٧/١ .

(٥) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٠٦).

٢٠٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: Mٱلْمُؤْمِنُ L[الحشر: ٢٣]: «آمن بقوله أنه حقّ»(١).

التعليق:

بيّن قتادة - معاني الأسماء الحسنى الواردة في هذه الآية ومنها اسم الله "المؤمن" فقال في معناه: آمن لقوله، وفي الأثر الثاني قال: آمن بقوله أنه حق، وهذا فيه إثبات منه لما دلّ عليه الاسم من صفة، وقد ذكر أهلُ اللغة عدة معانٍ لاسم الله "المؤمن"، قال الزجاجي - : "المؤمن" في صفات الله ﷻ على وجهين:
أحدهما: أن يكون من الأمان؛ أي: يُؤمِن عباده المؤمنين من بأسه وعذابه، فيأمنون ذلك كما تقول: "آمن فلان فلانا"؛ أي: أعطاه أماناً ليسكن إليه ويأمن، فكذلك أيضاً يقال: "الله المؤمن"؛ أي: يؤمن عباده المؤمنين فلا يأمن إلا من آمنه ...
والوجه الآخر: أن يكون المؤمن من الإيمان وهو التصديق، فيكون ذلك على ضربين: أحدهما: أن يقال: "الله المؤمن"؛ أي: مصدّق عباده المؤمنين؛ أي: يصدقهم على إيمانهم، فيكون تصديقه إياهم قبول صدقِهِم وإيمانهم وإثابتهم عليه. والآخر: أن يكون الله المؤمن؛ أي: مصدقٌ ما وعده عباده؛ كما يقال: "صدق فلان في قوله وصَدَّق" إذا كرّر وبالغ، يكون بمترلة ضَرَب وضرَّب؛ فالله ﷻ مُصدّق ما وعد به عباده ومحققه، فهذه ثلاثة أوجه في المؤمن سائغ إضافتها إلى الله، ولا يصرف فعل هذه الصفة من صفاته ﷻ فلا يقال: "آمن الله"؛ كما يقال: "تقدّس الله، وتبارك الله"، ولا يقال: "الله يؤمن"؛ كما يقال: "الله يحلم ويغفر"، ولم يستعمل ذلك كما قيل: "تبارك الله"، ولم يقل: "هو متبارك"، وإنما تستعمل صفاته على ما استعملتها الأمة وأطلقتها"(٢).

(١) جامع البيان ٥٥٢/٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن جرير أيضاً في ٥٥٢/٢٢ بإسناد آخر من طريق معمر به نحوه.

(٢) أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي؛ اشتقاق أسماء الله، الطبعة الثانية، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص ٢٢١ .

٥- المهيمن

٢١٠) قال عبدالرزاق: عن معمر ، عن قتادة قوله تعالى : Mٱلسَّلَـٰمُ L قال: «الله هو السلام، Mٱلۡمُؤۡمِنُ L قال: آمن لقوله، وهو M © L قال : الشهيد عليه، M ٱلۡعَزِيزُ L نقمته إذا انتقم Mٱلۡجَبَّارُ L جبر خلقه على ما شاء، Mٱلۡمُتَكَبِّرُ L [الحشر: ٢٣] يكبر على كل شيء»[١].

٢١١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M © L [الحشر: ٢٣] قال: «أنزل الله ﷻ كتابًا فشهد عليه»[٢].

التعليق:

بيّن قتادة - في الأثر الأول معنى اسم الله "المهيمن" فذكر بأن معناه: "الشهيد" ووضّح ذلك كما في الأثر الثاني حيث قال: أنزل الله ﷻ كتابًا فشهد عليه، وهذا المعنى قد ورد عن جماعة من السلف منهم ابن عباس ومجاهد بن جبر[٣].

واختلف أهل اللغة في معنى كلمة المهيمن فقيل: "هو: في معنى المؤمن من آمن غيره من الخوف، أو: بمعنى الأمين من الأمانة، أو: بمعنى المؤتمن، أو: بمعنى الشاهد"[٤]، وهذا الأخير هو الذي ورد عن قتادة - ، وقد عرَّفه البيهقي - فقال: "المهيمن" هو: الشهيد على خلقه بما يكون منهم من قول أو عمل، وهو من صفات ذاته"[٥].

---

(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٠٦).

(٢) جامع البيان ٥٥٣/٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٣) انظر: جامع البيان ٥٥٣/٢٢ .

(٤) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس ٢٨٥/٣٦ .

(٥) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي؛ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، الطبعة الأولى، تحقيق: أبو عبدالله أحمد بن إبراهيم أبو العينين، (الرياض: دار الفضيلة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ص ٥٠ .

٦- العزيز

٢١٢) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة قوله تعالى: Mٱلسَّلَٰمُ ۚ L قال: «الله هو السلام، Mٱلْمُؤْمِنُ L قال: آمن لقوله، وهو M © L قال: الشهيد عليه، M ٱلْعَزِيزُ L نقمته إذا انتقم، Mٱلْجَبَّارُ L جبر خلقه على ما شاء، Mٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ L [الحشر: ٢٣] يكبر على كل شيء»(١).

٢١٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ L [القمر: ٤٢] يقول: «عزيز في نقمته إذا انتقم»(٢).

٢١٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M V W X Y L [الأحزاب: ٢٥] : «قوياً في أمره ، عزيزاً في نقمته»(٣).

التعليق:

"العزيز" اسم من أسماء الله تعالى الحسنى ويدل على صفة العزة، ومعناه كما قال البيهقي: "هو الغالب الذي لا يغلب والمنيع الذي لا يوصل إليه، وقيل هو القادر القوي، وقيل: هو الذي لا مثل له، وهو من صفات الذات"(٤)، وأما العزة فيقول ابن فارس في معناها: "(عز) العين والزاء أصل صحيح واحد، يدل على شدة وقوة وما ضاهاهما من غلبة وقهر. قال الخليل: العزة لله جل ثناؤه وهو من العزيز"(٥).

---

(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٠٦).

(٢) جامع البيان ١٥٤/٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٥/١٤ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٣) جامع البيان ٧١/١٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/١٢ إلى وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) الاعتقاد ص ٥٠ .

(٥) معجم مقاييس اللغة ٣١/٤ .

وقد فسّر قتادة - "العزيز" في هذه الآثار بأنه العزيز في نقمته إذا انتقم، وهذا فيه إثبات منه - لاسم الله "العزيز" ولصفة العزة وكذلك صفة الانتقام، وهذا الاسم ورد في مواضع عدة من القرآن الكريم غير الآية موضع التفسير ومن ذلك قوله تعالى: M Q R S T L [البقرة: ١٢٩]، وقوله: M ` a b c d e f L [آل عمران: ٦] M x y z L [إبراهيم: ٤]، وقد جاء في السنة أيضاً فعن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ ، فقال: علمني كلاما أقوله، قال: 8قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم...الخ7(١).

٧- الجبار

٢١٥) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة، قوله تعالى : Mٱلسَّلَٰمُ L قال: «الله هو السلام، Mٱلۡمُؤۡمِنُ L قال: آمن لقوله، وهو M © L قال: الشهيد عليه، M ٱلۡعَزِيزُ L نقمته إذا انتقم، Mٱلۡجَبَّارُ L جبر خلقه على ما شاء، Mٱلۡمُتَكَبِّرُ L [الحشر: ٢٣] يكبر على كل شيء»(٢).

٢١٦) قال أبو الشيخ: حدثنا عبدالله بن محمد بن زكريا، قال: حدثنا سلمة، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا معتمر أبو الحكم الباهلي، عن قتادة - تعالى قال: « من رأى خلقاً من خلقه فتوسم فيه حتى يترل الجبار تبارك وتعالى قال: M Z [\ ] ^ _ L [الحاقة: ١٧] تحمله الملائكة على كواهلها بأيد وعزة وحسن وجمال حتى إذا جلس على كرسيه نادى تعالى به: (لمن الملك اليوم)؟ [غافر: ١٦] فلم يجبه أحد

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء - حديث رقم (٢٦٩٦).

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٠٦).

فعطفها على نفسه تبارك وتعالى فقال: Mلِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴿١٧﴾ L [غافر: ١٦-١٧] »(١).

التعليق:

"الجبار" اسم من أسماء الله جل وعلا الحسنى وهو ثابت في الكتاب والسنة؛ أما الكتاب فقد ورد فيه في موضع واحد فقط وهو الآية التي فسّرها قتادة في الأثر الأول، وأما السنة فكما جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ من قوله ﷺ: 8...فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة...7 (٢)، قال السعدي - في معنى: M ٱلْجَبَّارُ L أي: "الذي قهر جميع العباد وأذعن له سائر الخلق، الذي يجبر الكسير ويغني الفقير"(٣).

وقال ابن القيم - ذاكراً عدة معان لاسم الله "الجبار":

"وكذلك الجبار من أوصافه ... والجبر في أوصافه نوعان

جبر الضعيف وكل قلب قد ... ذا كسرة فالجبر منه دان

والثاني جبر القهر بالعز الذي ... لا ينبغي لسواه من إنسان

وله مسمى ثالث وهو العـــ ... ــــلو فليس يدنو منه من إنسان

---

(١) العظمة ٢/٧٥٢ رقم (٣٣٦)، قال محقق كتاب العظمة (رضا الله بن محمد ادريس المباركفوري) معلقا على هذا الأثر في الحاشية: "وهكذا ورد في جميع النسخ ولم يبد لي معنى ما جاء في أوله ولعله وقع فيه سقط. ولم أجد من أخرجه غير المؤلف. وإسناده ضعيف لأن فيه معتمر بن نافع وهو منكر الحديث، وهو أيضا يشتمل على بعض الألفاظ التي لم يرد ذكرها في القرآن ولا في السنة الصحيحة الثابتة، والذي ورد فيهما هو استواؤه ﷻ على العرش...الخ".

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: M (* + , - . / ﴿٢٣﴾ ﴿٢٣﴾ L [القيامة: ٢٢-٢٣] - حديث رقم (٧٤٣٩).

(٣) تفسير السعدي ص ٩٠٣ .

من قولهم جبارة للنخلة العليـــ ـــا التي فاتت لكل بنان"[١]

قال الشيخ محمد خليل الهرَّاس - عند شرحه لهذه الأبيات: "وقد ذكر المؤلف هنا لاسمه (الجبار) ثلاثة معان، كلها داخلة فيه، بحيث يصح إرادتها منه:

أحدها: أنه الذي يجبر ضعف الضعفاء من عباده ، ويجبر كسر القلوب المنكسرة من أجله، الخاضعة لعظمته وجلاله... فحقيقة هذا الجبر: هو إصلاح حال العبد بتخليصه من شدته ودفع المكاره عنه؛ المعنى: أنه القهار؛ دانَ كلُّ شيء لعظمته، وخضع كل مخلوق لجبروته وعزته؛ فهو يجبر عباده على ما أراد مما اقتضته حكمته ومشيئته؛ فلا يستطيعون الفكاك منه، والثالث: أنه العلي بذاته فوق جميع خلقه؛ فلا يستطيع أحد منهم أنَّ يدنو منه"[٢].

٨- المتكبر

٢١٧) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة قوله تعالى : Mٱلسَّلَٰمُ L قال: «الله هو السلام ، Mٱلۡمُؤۡمِنُ L قال: آمن لقوله، وهو M © L قال: الشهيد عليه، M ٱلۡعَزِيزُ L نقمته إذا انتقم، Mٱلۡجَبَّارُ L جبر خلقه على ما شاء، Mٱلۡمُتَكَبِّرُۚ L [الحشر: ٢٣] يكبر على كل شيء»[٣].

التعليق:

من أسماء الله ﷻ الثابتة في الكتاب والسنة "المتكبر"، قال الشيخ السعدي - : Mٱلۡمُتَكَبِّرُۚ L الذي له الكبرياء والعظمة ، المتنزه عن جميع العيوب والظلم والجور"[٤].

---

(١) الكافية الشافية مع شرحها للهراس ١٠٣/٢ .

(٢) محمد خليل هراس؛ شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣)، ج ٢ ، ص ١٠٤

(٣) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٠٦).

(٤) تفسير السعدي ص ٩٠٣ .

وقد ثبت هذا الاسم أيضاً في السنة فعن ابن عمر ﵄ 8أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: M ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ L [الزمر: ٦٧]، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده ويحركها - يقبل بها ويدبر - يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم" فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: ليخرّن به7(1).

٩- الحي والقيوم

٢١٨) قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، ثنا محمد بن عيسى، ثنا عمرو بن حمران، عن سعيد، عن قتادة قوله: M x L [البقرة: ٢٥٥] «الحي الذي لا يموت»(2).

٢١٩) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا سلام بن أبي مطيع، عن قتادة في قوله: M y L [البقرة: ٢٥٥] قال: «القيم على الخلق بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم»(3).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: رقم (٥٤١٤)، والنسائي في السنن الكبرى: كتاب النعوت - المتكبر حديث رقم (٧٤٤٩)، وابن حبان في صحيحه: كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة - ذكر الإخبار عن تمجيد الله جل وعلا نفسه يوم القيامة - حديث رقم (٧٣٢٧)، وقال الألباني: وإسناده صحيح على شرط مسلم. انظر: السلسلة الصحيحة - التعليق على حديث رقم (٣١٩٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/٥٨٦ رقم (٣١٢٦)، وحسّن إسناده عطية بن نوري الفقيه في أسانيد نسخ التفسير ص ٤٦٢ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/١٨٧ إلى ابن الأنباري في المصاحف.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/٥٨٦ رقم (٣١٢٨).

التعليق:

الحي والقيوم اسمان من أسماء الله ﷻ الحسنى وهما ثابتان بالكتاب والسنة؛ أما الكتاب فقد وردا فيه مجتمعين في ثلاثة مواضع هي قوله تعالى: M s t u v w x y ! L [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: M # $ % & ' ( ) * L [آل عمران: ٢]، وقوله: M وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ L [طه: ١١١]، وورد "الحي" في موضعين آخرين هما قوله تعالى: M وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى : ; L [الفرقان: ٥٨]، وقوله:M هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ L [غافر: ٦٥]، وأما السنة فعن ابن مسعود ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: 8من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثا غفرت له ذنوبه وإن كان فارّا من الزحف7[(١)]، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: 8كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث"7[(٢)].

وهذان الاسمان "عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما مرجع معانيها جميعها"[(٣)]، يقول ابن القيم - موضحاً ذلك: "فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة... ، وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته؛ فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته وهذا من كمال قدرته وعزته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة"[(٤)].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب الدعاء ٥١١/١ ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الدعوات - حديث رقم (٣٥٢٤) ، وحسّنه الألباني.

(٣) بدائع الفوائد ٦٧٩/٢ .

(٤) المصدر السابق.

وفي الأثر الأول يثبت قتادة - اسم الحي لله جل وعلا وكذلك ما دل عليه من صفة الحياة ونفي ما هو بضد ذلك من الموت ، وأما الأثر الثاني فيبيِّن فيه قتادة - معنى اسم الله "القيوم" فقال: هو القيم على الخلق بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وقد نقل أهل اللغة[1] هذا المعنى عن قتادة - ، وقيل في هذين الاسمين بأنهما اسم الله الأعظم، قال ابن أبي العز - : "وهما من أعظم أسماء الله الحسنى، حتى قيل: إنهما الاسم الأعظم، فإنهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تضمن وأصدقه"[2]، وسيأتي الكلام في المطلب الثاني على هذه المسألة.

١٠- الصمد

٢٢٠) قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قال: M ' L [الإخلاص: ٢]: «الدائم»[3].

٢٢١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - L [الإخلاص: ١-٣] قال: كان الحسن وقتادة يقولان: «الباقي بعد خلقه، قال: هذه سورة خالصة، ليس فيها ذكر شيء من أمر الدنيا والآخرة»[4].

التعليق:

---

(١) انظر: تهذيب اللغة ٢٩٠/٣ ، ولسان العرب ٤٩٦/١٢ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١٨٣/١ .

(٣) جامع البيان ٧٣٦/٢٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (٢٩).

(٤) جامع البيان ٧٣٦/٢٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً (مختصرا) ابن أبي عاصم في السنة ٣٠١/١ رقم (٦٧٩)، وابن الضريس في فضائل القرآن رقم (٢٦٧)، وأبو الشيخ في العظمة ٣٨٤/١ رقم (٩٧ و٩٨)، والبيهقي في الأسماء الصفات رقم (١٠٧) كلهم من طريق يزيد بن زريع به، وقال محقق السنة لابن أبي عاصم: إسناده صحيح مقطوع.

الصمد اسم من أسماء الله الحسنى وهو ثابت في الكتاب والسنة؛ أما الكتاب فورد في سورة الإخلاص كما في الأثرين المذكورين، وأما السنة فجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: 8قال الله: كذبني ابن آدم و لم يكن له ذلك، وشتمني و لم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني؛ وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد و لم أولد و لم يكن لي كفئا أحد7(1).

وقد ذكر المفسّرون في معنى الصمد عدة أقوال؛ فقال بعضهم: هو الذي ليس بأجوف ولا يأكل ولا يشرب، وقال بعضهم: هو الذي لا يخرج منه شيء، وقال بعضهم: هو الذي لم يَلِد و لم يُولَد، وقال بعضهم: هو السيد الذي قد انتهى سؤدده، وقال بعضهم: بل هو الباقي الذي لا يفنَى وهذا هو المنقول عن قتادة - كما في الأثرين المذكورين(2).

١١ - الخالق والرازق:

٢٢٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا : ; L [النحل: ١٧] «والله هو الخالق الرازق، وهذه الأوثان التي تعبد من دون الله تخلق ولا تخلق شيئا، ولا تملك لأهلها ضرّا ولا نفعا»(3).

التعليق:

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة - سورة M ! " # $ L - حديث رقم (٤٦٩٥).

(٢) انظر: جامع البيان ٢٤ / ٦٨٩ .

(٣) جامع البيان ١٤/١٩٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩/٢٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

من أسماء الله ﷻ الحسنى "الخالق" و"الرازق"؛ وقد ثبت اسم الله "الخالق" في الكتاب ودليله قوله تعالى: M ´ µ ¶ ¸ ٱلْمُصَوِّرُ L [الحشر: ٢٤]، والسنة دلت عليهما جميعاً فعن أنس بن مالك ﷺ، قال: 8غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله غلا السعر؛ فسعر لنا سعرا، فقال رسول الله ﷺ : "إن الله هو الخالق، القابض، الباسط، الرازق، وإني لأرجو أن لا ألقى الله بمظلمة ظلمتها أحدا منكم في أهل ولا مال7[1]، وقد ذكر اسم الله "الخالق جميع من جمع أسماء الله الحسنى، وأما الرازق فقد ذكره بعضهم و لم يذكره الآخرون[2].

١٢- الحكيم والخبير:

٢٢٣) قال عبدالرزاق: أنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: Mوَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ L [سبأ: ١] قال: «حكيم في أمره، خبير بخلقه»[3].

التعليق:

(١) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٢٥٩١)، والترمذي في سننه: كتاب البيوع عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في التسعير - حديث رقم (١٣١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في سننه: كتاب البيوع - باب في التسعير - حديث رقم (٣٤٥١)، وابن ماجه في سننه: كتاب التجارات - باب من كره أن يسعر - حديث رقم (٢٢٠٠)، والدارمي في سننه: كتاب البيوع - باب: في النهي عن أن يسعر في المسلمين - حديث رقم (٢٥٨٧)، وابن حبان في صحيحه: كتاب البيوع - باب التسعير والاحتكار - ذكر ما يستحب للإمام ترك التسعير للناس في بياعاتهم - حديث رقم (٤٩٣٥)، والحديث صححه الألباني.

(٢) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص ١٤٩-١٥١ .

(٣) تفسير القرآن ٥٦/٣ رقم (٢٣٨٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢٠٨/١٩ من طريق سعيد به مثله، وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية من طريق معمر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٢٦/٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

أثبت قتادة - في هذا الأثر اسمي "الحكيم" و"الخبير" لله جل وعلا وما دلا عليه من صفات ، فذكر بأن الحكيم: هو الحكيم في أمره، والخبير: هو الخبير بخلقه، فالله جل وعلا له الحكمة البالغة في ما أمر ونهى وخلق وسوى، وهو أيضا خبير بخلقه في دنياهم وأخراهم.

ثانيا: ما أثر عنه في اسم الله الأعظم:

٢٢٤) قال عبدالرزاق: قال معمر، وقال قتادة: M ^ _ ` a b L [النمل: ٤٠]: «رجل من بني آدم -أحسبه قال- من بني إسرائيل، كان يعلم اسم الله الذي إذا دعي به أجاب»(١).

التعليق:

أسماء الله جل وعلا كُلّها حسنى، ولله ﷻ منها اسما هو أعظمها ومن خصائص هذا الاسم أن من دعا الله به أجابه ومن سأله به أعطاه، فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه: 8أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك أنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. فقال: 8لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب7(٢).

(١) تفسير القرآن ٤٧٨/٢ رقم (٢١٦٤)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٦٩/١٨ من طريق معمر به، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٨٨٦/٩ رقم (١٦٣٨٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: حديث رقم (٢٢٩٥٢)، والترمذي في جامعه: كتاب الدعوات - باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي ﷺ - حديث رقم (٣٤٧٥)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه أيضا ابن ماجه في سننه: باب اسم الله الأعظم - حديث رقم (٣٨٥٧)، وابن حبان في صحيحه: (٨٩١) ، وصححه الألباني.

وقد اختلف أهل العلم في تحديد الاسم الأعظم فمنهم من قال: هو لفظ الجلالة "الله"، ومنهم من قال: هو "الحي القيوم"، ومنهم من قال: هو "الرب" وقيل غير ذلك.

وقد وردت في تعيين هذا الاسم بعض الأحاديث والآثار منها ما أخرجه الإمام أحمد وغيره عن أسماء بنت يزيد " قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: 8في هذين الآيتين M s t u v w x y L [البقرة: ٢٥٥] و M ! " # $ % & ' ( ) * L [آل عمران: ١-٢] إن فيهما اسم الله الأعظم7(1)، وكذلك ما أخرجه الحاكم وغيره عن أبي أمامة ، عن النبي ﷺ ، قال: 8إن اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن؛ في سورة البقرة، وآل عمران، وطه" قال القاسم: "فالتمستها إنه الحي القيوم"7(2).

"واسم الله الأعظم" كان معلوما عند بعض الناس في الأمم السابقة كما ذكر قتادة - ، ويدل على ذلك ما جاء في قصة بلعام بن باعورا أحد علماء بني إسرائيل الذي كان يعلم اسم الله الأعظم فدعا به على موسى ، قال تعالى: M k l m n o p q r s t u v w x L [الأعراف: ١٧٥]، روى ابن جرير بسنده إلى عبدالله بن عباس في تفسير قوله تعالى: M k l m n o p L قال: «هو رجل يقال له: "بلعم"، وكان يعلم اسم الله الأعظم»(3) .

(1) أخرجه أحمد في المسند: حديث رقم (٢٧٦١١)، وأبو داود في سننه: باب الدعاء - حديث رقم (١٤٩٦)، والترمذي في جامعه: كتاب الدعوات - باب (٦٥) حديث رقم (٣٤٧٨)، وابن ماجه في سننه: باب اسم الله الأعظم - حديث رقم (٣٨٥٥)، والدارمي في سننه: حديث رقم (٣٤٣٢)، والطبراني في المعجم الكبير: حديث رقم (٤٤٠)، وحسنه الألباني.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب الدعاء رقم (١٨٦١).

(3) جامع البيان ١٣/٢٥٨ .

ثالثا: ما أثر عنه في الإلحاد في أسماء الله:

٢٢٥) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M I J K L M L [الأعراف: ١٨٠] يقول: «في آياته»، قال: «يشركون»(١).

التعليق:

الإلحاد في كلام العرب: "هو العدل عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر"(٢)، "والإلحاد في أسماء الله: هو الميل بها عما يجب فيها، وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئاً من الأسماء أو مما دلت عليه من الصفات أو الأحكام.

الثاني: أن يثبت لله أسماء لم يسم الله بها نفسه، كقوله الفلاسفة في الله: إنه علة فاعلة...

الثالث: أن يجعلها دالة على التشبيه بين الخالق والمخلوق مثل قولهم: الله سميع بصير قدير والإنسان سميع بصير قدير فتشابه الأسماء يلزم منه تشابه المسميات.

الرابع: أن يشتق من هذه الأسماء للأصنام، كتسمية اللات من الإله أو من الله،..."(٣).

وقد بيَّن قتادة - في الأثر المذكور أن الإلحاد في أسماء الله هو الشرك فيها، وهذا ما يسمى بشرك الاشتقاق، قال ابن جرير - : وأما قوله: M I J K L M L فإنه يعني به المشركين، وكان إلحادهم في أسماء الله أنهم عدَلوا بها عمّا هي عليه فسموا بها آلهتهم وأوثانهم وزادوا فيها ونقصوا منها فسموا بعضها "اللات" اشتقاقًا منهم لها من اسم الله الذي هو "الله"،..."(٤).

---

(١) تفسير القرآن ٢/١٠١ رقم (٩٦١)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٠/٥٩٧ من طريق معمر به نحوه، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٦٢٣ رقم (٨٥٨٦) من طريق معمر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٦٨٩ إلى عبد بن حميد.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/٥١٦ .

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/٢٢٩ باختصار.

(٤) جامع البيان ١٣/٢٨٢ .

المبحث الثاني:
الآثار الواردة عنه في
صفات الله عز وجل.

أولا: ما أثر عنه في صفات الله تعالى الذاتية

ثانيا: ما أثر عنه في صفات الله تعالى الفعلية

ثالثا: ما أثر عنه في صفتي الكلام والنداء

رابعا: ما أثر عنه في الصفات المنفية

أولا: ما أثر عنه في صفات الله تعالى الذاتية

١ - الوجه

٢ - العين

٣ - اليد

٤ - الساق

٥ - البصر والسمع

٦ - النفس

٧ - النور

٨ - العلم

٩ - العظمة

١٠ - العزة

١١ - الحكمة

١٢ - القيومية

١٣ - والقدرة

١٤ - القوة

١٥ - الطول

١٦ - المعارج

١٧ - العلو

١ - الوجه

٢٢٦) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M " # $ % L [يونس: ٢٦] قال: «الحسنى الجنة، والزيادة فيما بلغنا النظر إلى وجه الله»(١).

٢٢٧) قال أبو نعيم الأصبهاني: حدثنا أبي، قال: ثنا عبدالله بن محمد بن عمران، قال: ثنا محمد بن أبي عمر العدني، قال: ثنا سفيان، عن الحسن الجعفي، عن ابن القاسم بن الوليد، عن قتادة في قوله ﷻ: M ' (L [الكهف: ٤٦] قال: «كل ما أريد به وجه الله تعالى»(٢).

التعليق:

الوجه من صفات الله ﷻ الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، قال تعالى: M Z [\ ] ^ _ L [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى أيضا: M I J K L M L [الرعد: ٢٢]، وقال: M q r s t u v L [الروم: ٣٨]، وقال: M T U V W X Y Z L [الرحمن: ٢٧]، وعن جابر ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية M w x y z { | } ~ مِّن فَوۡقِكُمۡ L قال رسول الله ﷺ:

---

(١) تفسير القرآن ١٧٤/٢ رقم (١١٥٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ٤٥٧/٢ رقم (٢٦٨) وأخرجه أيضاً في ٤٥٨/٢ من طريق روح عن سعيد به، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٦١/١٢ من طريق سعيد بن أبي عروبة ومعمر (كلاهما) عن قتادة بنحوه، وأورد السيوطي في الدر المنثور ٦٥٧/٧ هذا اللفظ عن قتادة قال: «M " # L قال: شهادة أن لا إله إلا الله، M $ L قال: الجنة، M % L قال: النظر إلى وجه الله» وعزاه إلى أبي الشيخ.

(٢) حلية الأولياء ٣٣٩/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٦٥/٧ رقم (١٢٨٣٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦١/٩ إلى ابن مردويه.

أعوذ بوجهك، قال: Mأَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ L قال: أعوذ بوجهك Mأَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا © بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ L [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله ﷺ : هذا أهون أو هذا أيسر#[١]، وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ $ ...ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك# قال: قلت: يا رسول الله! أُخلّف بعد أصحابي، قال:$ إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة،...#[٢]، وفي حديث عتبان بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :$... فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله#[٣].

والسلف F قد أجمعوا على إثبات الوجه لله تعالى، قال ابن خزيمة - : " فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبِّه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين "[٤].

والوجه معلوم المعنى لكنه كسائر صفات الله ﷻ كيفيته مجهولة إلا أننا نؤمن أن لله ﷻ وجهاً يليق به موصوفاً بالجلال والإكرام وموصوفاً بالبهاء والعظمة والنور كما

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير - سورة الأنعام - باب قوله: Mw x y z { | } ~ مِّن فَوۡقِكُمۡ L - حديث رقم (٤٣٦١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز - باب رثى النبي ﷺ سعد بن خولة - حديث رقم (١٢٩٥)، وأخرجه مسلم: كتاب الوصية - باب الوصية بالثلث - حديث رقم (١٦٢٨).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة - أبواب استقبال القبلة - باب المساجد في البيوت - حديث رقم (٤٢٥)، وأخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر - حديث رقم (٣٣).

(٤) أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة؛ التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ، دراسة وتحقيق: د.عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان، الطبعة الخامسة، (المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ج ١ ، ص ٢٦ .

قال ﷺ :$ حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه #"[1][2].

قال ابن خزيمة: "نحن نقول وعلماؤنا جميعاً في جميع الأقطار: أن لمعبودنا ﷻ وجهاً، كما أعلمنا الله في محكم تنزيله ، فذوّاه[3] بالجلال والإكرام وحكم له بالبقاء ونفى عنه الهلاك، ونقول إن لوجه ربنا ﷻ من النور والضياء والبهاء ما لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره"[4].

وقد أثبت قتادة - هذه الصفة لله تعالى على مثل ما جاء عن السلف.

٢ - العين

٢٢٨) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: Mبِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا L [هود: ٣٧] قال: «بعين الله تعالى ووحيه»[5].

٢٢٩) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة: M j k l m n o p r s t u v L

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب في قوله‰ : إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه - حديث رقم (١٧٩).

(٢) محمد الصالح العثيمين؛ شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٢ ج. تخريج: سعد بن فواز الصميل، الطبعة السابعة، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ)، ج ١ ، ص ٢٨٣ .

(٣) قال في حاشيته: أي وصفه بذو.

(٤) التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ٥٣/١ .

(٥) تفسير القرآن ١٨٧/٢ رقم (١١٩٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٣٩٣/١٢ من طريق معمر به، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٢٦/٦ رقم (١٠٨٤٠) من قول ابن عباس رضي الله عنه .

[النور: ٦٤] قال: «ما كان قوم قط على أمر ولا حال إلا كانوا بعين الله وإلا كان عليهم شاهد من الله ﷻ»(١).

التعليق:

العين من صفات الله ﷻ الذاتية الخبرية الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، ويدل عليها من الكتاب قوله تعالى: M وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ : ; < = > L [طه: ٣٩]، وقوله: M وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا L [هود: ٣٧]،وقوله:M أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا L [المؤمنون: ٢٧]، وقوله:M وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا L [الطور: ٤٨]، وقوله:M [\ ] ^ _ ` a L [القمر: ١٤]، ومن السنة ما جاء عن أبي يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة ﷺ، قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية M © ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا L إلى قوله تعالى: M سَمِيعَۢا بَصِيرٗا L [النساء: ٥٨] قال: "رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه"، قال أبو هريرة ﷺ : "رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه"، قال ابن يونس: قال المقرئ: يعني: إن الله سميع بصير؛ يعني أن لله سمعاً وبصراً، قال أبو داود: "وهذا رد على الجهمية"(٢)، وقال عبد الله بن عمر ﷺ : ذكر رسول الله ﷺ يوماً بين ظهراني الناس المسيح الدجال، فقال: "إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور، عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية..."(٣)، وهذا الحديث يدل على أن لله ﷻ عينين اثنتين فقط، وأما ما جاء من جمع

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٦٥٧/٨ رقم (١٤٩٤٣)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣٢/١١ إلى عبد بن حميد.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة - باب في الجهمية - حديث رقم (٤٧٢٨) وقال الألباني: صحيح الإسناد، وأخرجه أيضا الطبراني في المعجم الأوسط: باب العين - باب الهاء - من اسمه : هارون - حديث رقم (٩٥١٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: M < = > L - حديث رقم (٧٤٠٧)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال -

الأعين في الآيات فهذا للعظمة لا للتكثير، قال ابن خزيمة - : "فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبّت الخالق البارئ لنفسه من العين، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبته الله في محكم تنزيله ببيان النبي الذي جعله الله مبيّناً عنه ﷻ في قوله: M وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ : ; < L [النحل: ٤٤] فبيّن النبي ﷺ أن لله عينين فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التنزيل الذى هو مسطور بين الدفتين مقروء في المحاريب والكتاتيب "(١).

وفي الآثار التي وردت عن قتادة - إثبات لهذه الصفة بحمد الله ﷻ.

٣- اليد

٢٣٠) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، ثنا العباس بن الوليد النرسي، ثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة قوله: M بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ L [المائدة: ٦٤] : «ينفق بهما كيف يشاء»(٢).

التعليق:

اليد صفة ثابتة لله ﷻ في الكتاب والسنة وإجماع السلف، ويدل عليها قوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * L [الفتح: ١٠]، وقوله: M ´ µ ¶ ¸ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ L [المائدة: ٦٤]، وقوله: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - L [يس: ٧١]، وقوله: M قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا ´ µ L [ص: ٧٥]، ومن السنة ما

حديث رقم (١٦٩).

(١) التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ١/٩٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/١١٦٨ رقم (٦٥٨١)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩).

ورد عن أبي موسى ﷺ ، عن النبي ﷺ قال: 8إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها7[1]، وفي حديث الشفاعة عن أنس بن مالك ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ : 8... فيأتون آدم ﷺ ، فيقولون : أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه،...7[2]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : 8احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه،...7[3]، وعن أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال: 8يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده، وقال: عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع7[4]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

قال - أبو الحسن الأشعري - : "وأجمعوا - أي السلف - على أنه ﷻ يسمع ويرى وأن له تعالى يدين مبسوطتين"[5] ، وقال ابن منده[6] - : ومن صفاته التي وصف بها نفسه وامتدح بها يداه"[1].

---

(١) تقدم تخريجه. انظر: ص ١٤٣ .

(٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة - باب M E F G H I K L M N O L - حديث رقم (٤٧١٢)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها - حديث رقم (١٩٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء - باب وفاة موسى وذكره بعد - حديث رقم (٣٤٠٩)، وأخرجه مسلم: كتاب القدر - باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام - حديث رقم (٢٦٥٢).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى : M لِمَا ´ µ L - حديث رقم (٧٤١١)، وأخرجه مسلم: كتاب الزكاة - باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف - حديث رقم (٩٩٣)

(٥) رسالة إلى أهل الثغر ص ٢٢٥ .

(٦) هو: محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، ابن منده، أبو عبد الله العبدي الأصبهاني: من كبار

وفي قول قتادة - : "ينفق بهما" إثبات لصفة اليد لله ﷻ ، وأنهما يدان اثنتان ، قال السمعاني عند تفسير قوله تعالى: Mبَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ L [المائدة: ٦٤]: "يعني: [يدا] الله مبسوطتان يرزق وينفق على مشيئته كيف يشاء، قال أهل العلم: ليس في هذا رد على اليهود في إثباتهم اليد لله - تعالى - وإنما الرد عليهم في نسبته إلى البخل، وأما اليد: صفة لله - تعالى - بلا كيف، وله يدان، وقد صح عن النبي أنه قال: 'كلتا يديه يمين'(٢). والله أعلم بكيفية المراد"(٣).

٤ - الساق

٢٣١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: M ï يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ L [القلم: ٤٢] قال: «عن أمر فظيع جليل»(٤).

٢٣٢) قال عبدالرزاق: عن معمر ، عن قتادة في قوله تعالى: M ï يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ L [القلم: ٤٢] قال : «يكشف عن شدة الأمر»(٥).

حفاظ الحديث الراحلين في طلبه المكثرين من التصنيف فيه، ولد سنة: ٣١٠هـ ، وتوفي سنة: ٣٩٥هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٦/٢٩ .

(١) كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد ص ١٩٦ .

(٢) قال رسول الله ﷺ : 8إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمِهم وأهلِيهم وما وُلوا7. أخرجه مسلم: كتاب - كتاب الإمارة - باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم - حديث رقم (١٨٢٧).

(٣) أبو المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار السمعاني؛ تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، ج ٢ ، ص ٥١ .

(٤) جامع البيان ٢٣/١٨٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/٦٤٨ إلى عبد بن حميد.

(٥) تفسير القرآن ٣/٣٣٥ رقم (٣٢٩٢)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢٣/١٨٩ ، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن منده في الرد على

التعليق:

الساق صفة من صفات الله ﷻ الخبرية الثابتة في الكتاب والسنة ومما يدل عليها من الكتاب قوله تعالى: M ï يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ Ô ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ Û L [القلم: ٤٢]، ومن السنة حديث أبي سعيد ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "... يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا"(١)، وفي رواية أخرى قال: قال رسول الله ﷺ: $ ... فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن...#(٢).

وقد اختلف الصحابة % ومن بعدهم من التابعين F في تفسير الآية: M ï يُكْشَفُ عَن سَاقٍ L [القلم: ٤٢]، وهل المراد بالساق في الآية الشدة كما ورد عن قتادة في الأثرين المذكورين، أو المراد بالساق صفة الساق كما ورد في الحديث(٣)، قال شيخ الإسلام - : "وتمام هذا أني لم أجدهم - أي الصحابة - تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى: M ï يُكْشَفُ عَن سَاقٍ L [القلم: ٤٢] فروي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة؛ أن الله يكشف عن الشدة في الآخرة، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين، ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال: M ï يُكْشَفُ عَن سَاقٍ L [القلم: ٤٢]نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله و لم يقل عن ساقه فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا

الجهمية ١/١٧ رقم (٧).

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة - باب M ï يُكْشَفُ عَن سَاقٍ L - حديث رقم (٤٩١٩).

(٢) تقدم تخريجه. انظر: ص ٢٠٧ .

(٣) انظر: جامع البيان ٢٣/١٨٦-١٩٦ .

بدليل آخر ومثل هذا ليس بتأويل"[1]، وقال ابن القيم - : "والصحابة متنازعون في تفسير الآية هل المراد الكشف عن الشدة أو المراد بها أن الرب تعالى يكشف عن ساقه، ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيما يُذكر أنه من الصفات أم لا في غير هذا الموضع، وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة لله لأنه سبحانه لم يضف الساق إليه وإنما ذكره مجرداً عن الإضافة منكراً، والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين والإصبع لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن، وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته"[2].

فدل هذا على أن الساق صفة ثابتة لله ﷻ في السنة، وأن هناك نزاع في ثبوتها في القرآن كما في تفسير قتادة وغيره لها بالشدة.

٥- البصر والسمع

٢٣٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة:M أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ L [الكهف: ٢٦] : «فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع تبارك وتعالى»[3].

التعليق:

أثبت قتادة - في هذا الأثر صفتي السمع والبصر لله ﷻ كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة وعليه إجماع السلف، قال تعالى: Mإِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا

(١) مجموع الفتاوى ٦/٣٩٤ .

(٢) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية؛ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، (الرياض: دار العاصمة - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

(٣) جامع البيان ١٥/٢٣٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩/٥٢١ إلى ابن أبي حاتم.

بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ L [النساء: ٥٨]، وقال: Mوَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ L [النساء: ١٣٤]، وقال أيضا: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ L [الإسراء: ١]، وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال النبي ﷺ: "أيها الناس! اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً لكن تدعون سميعا بصيرا..."[1]، قال ابن منده - : ومن صفات الله ﷻ التي وصف بها نفسه السمع والبصر"[2]، وقد نقل أبو الحسن الأشعري - إجماع السلف على ذلك[3].

٦- النَّفْس

٢٣٤) قال ابن أبي حاتم: حدثنا العباس بن يزيد العبدي، ثنا يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قوله: M s t u v x L [البقرة: ١١٦] قال : «إذ قالوا عليه البهتان عظم نفسه»[4].

٢٣٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M [\ ] ^ _ ` a L [الإسراء: ٤٣] «يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان»[5].

٢٣٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: M لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ ´ µ ¶ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ L [الأنبياء: ٢٢] «يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان»[6].

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات - باب الدعاء إذا علا عقبة - حديث رقم (٦٣٨٤).
(٢) التوحيد ص ١٧٠ .
(٣) انظر: رسالة إلى أهل الثغر ص ٢٠٩ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ٢١٣/١ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧٠/١ إلى أبي الشيخ.
(٥) جامع البيان ٦٠٤/١٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).
(٦) جامع البيان ٢٤٦/١٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر

٢٣٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة قوله: M هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ L لا والله Mسُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ L [الروم: ٤٠] «يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان»(١).

٢٣٨) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ L [الصافات: ١٨٠] قال: «سبح نفسه إذ كذب عليه، قال: M عَمَّا يَصِفُونَ L يقول: عما يكذبون»(٢).

٢٣٩) قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن حرب، ثنا زيد بن الحباب، عن حسين بن واقد، عن مطر، عن قتادة: Mإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ L [الفاتحة: ٥] : «دل على نفسه أنه كذا فقولوا»(٣).

التعليق:

مما ثبت في الكتاب والسنة أن لله ﷻ نفساً، قال تعالى: Mوَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ L [آل عمران: ٢٨]، وقال: M N O P Q ا L [الأنعام: ١٢]، وعن أبي ذر ؓ عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: 8يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا...7 (٤)، وعن عائشة " قالت: 8فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما

المنثور ١٠/٢٧٩ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) جامع البيان ١٨/٥٠٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) تفسير القرآن ٣/١٠٩ رقم (٢٥٧١)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٩/٦٦١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/٣٢٣٤ رقم (١٨٣٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٤٩٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٢٩ رقم (٢٨).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم - حديث رقم (٢٥٧٧).

منصوبتان وهو يقول: "اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"7 [1]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : يقول الله ﷻ : 8أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ هم خير منهم...7 [2].

وقد حصل خلاف بين أهل العلم في "النفس"، هل هي ذات الله ﷻ أم صفة من صفات الذات، وممن ذكرها في الصفات إمام الأئمة ابن خزيمة - : حيث قال: "إثبات النفس لله ﷻ من الكتاب: فأول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا جل وعلا في كتابنا هذا: ذكر نفسه جل ربنا عن أن تكون نفسه كنفس خلقه وعز أن يكون عدماً لا نفس له"[3]، وقال ابن منده: "بيان آخر يدل على ما تقدم من صفات الله ﷻ من ذكر النفس - ثم سرد الآيات والأحاديث في ذلك"[4]، وقد ذهب شيخ الإسلام - إلى أن المراد بالنفس هي ذاته ﷻ[5] حيث قال: "فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء: الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتاً منفكةً عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات؛ وكلا القولين خطأ"[6].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة - باب ما يقال في الركوع والسجود - حديث رقم (٤٨٦).

(٢) تقدم تخريجه. انظر: ص ١٥٣ .

(٣) التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ١/١١ .

(٤) التوحيد ص ١٦١ .

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ١٤/١٩٦ .

(٦) مجموع الفتاوى ٩/٢٩٢ .

٧- النور

٢٤٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M وَأَشۡرَقَتِ : ; < L [الزمر: ٦٩] قال: «فما يتضارون في نوره إلا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه»(١).

٢٤١) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M h i j k l m L [النمل: ٨] قال: «نور الله بورك»(٢).

التعليق:

النور من صفات الله ﻷ الثابتة في الكتاب والسنة ومما يدل عليها من الكتاب قوله تعالى: M y z { | ~ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ L [النور: ٣٥]، وقوله: M وَأَشۡرَقَتِ : ; < L [الزمر: ٦٩]، وأما السنة فمن ذلك ما ورد عن ابن عباس ﭬ ، أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: "اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض ،..."(٣)، وعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله ﻷ خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله"(٤).

---

(١) جامع البيان ٢٦١/٢٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢٤/١٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) تفسير القرآن ٤٧٢/٢ رقم (٢١٤٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١١/١٨ من طريق معمر به.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه - حديث رقم (٧٦٩).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ - ما جاء في افتراق هذه الأمة - حديث رقم (٢٦٣٣) وقال: هذا حديث حسن، وابن حبان في صحيحه: كتاب التاريخ -

ويظهر من خلال هذه الأدلة أن إضافة النور لله ﷻ وردت على ثلاث صور:

الأولى: أنه اسم لله ﷻ ، قال تعالى: M y z { | L [النور: ٣٥].

الثاني: خبر عن الله بأنه نور، قال تعالى: M وَأَشْرَقَتِ : ; < L [الزمر: ٦٩]

وقال: M ~ نُورِهِۦ L [النور: ٣٥].

الثالث: أن حجابه النور، قال ﷺ: $: حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه7 (١). وهذا ما جاء في الأثر الأول عن قتادة - ، وهو لا يخالف ما ثبت في القرآن والسنة من رؤية المؤمنين (٢) لربهم ﷻ يوم القيامة وفي الجنة وقد أثبت ذلك قتادة - كما سيأتي (٣).

وأما ما ورد في الأثر الثاني من أن المراد بمن في النار أي: نور الله ﷻ ، ففيه خلاف بين أهل التفسير فمنهم من قال بأن المراد بـــ M k l m L أي: "النور"، ومنهم من قال: "النار" على ما جاءت به الآية، ثم الذين قالوا بأن المراد به النور اختلفوا فيه: فأكثر المفسرين على أنه نور الرب جل وعلا وهو ما جاء عن قتادة - ، ومن أهل التفسير من قال: أن "من في النار": الملائكة، "ومن حولها": الملائكة أيضاً، وقال آخرون: "من في النار": موسى عليه السلام بكونه قريباً من النار، "ومن حولها": الملائكة، وذكر أبو بكر الهذلي عن الحسن البصري أنه الله تعالى" (٤).

ذكر إلقاء الله جل وعلا النور على من شاء من خلقه - حديث رقم (٦١٦٩) ، وصححه الألباني.

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٦/٣٨٦ ، وشرح نونية ابن القيم للشيخ خليل هراس ٢/١٠٥ .

(٢) قال ابن أبي العز: اختلف في رؤية أهل المحشر - لربهم - على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون.

الثاني: يراه أهل الموقف، مؤمنهم وكافرهم ، ثم يحتجب عن الكفار ولا يرونه بعد ذلك.

الثالث: يراه مع المؤمنين المنافقون دون بقية الكفار. شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٩٧ .

(٣) انظر: ص ٣٠٨ .

(٤) انظر: جامع البيان ١٨/١٠-١٣ ، وتفسير القرآن للسمعاني ٤/٧٨ ، وتفسير الفخر الرازى

وقد نقل القرطبي - قول ابن عباس ومحمد بن كعب وهو قول قتادة: بأن النار نور الله ﷻ ؛ ورجَّح هذا القول(1) واستدل عليه بحديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات؛ فقال: "إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - وفي رواية أبي بكر: النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"(2).

فائدة: قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - : معلقاً على القول بأن من في النار هو الله جل في علاه: وهذا القول بعيد من ظاهر القرآن، ولا ينبغي أن يطلق على الله أنه في النار التي في الشجرة سواء قلنا: إنها نار أو نور سبحانه جل وعلا عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله!" (3)، ولعل في هذا بيان لخطأ من قال بأن المراد بــ M k l m L هو الله ﷻ تعالى الله عن ذلك.

٨- العلم

٢٤٢) قال ابن أبي حاتم: حدثنا موسى بن هارون الطوسي فيما كتب إلي، ثنا الحسين بن محمد المروذي، ثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة قوله: M : ; L [البقرة: ٩٥] قال: «عالم»(4).

٢٤٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: M) * + , - . / عَلِيمٌ L [آل عمران: ٩٢] يقول: «محفوظٌ لكم ذلك، اللهُ به عليمٌ شاكرٌ له»(1).

١/٣٤٥٦ ، والبحر المديد ٥/٣٠٩ .

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٥٨ .

(2) تقدم تخريجه. انظر: ص ٢٢١ .

(3) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢٠/١٤٠ .

(4) تفسير القرآن العظيم ١/١٥٣ رقم (٩٤٢) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٨٩).

٢٤٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M ! " # $ L يعني بذلك نومهم M % & ' ( ) L [الأنعام: ٦٠]، أي: «ما عملتم من ذنب فهو يعلمه، لا يخفى عليه شيء من ذلك»(٢).

٢٤٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M M N O P Q R S U V W X L [الأعراف: ٢٠٠] قال: «علم الله أن هذا العدوَّ مَنيع ومَريد»(٣).

٢٤٦) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ L [هود: ٥]، قال: «أخفى ما يكون إذا أسر في نفسه شيئاً ، وتغطى بثوبه ، فذلك أخفى ما يكون ، فالله يطلع على ما في نفوسكم يعلم ما تسرون وما تعلنون»(٤).

٢٤٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة : M أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ L الآية، قال: «كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله، قال تعالى: M أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ L [هود: ٥] .

---

(١) جامع البيان ٥/٥٧٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/١٩٦ رقم (٣٨٦٥).

(٢) جامع البيان ٩/٢٨٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٦٨ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) جامع البيان ١٠/٦٤٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٦٣٩ رقم (٨٤٢٣) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٧١٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٤) تفسير القرآن ٢/١٨٢ رقم (١١٨١) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٢/٣١٩ من طريق معمر به نحوه.

وذلك أخفى ما يكون ابن آدم إذا حنى صدره واستغشى بثوبه وأضمر همَّه في نفسه؛ فإن الله لا يخفى ذلك عليه»[1].

٢٤٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ، قوله: Mوَفَوْقَ كُلِّ ذِى © عَلِيمٌ L [يوسف: ٧٦] : «حتى ينتهي العلم إلى الله، منه بُدئ وتعلَّمت العلماء وإليه يعود»[2].

٢٤٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M a b c d e f g h L [الرعد: ١٠] : «كل ذلك عنده تبارك وتعالى سواء، السر عنده علانية»[3].

٢٥٠) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M l m n o p q r s L [الحجر: ٢٤]«المستقدمين آدم ومن بعده حتى نزلت هذه الآية: و(المستأخرين) من كان من ذريته لم يخلق بعد وهو مخلوق ، كل أولئك قد علمهم»[4].

---

(١) جامع البيان ٣١٩/١٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٩٩/٦ رقم (١٠٦٦٤) من طريق سعيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣/٨ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) جامع البيان ٢٧١/١٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٧٧/٧ رقم (١١٨٣٢) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة نحوه.

(٣) جامع البيان ٤٥٥/١٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٢٨/٧ رقم (١٢١٧٦) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة نحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٨٠/٨ إلى أبي الشيخ..

(٤) تفسير القرآن ٢٥٦/٢ رقم (١٤٤٤)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٥٦/١٤ من طريق معمر به نحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٠٩/٨ إلى ابن المنذر.

٢٥١) قال عبد الرزاق: أرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M p q L [طه: ٧]: «من السرّ ما حدّثت به نفسك، وما لم تحدث به نفسك أيضا مما هو كائن»(١).

٢٥٢) قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان بن حرب، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة في قول الله: M o p q L [طه: ٧] قال: «يعلم ما أسررت في نفسك، وأخفى: ما لم يكن وهو كائن»(٢).

٢٥٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة في قوله: M وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا L [طه: ٩٨] يقول: «ملأ كلّ شيء علما، تبارك وتعالى»(٣).

٢٥٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة قوله: M وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ L [لقمان: ٢٧] قال: «قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفذ. قال: لو كان شجر البر أقلاما ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه»(٤).

---

(١) تفسير القرآن ٣٦٨/٢ رقم (١٧٩٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٥/١٦، و أخرجه أيضاً ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٢٢٥/٢ رقم (١٨١٣) من طريق معمر به نحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦١/١٠ إلى عبد بن حميد.

(٢) جامع البيان ١٥/١٦.

(٣) جامع البيان ١٥٨/١٦، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٣٨/١٠ إلى ابن أبي حاتم.

(٤) جامع البيان ٥٧٢/١٨، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً عبد الرزاق في تفسيره ٢٤/٣ رقم (٢٢٩٤) عن معمر عن قتادة مختصراً، وأبي الشيخ في العظمة ٣٤٤/١ رقم (٧٧) من طريق يزيد به، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢٤٥/٢ رقم (٣٦٠) معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩٧/١٢ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي النصر السجزي في الإبانة.

٢٥٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M C D L [غافر: ١٩]: أي: «يعلم همزه بعينه ، وإغماضه فيما لا يحبّ الله ولا يرضاه»(١).

٢٥٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: Mوَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ L يقول: «وما كنتم تظنون Mأَن يَشْهَدَ : ; < = L حتى بلغ M F G H L [فصلت: ٢٢] «والله إن عليك يا ابن آدم لشهوداً غير متهمة من بدنك فراقبهم واتق الله في سر أمرك وعلانيتك فإنه لا يخفى عليه خافية، الظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظنّ فليفعل، ولا قوّة إلا بالله »(٢).

التعليق:

من صفات الله الذاتية التي أثبتها جل وعلا لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ صفة العلم، فالله ﷻ عليم بعلم، وعلمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزيئات، وهو أزلي بأزليته فقد علم جل وعلا في الأزل جميع ما هو خالق وجميع أحوال خلقه وأرزاقهم و

(١) جامع البيان ٣٠٤/٢٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرج عبدالرزاق في تفسيره ١٤٣/٣ رقم (٢٦٦٩) عن معمر عن قتادة نحوه، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه أبو بكر القاضي في المجالسة وجواهر العلم ٢٩٠/٧ رقم (٩٣٠)، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ٥١٩/٢ رقم (١٧٢) من طريق يزيد به مثله، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١٣ إلى عبد بن حميد.

(٢) جامع البيان ٤١٠/٢٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٥٨/٨ رقم (١٤٢٩٩) عند تفسير قوله تعالى: M t u v w x y z { | } L [النور: ٢٤] من طريق يزيد به، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ٥٢٠/٢ رقم (١٧٣) بنحوه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٠٠/١٣ شطره الأول إلى قوله: "ما كنتم تظنون" وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير.

آجالهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار، وعلم عدد أنفاسهم ولحظاتهم وجميع حركاتهم وسكناتهم أين تقع ومتى تقع وكيف تقع كل ذلك بعلمه وبمرأى منه ومسمع، لا تخفى عليه منهم خافية، سواء في علمه الغيب والشهادة، والسر والجهر والجليل والحقير، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا في الدنيا ولا في الآخرة [1]، قال تعالى: M وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ L [الأنعام: ٥٩]، و قال سبحانه: M عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ L [الأنعام: ٧٣]، وقال: M ! " # $ % & ' ( ) * + , . / يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ : ; < > ? @A B D E F G H L [الحديد: ٤]، وعن جابر بن عبد الله ، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: "إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم..."[2]، وعن أبي بن كعب ﷺ عن النبي ﷺ في قصة موسى والخضر: "...فسلم موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا، قال: إنك لن تستطيع معي صبرا، يا موسى! إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه لا أعلمه، قال: ستجدني إن شاء الله صابرا، ولا أعصي لك أمرا،... -إلى أن قال- ...فجاء عصفور، فوقع على حرف السفينة، فنقر نقرة أو نقرتين في البحر ، فقال

---

(١) معارج القبول ٣٠٤/١ "بتصرف".

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة - أبواب تقصير الصلاة - باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى - حديث رقم (١١٦٢).

الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر..."(١)

وقد بوّب الدارمي - في الرد على الجهمية: "باب ذكر علم الله تبارك وتعالى - ثم ذكر كلاماً طويلاً في صفة العلم وردّ على الجهمية الذين نفوا هذه الصفة وسائر الصفات عن الله / (٢)، قال ابن القيم - : "فيما اجتمعت عليه الأمور من أمور الديانة من السنن التي خلافها بدعة وضلالة: إن الله / اسمه له الأسماء الحسنى والصفات العلى لم يزل بجميع صفاته وهو سبحانه موصوف بأن له علماً وقدرة وإرادة ومشيئة أحاط علما بجميع ما بدا قبل كونه فطر الأشياء بإرادته..."(٣)

وفي الآثار الواردة عن قتادة - إثبات لعلم الله ﷻ ، وبيان لسعة علمه / ، وأنه لا تخفى عليه خافية، السر عنده علانية، والغيب عنده شهادة، وهو مطلع على ما في النفوس، عالم بما في القلوب، عِلْمُ العلماء منه بدأ وإليه يعود.

٩ - العظمة

٢٥٧) قال عبدالرزاق: أرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M > ? @ L [الشورى: ٥] قال: «من جلال الله وعظمته»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم - باب ما يستحب للعالم إذا سئل : أي الناس أعلم؟ - حديث رقم (١٢٢).

(٢) عثمان بن سعيد الدارمي؛ الرد على الجهمية، الطبعة الأولى، تحقيق: بدر البدر ، (الكويت: الدار السلفية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ص ١١٠ .

(٣) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي "ابن قيم الجوزية"؛ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ - ١٩٨٤م)، ص ٨٣ .

(٤) تفسير القرآن ١٥٩/٣ رقم (٢٧٢٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن أبي شيبة في العرش وما روي فيه ص: ٣٤١ رقم (١٥ ، وأخرج ابن جرير في تفسيره ٤٦٦/٢٠ عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة نحوه، وأبو الشيخ

٢٥٨) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M < = L [الجن: ٣] قال: «تعالى أمر ربنا، قال: تعالت عظمته»[١].

٢٥٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M : ; < = L [الجن: ٣] أي: «تعالى جلاله وعظمته وأمره»[٢].

التعليق:

عظمة الله ﷻ فوق ما يتصور المرء ويدركه العقل، فلا تستطيع العقول له تمثيلا، ولا تتوهم القلوب له صورة.

ومما يدل على عظمته سبحانه هذه المخلوقات العظيمة من سماء وأرض وقمر وشمس، وما أخبر عنه من مخلوقاته التي لم نرها كالعرش والكرسي وغيرهما، فالله جل وعلا الخالق لها أعظم وأجل، فالعظمة من صفاته جل وعلا الثابتة في الكتاب والسنة، قال تعالى: M**وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ** ﴿٢٥٥﴾ L [البقرة: ٢٥٥]، وقال: M **فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ** ﴿٧٤﴾ L [الواقعة: ٧٤]، وقال: M**إِنَّهُۥ كَانَ لَا** à **بِٱللَّهِ** â ﴿٣٣﴾ L [الحاقة: ٣٣]، وعن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب يقول: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم"[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله

الأصبهاني في العظمة ٢/٥٥٠ رقم (٥) من طريق محمد بن ثور عن قتادة نحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣/١٣١ إلى عبد بن حميد.

(١) تفسير القرآن ٣/٣٥١ رقم (٣٣٤٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢٣/٣١٤ من طريق معمر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/٩ إلى عبد بن حميد.

(٢) جامع البيان ٢٣/٣١٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات - باب الدعاء عند الكرب - حديث رقم (٦٣٤٥).

العظيم، سبحان الله وبحمده"[1]، وفي حديث أنس بن مالك ﷺ في الشفاعة عن النبي ﷺ قال :... " ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله"[2].

وقد أثبت قتادة - في هذه الآثار صفة العظمة لله / .

١٠- العزة

٢٦٠) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M H I J K L M L [الشعراء: ٤٤] «فوجدوا الله ﷻ أعز منه»[3].

٢٦١) قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا يونس بن محمد البغدادي، حدثنا شيبان، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك ﷺ أن رجلا قال: يا نبي الله! يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟! قال: "أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة" **قال قتادة: «بلى وعزة ربنا»**[4].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور - باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم - حديث رقم (٦٦٨٢)، وأخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء - حديث رقم (٢٦٩٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد - باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم - حديث رقم (٧٥١٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٧٦٤/٨ رقم (١٥٦٢٥) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤٤/١١ إلى عبد بن حميد.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة - باب قوله: M * + , - . / أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ L - حديث رقم (٤٧٦٠)، وأخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب يحشر الكافر على وجهه - حديث رقم (٢٨٠٦).

التعليق:

ومن صفات الله ﷻ الثابتة في الكتاب والسنة صفة العزة، قال تعالى: G M H I J L M N O L [يونس: ٦٥]، وقال سبحانه: M مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ´ µ L [فاطر: ١٠]، وقال: M سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ L [الصافات: ١٨٠]، وقال: M d e f g h i j k L [المنافقون: ٨]، ومن السنة ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: "لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول: قط قط وعزتك، ويزوى بعضها إلى بعض"(١)، وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ : 8العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته7(٢)، وعن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ كان يقول: 8...اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون7(٣).

وقد أثبت قتادة - في الأثر الأول صفة العزة لله ﷻ ، وقد دلّ إقسامه في الأثر الثاني بهذه الصفة على إثباته لها، ويؤخذ منه أيضاً أنه يرى جواز الحلف بالصفات، قال الشيخ ابن عثيمين - معلقاً على حديث: 8من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك7(٤): "من حلف بغير الله" يشمل كل محلوف به سوى الله، سواء بالكعبة أو الرسول

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور - باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته - حديث رقم (٦٦٦١)، وأخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب النار يدخلها الجبارون، والنار يدخلها الضعفاء - حديث رقم (٢٨٤٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الكبر - حديث رقم (٢٦٢٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: M J K L L - حديث رقم (٧٣٨٣)، وأخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل - حديث رقم (٢٧١٧) واللفظ له.

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند: (٦٠٧٢)، والترمذي في سننه: كتاب النذور والأيمان عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء أن من حلف بغير الله فقد أشرك - حديث رقم (١٥٣٥) وقال:

ﷺ أو السماء أو غير ذلك، ولا يشمل الحلف بصفات الله؛ لأن الصفة تابعة للموصوف، وعلى هذا فيجوز أن تقول: وعزة الله"(١).

١١ - الحكمة

٢٦٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة قوله: M وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ L [لقمان: ٢٧] قال: «قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفذ. قال: لو كان شجر البر أقلاما ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه»(٢).

التعليق:

الحكمة من صفات الله ﻷ، وقد قيل في معناها: بأنها العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاه، وقيل: هي وضع شيء في موضعه(٣)، ويدل على صفة الحكمة من الكتاب قوله تعالى: M P Q R S T U V W Y Z [\ ] L [البقرة: ٣٢]، وقوله تعالى: M A B C D E F L [آل عمران: ١٨]، وقوله تعالى: M u v w x y z { L [النمل: ٩]، ومن السنة حديث

هذا حديث حسن، وأبو داود في سننه: كتاب الأيمان والنذور - باب في كراهية الحلف بالآباء - حديث رقم (٣٢٥١)، وابن حبان في صحيحه: كتاب الأيمان - ذكر الزجر عن أن يحلف المرء بشيء سوى الله جل وعلا - حديث رقم (٤٣٥٨)، والحاكم في المستدرك: كتاب الأيمان والنذور ٤/٢٩٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد صحّح الحديث الألباني - .

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/١٤٨ .

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٥٤).

(٣) التعريفات للجرجاني ص ١٥٤ .

مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: 8جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ ، فقال: علمني كلاما أقوله، قال: "قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيرا، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم" قال: فهؤلاء لربي، فما لي؟ قال: "قل: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني"7(1).

وفي قول قتادة - : "لو كان شجر البر أقلاما ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه": إثبات لحكمة الله ﷻ .

١٢ - القيومية

٢٦٣) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ ´ µ ¶ ¸ كَسَبَتْۗ L [الرعد: ٣٣] قال: «الله تعالى قائم على كل نفس»(2).

٢٦٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ ´ µ ¶ ¸ كَسَبَتْۗ L [الرعد: ٣٣] «ذلكم ربُّكم تبارك وتعالى، قائمٌ على بني آدمَ بأرزاقهم وآجالهم، وحَفظ عليهم – والله - أعمالهم»(3).

التعليق:

الله جل وعلا هو القائم على كل نفس، وهو القيوم الذي يحفظ كل شيء ويرزقه ويدبره ويصرّفه فيما شاء، فالقيومية من صفات الله ﷻ الثابتة في الكتاب والسنة، وقد بين قتادة - في هذين الأثرين شيئاً من معانيها، ومن الأدلة على هذه الصفة قوله تعالى: M s t u v w x y z L [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: M # $ % & ' ( ) * L [آل عمران: ٢]، وقوله: M وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ

(١) تقدم ذكره. انظر: ص ٢٠٦ .

(٢) تفسير القرآن ٢/٢٣٨ رقم (١٣٨٤) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٣/٥٤٦ من طريق معمر به.

(٣) جامع البيان ١٣/٥٤٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

ظُلْمًا ﴿١١١﴾ L [طه: ١١١]، وعن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال: "اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن،..."[١] وعن أنس ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسا ورجل يصلي ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ : "لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى"[٢].

١٣ - القدرة

٢٦٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M B C D E L [البقرة: ١٦٤] قال : «قادر والله ربنا على ذلك إذا شاء جعلها عذاباً وريحاً عقيماً لا تلقح، إنما هي عذاب على من أرسلت عليه»[٣].

٢٦٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M X Y Z [\ ] ^ L [آل عمران: ٦] : «قادرٌ والله ربُّنا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة - أبواب تقصير الصلاة - باب التهجد بالليل - حديث رقم (١١٢٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٢٦١١)، وأبو داود في سننه: كتاب الصلاة - باب الدعاء - حديث رقم (١٤٩٥)، والنسائي في السنن الصغرى: كتاب السهو - باب الدعاء بعد الذكر - حديث رقم (١٣٠٠)، وصححه الألباني.

(٣) جامع البيان ١٢/٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٧٥/١ رقم (١٤٧٤) من طريق شيبان النحوي عن قتادة مطولا، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٠/٢ إلى عبد بن حميد.

أن يصوّر عبادَه في الأرحام كيف يشاء، من ذكر أو أنثى، أو أسود أو أحمر، تامّ خلقُه وغير تامّ»[1].

٢٦٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة في قوله: Mإِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ L [النساء: ١٣٣] : «قادرٌ واللهِ ربُّنا على ذلك، أن يهلك من يشاء من خلقه ويأتي بآخرين من بعدهم»[2].

٢٦٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة M { ~ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا L [يس: ٨٠] يقول: «الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه»[3].

٢٦٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M يَهَبُ لِمَن ´ µ ¶ ¸ يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ L [الشورى: ٤٩] «قادر والله ربنا على ذلك أن يهب للرجل ذكورا ليست معهم أنثى، وأن يهب للرجل ذكرانا وإناثا فيجمعهم له جميعا، Mوَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ L [الشورى: ٥٠] لا يولد له»[4].

---

(١) جامع البيان ١٨٧/٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٠/٢ رقم (٣١٥٩) من طريق شيبان عن قتادة مختصرا، وأورد السيوطي في الدر المنثور ٤٦٦/٣ من قوله: من ذكر وأنثى إلى آخره وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير.

(٢) جامع البيان ٥٨٢/٧ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٨٥/٤ رقم (٦٠٧٣) من طريق يزيد به مثله، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٣/٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) جامع البيان ٤٨٩/١٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٨١/١٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) جامع البيان ٥٣٨/٢٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

التعليق:

بيّن قتادة - في هذه الآثار بعضاً من صور قدرة الله I ، ومن ذلك أنه يصرف الرياح فإن شاء جعلها عذاباً وريحاً عقيماً لا تلقح، وإن شاء جعلها رحمة، وأن من قدرته جل وعلا تصوير عباده في الأرحام كيف يشاء، من ذكر أو أنثى، أو أسود أو أحمر، تامّ خلقُه وغير تامّ، ومن قدرته إهلاك الخلق أجمعين وإتيانه بغيرهم، ومن قدرته بعث الخلق أجمعين، ومما دل على هذه الصفة من الكتاب العزيز قوله تعالى: M e f g h i j L [البقرة: ٢٠]، وقوله تعالى: M . / نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ : ; < = > ? @ A B L [الأنعام: ٣٧]، وقوله: Mكَذَّبُوا۟ © كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ L [القمر: ٤٢]، ومن السنة ما ورد عن عثمان بن أبي العاص ، أنه أتى رسول الله ﷺ ، قال عثمان: وبي وجع قد كاد يهلكني، قال: فقال رسول الله ﷺ : "امسحه بيمينك سبع مرات، **وقل أعوذ بعزة الله وقدرته،** من شر ما أجد" قال: فقلت ذلك، فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم"(١)، وقال أبو مسعود البدري : 8 كنت أضرب غلاما لي بالسوط، فسمعت صوتا من خلفي، "اعلم أبا مسعود!"، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ ، فإذا هو يقول: "اعلم أبا مسعود! اعلم أبا مسعود!" قال: فألقيت السوط من يدي،

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب العين - باب التعوذ والرقية من المرض - حديث رقم (١٧٠٢)، وأحمد في المسند: رقم (١٦٢٦٨)، والترمذي في سننه: كتاب الطب عن رسول الله ﷺ - حديث رقم (٢٠٨٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في سننه: كتاب الطب - باب كيف الرقى - حديث رقم (٣٨٩١)، وابن ماجه في سننه: كتاب الطب - باب ما عوذ به النبي ﷺ - حديث رقم (٣٥٢٢)، والحاكم في المستدرك: كتاب الجنائز ٣٤٢/١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ، وقد صحح الحديث الألباني - .

فقال: "اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام"، قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً ...7 (1).

١٤ - القوة

٢٧٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: M وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ L [الرعد: ١٣] أي: «القوة والحيلة»(2).

٢٧١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ L [الذاريات: ٤٧] أي: «بقوّة»(3).

التعليق:

القوة من صفات الله ﷻ الثابتة في الكتاب والسنة، والله ﷻ شديد الحيلة والقوة وقد أمسك السماء وبناها بقوة كما ذكر قتادة - ، ويدل على هذه الصفة قوله تعالى: M f g h i j L [هود: ٦٦]، وقوله تعالى: M Z [\ ] ^ _ ` a b c d L [الشورى: ١٩]، وقوله تعالى: M _ ` a b c d e f g h i j k l m L [البقرة: ١٦٥]، وقوله: M T U V W X Y Z [L [الذاريات: ٥٨].

---

(1) أخرجه مسلم: كتاب الأيمان - باب صحبة المماليك، وكفارة من لطم عبده - حديث رقم (١٦٥٩).

(2) جامع البيان ٤٨٤/١٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٧٨/٨ إلى عبد الرزاق وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(3) جامع البيان ٥٤٦/٢١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

١٥ - ذو الطول

٢٧٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: C M D L [غافر: ٣] أي: «ذي النعم»(١).

التعليق:

قال تعالى: M = > ? @ A B C D F G H I K L M L [غافر: ٣] فمما يوصف الله جل وعلا به: أنه ذو الطول ومعناه كما بينه قتادة - .

١٦ - ذو المعارج

٢٧٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ L [المعارج: ٣] : «ذي الفواضل والنِّعم»(٢).

التعليق:

ومما يوصف الله جل وعلا به أيضاً أنه ذو المعارج، ومعنى المعارج: الفواضل والنعم كما ذكر قتادة - ، قال تعالى: M مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ L [المعارج: ٣]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه : 8 أن تلبية رسول الله ﷺ لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك"، قال: وكان عبد الله بن عمر

---

(١) جامع البيان ٢٧٨/٢٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٥/٥ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) جامع البيان ٢٥٠/٢٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٨٨/١٤ إلى عبد بن حميد.

يزيد في تلبيته لبيك لبيك، لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل7 [1]، وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: 8 أهل رسول الله ﷺ فذكر التلبية مثل حديث ابن عمر، قال: والناس يزيدون: "ذا المعارج" ونحوه من الكلام والنبي ﷺ يسمع فلا يقول لهم شيئا 7[2].

١٧ - العلو

٢٧٤) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M c d e f g L [الشعراء: ١٩٢] قال: «هذا القرآن نزل به الروح الأمين»[3].

٢٧٥) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M [\ ] ^ _ ` a b c L [السجدة: ٥] قال : «ينحدر الأمر ويصعد إلى السماء من الأرض في يوم واحد مقداره ألف سنة، خمسمائة في المسير حين يترل وخمسمائة حين يعرج»[4].

٢٧٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: M [\ ] ^ _ ` a b c d e L من أيامكم M f g h i

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج - باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة - حديث رقم (٢١٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب المناسك - باب كيف التلبية - حديث رقم (١٨١٣)، وابن خزيمة في صحيحه: كتاب المناسك - باب إباحة الزيادة في التلبية: "ذا المعارج" ونحوه - حديث رقم (٢٦٢٦) ، وصححه الألباني.

(٣) تفسير القرآن ٢/٤٦٦ رقم (٢١٢٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٧/٦٤١ من طريق معمر به.

(٤) تفسير القرآن ٣/٢٦ رقم (٢٩٩٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٨/٥٩٣ بصيغة التمريض: وذكر عن عبد الرزاق... إلى آخره، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٦٧٥ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

j k l L [السجدة: ٥] يقول: «مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم من أيام الدنيا؛ خمسمائة سنة نزوله، وخمسمائة صعوده، فذلك ألف سنة»(١).

التعليق:

العلو من صفات الله ﷻ وهو ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة،(٢) ومما يدل عليها من الكتاب قوله تعالى: Mوَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ L [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: M [\ ] ^ _ ` L [الرعد: ٩]، وقوله تعالى: Mوَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾ L [الأنعام: ١٨]، وقوله تعالى: M يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ L [النحل: ٥٠]، وقوله: M D E F G H I J K L M N O L [الملك: ١٦]، وقوله: M o p q r s L [الأعلى: ١]، ومن السنة ما رواه أبو سعيد الخدري ﵁ ، قال: 8بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن، بذهبة في أديم مقروظ(٣) لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: "ألا تأمنوني؟ وأنا أمين من في السماء..."7 (٤)، وعن معاوية بن الحكم السلمي ﵁ قال: 8 وكانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا

---

(١) جامع البيان ١٨/٥٩٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ٢/٢٠٥ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٢/٤٣٧ .

(٣) أي: مدبوغ بالقرظ وهو ورق السلم، وبه سمي سعد القرظ المؤذن. النهاية في غريب الأثر ٤/٦٩ .

(٤) أخرجه البخاري: كتاب المغازي - باب بعث علي بن أبي طالب ﵇ - حديث رقم (٤٣٥١)، وأخرجه مسلم: كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم - حديث رقم (١٠٦٤).

الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: "ائتني بها" فأتيته بها، فقال لها: " **أين الله ؟** " **قالت: في السماء**، قال: "من أنا؟" قالت: أنت رسول الله، قال: "اعتقها، فإنها مؤمنة"7 [(١)]، وعروج الأمر وصعوده إلى السماء من ضمن أدلة أهل السنة على إثبات علو الله جل وعلا "علو المكان".

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة - حديث رقم (٥٣٧).

ثانيا: ما أثر عنه في صفات الله تعالى الفعلية:

١ - الاستواء

٢ - النزول

٣ - الإتيان

٤ - الرحمة

٥ - المغفرة

٦ - الرضا

٧ - العجب

٨ - اللطف

٩ - المحبة

١٠ - الشكر

١١ - المشيئة

١٢ - المعية

١٣ - العدل

١٤ - الغضب

١٥ - الانتقام

١٦ - السخط

١٧ - الكره

١٨ - المقت

١٩ - المكر بالماكرين

١ - الاستواء

٢٧٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: B M C D E F G H I J K L M L L [السجدة: ٤]: «في اليوم السابع»(١).

التعليق:

إن من عقيدة أهل السنة الراسخة التي لا تتغير ولا تتبدل الإيمان بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل وغير تكييف ولا تمثيل، ومن ذلك الإيمان بأن الله جل وعلا مستوٍ على عرشه استواءً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، قال ابن خزيمة - : "فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستو على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولا غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية: إنه استولى على عرشه لا استوى"(٢)، وقال القرطبي - :" ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته"(٣)، وقال ابن القيم - : "الوجه الثاني عشر: أن الإجماع منعقد على أن الله سبحانه استوى على عرشه حقيقة لا مجازاً"(٤).

ومعنى الاستواء في اللغة: العلو والاستقرار، وقد ورد عن السلف في تفسيره أربعة معاني: الأول: علا، والثاني: ارتفع، والثالث: صعد، والرابع استقر(٥)، وقد روى

---

(١) جامع البيان ٥٩١/١٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ٢٣٣/١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٩/٧ .

(٤) محمد بن الموصلي؛ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، تحقيق: الحسين بن عبدالرحمن العلوي، الطبعة الأولى، (المملكة العربية السعودية: أضواء السلف، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ج ٣ ، ص٩٠١ .

(٥) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٣٧٥/١ ، وانظر أيضاً: جامع البيان ٤٥٤/١ فقد تكلم

اللالكائي بسنده عن بشر بن عمر قال: "سمعت غير واحد من المفسرين يقولون: M Y Z [\ ] L قال: على العرش استوى: ارتفع"(١)، فالاستواء معلوم المعنى مجهول الكيف، كما قال ربيعة الرأي والإمام مالك I : " الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة" (٢).

واستواء الله في ﷻ على عرشه قد ذكر في القرآن في سبعة مواضع منها قوله تعالى:M U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b L [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى: M ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ; < = > L [الرعد: ٢]، وقوله:M Y Z [\ ] L [طه: ٥]، وفي السنة ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ بيديه وقال: 8يا أبا هريرة! إن الله خلق السموات والأرضين وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش يوم السابع، وخلق التربة يوم السبت، والجبال يوم الأحد، والشجر يوم الاثنين، والتِّقْن يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء، والدواب يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر، وخلق أديم الأرض أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها؛ من أجل ذلك جعل الله ﷻ من آدم الطيب والخبيث7(٣).

ابن جرير في معنى الاستواء في اللغة عند تفسير قوله تعالى: M ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ L [البقرة: ٢٩]، وكذلك مختصر الصواعق ٣/٨٨٨ .

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/٤٤٠ رقم (٦٦٢).

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٥٥ رقم (١٠٤)، واللالكائي في شرح أصول أهل السنة والجماعة ٣/٤٤١ رقم (٦٦٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٣٠٦ .

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب التفسير - سورة السجدة - حديث رقم (١١٣٢٨) وقال الألباني: جيد الإسناد. مختصر العلو ص ٧٥ ، وقد أخرج هذا الحديث مسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب ابتداء الخلق، وخلق آدم عليه السلام - حديث رقم (٢٧٨٩) بنحوه من دون ذكر "الاستواء على العرش" الذي هو موضع الشاهد من إيراد الحديث.

قال ابن جرير: " وقوله: KM L M L قيل: كان ابتداء ذلك يوم الأحد، والفراغ يوم الجمعة NM O P Q S L [الفرقان: ٥٩] يقول: ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه، وذلك يوم السبت فيما قيل[1]، وقال في موضع آخر: "ثم استوى على عرشه في اليوم السابع بعد خلقه السموات والأرض وما بينهما"[2]، ويتضح من أثر قتادة - إثباته للاستواء وأنه كان في اليوم السابع بعد خلق السموات والأرض.

٢- النزول

٢٧٨) قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن قتادة، قال: «جَنْبتيه: الجنة والنار؛ قال: هذا حين يترل من عرشه إلى كرسيه لحساب خلقه، وقرأ: M وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ L [الفجر: ٢٣]»[3].

٢٧٩) قال أبو الشيخ: حدثنا عبدالله بن محمد بن زكريا، قال: حدثنا سلمة، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا معتمر أبو الحكم الباهلي، عن قتادة - تعالى قال: «من رأى خلقاً من خلقه فتوسم فيه حتى يترل الجبار تبارك وتعالى، قال: M Z [\ ] ^ _ L [الحاقة: ١٧] تحمله الملائكة على كواهلها بأيد وعزة وحسن وجمال حتى إذا جلس على كرسيه نادى تعالى به: (لمن الملك اليوم)؟ فلم يجبه أحد فعطفها على نفسه تبارك وتعالى، فقال: Mلِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ! " # $ % & ' ( ) * , - . / ﴿١٧﴾ L [غافر: ١٦-١٧]»[4].

(١) جامع البيان ٣٨٩/٢٤ .
(٢) جامع البيان ٥٩١/١٨ .
(٣) جامع البيان ٣٨٩/٢٤ .
(٤) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢١٦).

التعليق:

النزول من صفات الله ﷻ الفعلية الثابتة في السنة النبوية، وقد أجمع السلف على إثبات النزول للرب جل وعلا نزولا يليق به، ليس كنزول المخلوقين فإنه سبحانه ليس كمثله شيء، والنزول معلوم المعنى "فالتنزيل والإنزال حقيقة مجيء الشيء أو الإتيان به من علو إلى سفل... وقد تواترت الرواية عن رسول الله ﷺ بنزول الرب كل ليلة إلى سماء الدنيا"[١] فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال: 8ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له7[٢]، وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : 8إذا كان يوم عرفة إن الله ينزل إلى السماء فيباهي بهم الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين من كل فج عميق أشهدكم أني قد غفرت لهم" فتقول له الملائكة: أي رب فيهم فلان يزهو وفلان وفلان قال: يقول الله: "قد غفرت لهم" قال رسول الله ﷺ : "فما من يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة7[٣].

وقد تأول أهل البدع نزول الرب جل وعلا الوارد في الأحاديث بعدة تأويلات منها أنه نزول الإحسان والرحمة، وقولهم باطل وقد رد عليهم السلف في ذلك[٤]، قال ابن

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٣/١١٠٠ .

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه - حديث رقم (٧٥٨).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه: كتاب المناسك - جماع أبواب ذكر أفعال اختلف الناس في إباحته للمحرم - باب تباهي الله أهل السماء بأهل عرفات - حديث رقم (٢٨٤٠)، وابن حبان في صحيحه: كتاب الحج - باب الوقوف بعرفة والمزدلفة والدفع منهما - ذكر رجاء العتق من النار لمن شهد عرفات يوم عرفة - حديث رقم (٣٨٥٣)، وقد ضعف الألباني إسناد رواية ابن خزيمة لعنعنة ابن جرير وهو راوي الحديث عن جابر ﷺ إلا أن محقق صحيح ابن حبان شعيب الأرنؤوط قال عن روايه ابن حبان لهذا الحديث: "حديث صحيح إسناده قوي".

(٤) انظر: شرح حديث النزول لابن تيمية ص ٥٥ ، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٣/١٢٣٤ .

خزيمة - : "باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة، نشهد شهادة مقر بلسانه صدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه يترل،..."(١).

وقد أثبت قتادة - في هذين الأثرين نزول الله جل وعلا من عرشه يوم القيامة والترول ثابت في الدنيا في كل ليلة ، وفي يوم عرفة من كل سنة كما مرّ في الأحاديث السابق ذكرها.

٣- الإتيان

٢٨٠) قال عبدالرزاق: نا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ L [البقرة: ٢١٠] قال : «يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وتأتيهم الملائكة عند الموت»(٢).

٢٨١) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M # $ % & L ، قال : «تأتيهم الملائكة بالموت، M ' ( ) L يوم القيامة M * + , - . / L [الأنعام: ١٥٨] قال : آية موجبة طلوع الشمس من مغربها أو ما شاء الله»(٣).

---

(١) التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ٢٨٩/١ .

(٢) تفسير القرآن ٣٣٠/١ رقم (٢٤٣)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٦٠٨/٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٧٣/٢ رقم (١٩٦٥) ، وعبدالله بن الإمام أحمد في السنة ٥٠٤/٢ رقم (١١٧٠)، وأورده الذهبي في كتاب الأربعين في صفات رب العالمين ١٥٧/١ .

(٣) تفسير القرآن ٧١/٢ رقم (٨٧٥) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، و أخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٢/١٠ من طريق معمر به مثله ومن طريق سعيد عن قتادة نحوه ، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٢٧/٥ رقم (٨١٣٨) و (٨١٣٩)

٢٨٢) قال ابن أبي حاتم: عن قتادة رضي الله عنه في قوله: M g h i j l L [إبراهيم: ١٤] قال: «وعدهم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، فبين الله تعالى من يسكنها من عباده، فقال: M ? @ A B C D L [الرحمن: ٤٦]، وإن لله مقاما هو قائمه، وإن أهل الإيمان خافوا ذلك المقام فنصبوا ودأبوا الليل والنهار»(١).

التعليق:

إتيان الله ﷻ يوم القيامة لفصل القضاء مما ثبت في القرآن والسنة، قال تعالى: M هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ L [البقرة: ٢١٠]، وقال: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . l L [الأنعام: ١٥٨].

قال الشنقيطي - : "ومثل هذا من صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه يمر كما جاء ويؤمن بها ويعتقد أنه حق وأنه لا يشبه شيئاً من صفات المخلوقين، فسبحان من أحاط بكل شيء علماً"(٢).

وقال الشيخ محمد خليل هراس - بعد أن ذكر الآيتين السابقتين وآيات أخرى في الصفات - قال: "في هذه الآيات إثبات صفتين من صفات الفعل له سبحانه، وهما: صفتا الإتيان والمجيء، والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بذلك على حقيقته والابتعاد عن التأويل الذي هو في الحقيقة إلحاد وتعطيل"(٣).

مفرقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٦٥/٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٢٣٧/٧ رقم (١٢٢٢٨)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٦١٣/١٣ عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة مختصراً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩٨/٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٥٢/٧ .

(٣) محمد بن خليل حسن هراس؛ شرح العقيدة الواسطية ويليه ملحق الواسطية، الطبعة الثالثة،

ومن أدلة السنة على صفة الإتيان ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال ﷺ : "... فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم ..."(١)، وقد ثبتت صفة الإتيان في غير ذلك فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : يقول الله ﷻ : "أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ هم خير منهم، وإن تقرب مني شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة"(٢).

وهذه الصفة كغيرها من الصفات لم تسلم من تأويل المؤولة أو تعطيل المعطلة حيث أنهم زعموا أن إثباتهم لهذه الصفة يقتضي وصف الله ﷻ بالحركة، وبالتالي فمنهم من فوض معنى الإتيان، ومنهم من حرّفه إلى إتيان أمره أو ملائكته، وفي رد هذه الشبهة يقول شيخ الإسلام - عن آيات الصفات: "نؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف فلو شاء سبحانه أن يبين كيف ذلك فعل؛ فانتهينا إلى ما أحكمه و كففنا عن الذي يتشابه إذ كنا قد أمرنا به في قوله: M g h i j k l m n o p q r s u v w x y z { | } ~ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ´ ¶ ¸ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ L [آل عمران: ٧](٣).

والسلف % قد أثبتوا هذه الصفة كسائر صفات الله ﷻ الواردة في القرآن والسنة كما هو واضح من صنيع قتادة - حيث فسَّر الآيات و لم يؤول الصفات، بل أثبت إتيان الله ﷻ يوم القيامة كما ورد في الآية.

تحقيق: علوي بن عبالقادر السقاف، (المملكة العربية السعودية"الخبر": دار الهجرة للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ)، ص ١١٢ .

(١) تقدم تخريجه. انظر: ص ٢٠٧.

(٢) تقدم تخريجه. انظر: ص ١٥٣ .

(٣) مجموع الفتاوى ٥/٣٩٢ .

٤ - الرحمة

٢٨٣) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن الحسن وقتادة في قوله تعالى: M وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ L [الأعراف: ١٥٦] ، قال: «وسعت في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة»(١).

٢٨٤) قال عبدالرزاق: أرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M * + , L[مريم: ١٣] قال: «رحمة من عندنا»(٢).

٢٨٥) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M ' ( ) * + L [يوسف: ٨٧]، قال : «من رحمة الله»(٣).

٢٨٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: UM V XW Y L الآية : «أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، M Z [L : من أمر الدنيا، فزيَّنها لهم ودعاهم إليها، M \ ] L : من قبل حسناتهم؛ بطَّأهم عنها، M ^ _ L [الأعراف: ١٧] : زين لهم

(١) تفسير القرآن ٢/٩٩ رقم (٩٥٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٠/٤٨٦ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٥٧٨ رقم (٩٠٤٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٦٠٤ إلى أحمد في الزهد وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) تفسير القرآن ٢/٣٥٤ رقم (١٧٤٤)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٥/٤٧٥ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٢٤ إلى عبد بن حميد.

(٣) تفسير القرآن ٢/٢٢٣ رقم (١٣٣٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٣/٣١٤ من طريق سعيد عن قتادة مثله، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢١٩٠ رقم (١١٩١١) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة مثله، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٣١٧ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها، أتاك يا بن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله»(١).

٢٨٧) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس، ثنا يزيد، ثنا سعيد، عن قتادة: «ثم عاد الله ﷻ بعائدته وبرحمته فقال: M ﴿بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ L أي: فعمل عملا صالحا بعد عمل سيئ M﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ L [النمل: ١١]»(٢).

٢٨٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ L الآية [الأنفال: ٣٢] قال: «قال ذلك سَفَهةُ هذه الأمة وجهلتها، فعاد الله بعائدته ورحمته على سَفَهة هذه الأمة وجهلتها»(٣).

التعليق:

الرحمة من صفات الله ﷻ الثابتة في الكتاب والسنة، يدل عليها قوله تعالى: M + , - L [الفاتحة: ٣]، وقوله:M﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ L [البقرة: ١٦٣]، وقوله:M , - . / ۚ L [الأنعام: ١٣٣]، وقوله:M { | } ~ ۖ L [الكهف: ٥٨]، وقوله:M . / ﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ L [الأعراف: ١٥٦]، ومن السنة ما ورد عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: 8لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب

---

(١) جامع البيان ٩٧/١٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٩/٦ إلى ابن أبي حاتم.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٨٤٩/٩ ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩).

(٣) جامع البيان ١٤٥/١١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٩٠/٦ رقم (٩٠١٠) من طريق يزيد به من غير قوله "ورحمته".

غضبي7(١)، قال الشيخ محمد خليل هراس: "وهي صفة حقيقية له سبحانه على ما يليق بجلاله، ولا يجوز القول بأن المراد بها لازمها كإرادة الإحسان ونحوه، كما يزعم المعطلة"(٢).

وقد تنوع كلام قتادة - على هذه الصفة فبيَّن في الأثر الأول بأنها تنقسم إلى قسمين: رحمة عامة في الدنيا وسعت البر والفاجر، ورحمة خاصة بالمتقين يوم القيام ، يقول الشيخ ابن عثيمين في قوله تعالى: M رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً ´ L [غافر: ٧] "وهذه هي الرحمة العامة التي تشمل جميع المخلوقات حتى الكفار...لكن رحمته للكافر رحمة جسدية بدنية دنيوية قاصرة غاية القصور بالنسبة لرحمة المؤمن...أما المؤمنون فرحمتهم رحمة أخص من هذه وأعظم لأنها رحمة إيمانية دينية ودنيوية"(٣).

ومما ذكر قتادة أيضاً في الآثار: أن الرحمة مرادفة للحنان كما في تفسيره لقوله تعالى: M * + , L وقد ذكر هذا أهل اللغة، قال ابن الأعرابي: "الحَنّان من أسماء الله بتشديد النون بمعنى الرحيم، والحَنَان بالتخفيف: الرحمة"، وقال الليث: الحَنَان: الرحمة، والفعل التحنُّن، وقال: والله الحَنَّان المنَّان الرحيم بعباده ومنه قوله تعالى: M * + , L: أي رحمة من لدنا"(٤) ، وأورد ابن جرير - الخلاف بين أهل التفسير في معنى الحنان فنقل عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وغيرهم بأن معناه: الرحمة - وهذا ما أورده عن قتادة أيضاً كما في الأثر - ، وعن عكرمة وابن زيد أن معناه: المحبة ونقل فيه غير ذلك من الأقوال(٥).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في قول الله تعالى: M = < > ? @ A B L - حديث رقم (٣١٩٤)، وأخرجه مسلم: كتاب التوبة - باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه - حديث رقم (٢٧٥١).

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ٦ .

(٣) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١/٢٤٩ بتصرف.

(٤) تهذيب اللغة ١/٤٤٠ - ٤٤١ .

(٥) انظر: جامع البيان ١٥/٤٧٥ .

ومما ذكره أيضاً تفسير روح الله بمعنى رحمته، وأن رحمة الله لا يحول بينها وبين العبد أحد.

٥- المغفرة

٢٨٩) قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: 8قال الله ﷻ: يا بن آدم! أذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة - أو قال: في ملأ خير منهم - وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا، وإن دنوت ذراعا دنوت باعا، ولو أتيتني تمشي أتيتك أهرول7 قال معمر: قال قتادة: والله أسرع بالمغفرة»[1].

٢٩٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M T U V W X L [المدثر: ٥٦] «ربنا محقوق أن تتقى محارمه، وهو أهل المغفرة يغفر الذنوب»[2].

٢٩١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ L قال: هذه بلدة طيبة، Mوَرَبٌّ غَفُورٌ L [سبأ: ١٥] «وربكم رب غفور لذنوبكم؛ قوم أعطاهم الله نعمه وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته»[3].

---

(١) مصنف عبدالرزاق ٢٩٢/١١ رقم (٢٠٥٧٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه أحمد في المسند رقم (١٢٤٠٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات ٥١/٢ رقم (٦٢٦)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد.

(٢) جامع البيان ٤٦٤/٢٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٣/١٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) جامع البيان ٢٤٨/١٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٨٩/١٢ إلى عبد بن حميد و ابن المنذر وابن أبي حاتم.

التعليق:

أثبت قتادة - في هذه الآثار صفة المغفرة لله ﷻ وهي من صفات الله الفعلية، وبين - بأنه تعالى أسرع بالمغفرة، وهو أهل المغفرة يغفر الذنوب، ومعنى غفران الذنوب: سترها، قال الأزهري: "أصل الغفر: الستر والتغطية، وغفر الله ذنوبه: أي سترها ولم يفضحه بها على رؤوس الملأ. وكل شيء سترته فقد غفرته، ومنه قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد على الرأس مغفر"(١).

وقد دل على هذه الصفة الكتاب والسنة، قال تعالى: M ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ L [الحجر: ٤٩]، وقال:M { | } ~ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ © لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾ L [الكهف: ٥٨]، وقال ﷻ: MW X Y Z [\ ] ^ _ a b c d e L [القصص: ١٦]، وقال أيضاً: Mإِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ © ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ L [الزمر: ٥٣]، ومن السنة حديث أبي بن كعب ﵁ 8أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل ﵇ ، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: "أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك"، ثم أتاه الثانية، فقال: "إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين"، فقال: "أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك"، ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: "أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك"، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا7(٢)، وعن أبي هريرة ﵁ قال: 8لما نزلت على رسول الله ﷺ: MG H I J K L M O P Q R S T U V W X Z [\ ] ^ _ a b c

(١) تهذيب اللغة ٣ / ٧٣ ، وانظر أيضاً مادة "غفر" في معجم مقاييس اللغة.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف. وبيان معناه - حديث رقم (٨٢١).

d e f L [البقرة: ٢٨٤]، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله! كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ : "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ،...7[1]

٦- الرضا

٢٩٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M C D L [غافر: ١٩]: أي: « يعلم همزه بعينه وإغماضه فيما لا يحبّ الله ولا يرضاه»[2].

التعليق:

مما يثبت لله ﷻ من الصفات صفة الرضا قال تعالى:M à ٱللَّهُ â وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ç è é L [المائدة: ١١٩]، وقال:M ! " # $ % & ' ( ) * + , - L [التوبة: ١٠٠]، وقال:M ! " # $ % & ' ( ) * + , . . / عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ L [البينة: ٨]، وعن عائشة " ، قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: 8اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب بيان قوله تعالى: M O P Q R S T U L - حديث رقم (١٢٥).

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٥٥).

ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك7 (١)، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : 8إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا؛ فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال7 (٢).

٧- العَجَب

٢٩٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله:

Mوَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ L: «إن عجبت يا محمد فعجب قولهمMأَءِذَا كُنَّا ´ µ ¶

¸ جَدِيدٍ L [الرعد: ٥] عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت»(٣).

التعليق:

أثبت قتادة - في هذا الأثر صفة العجب لله ﷻ، وهي من الصفات الثابتة في الكتاب والسنة؛ أما الكتاب فالآية التي فسّرها قتادة في الأثر، وكذلك قوله تعالى: M

---

(١) تقدم تخريجه. انظر: ص ٢٢٩ .

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الأقضية - باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة. والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب مالا يستحق - حديث رقم (١٧١٥).

(٣) جامع البيان ١٣/٤٣٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٢٢١ رقم (١٢١٢٩) و ٧/٢٢٢٢ رقم (١٢١٣١) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة مفرقا، وأورد السيوطي في الدر المنثور ٨/٣٧١ الشطر الأول منه: "Mوَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ L: إن عجبت يا محمد فعجب قولهم" عن الحسن وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ، والشطر الثاني: "Mأَءِذَا كُنَّا ´ µ ¶ ¸ جَدِيدٍ L [الرعد: ٥] عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت" عن قتادة وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

i j k l L [الصافات: ١٢] قال ابن جرير - : "اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة: (بلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ) بضم التاء من عجبت، بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة M i j L بفتح التاء بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن ، والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب"[١] ا.هـ

قال ابن بطة - : "باب الإيمان بالتعجب وقالت الجهمية إن الله لا يعجب، قال الله ﷻ (بل عجبتُ ويسخرون) هكذا قرأها ابن مسعود وقيل لإبراهيم إن شريحاً قرأها M j L فقال: كان شريحٌ معجباً برأيه، عبد الله بن مسعود أعلم من شريح"[٢]، وبهذا يكون العَجَبُ في الآية - على القراءة الأولى التي بضم التاء - راجع إلى الله ﷻ فيثبت بذلك صفة لله سبحانه بالآية.

وقد ثبتت صفة العَجَبِ أيضاً في السنة النبوية فعن علي بن أبي طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: 8يعجب ربنا من قول عبده سبحانك إني قد ظلمت نفسي ، فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" قال: "علم عبدي أن له ربا يغفر الذنوب7 [٣]، وفي حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: 8لقد عجب الله ﷻ - أو ضحك - من فلان وفلانة7 [٤]، وعن أبي هريرة ﷺ أيضاً عن النبي ﷺ قال: 8عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل7 [٥]، وليس المقصود بالعجب الذي هو صفة لله ﷻ : العجب الذي

(١) جامع البيان ٢٢/٢١ .

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٣١/٣ .

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب السير - التكبير والتحميد عند الاستواء على الدابة - حديث رقم (٨٧٤٩).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة - باب قوله: M وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ...الآية L - حديث رقم (٤٨٨٩).

(٥) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير - باب الأسارى في السلاسل - حديث رقم

بمعنى الإستنكار للشيء بل الله ﷻ أعلم بخلقه، يقول ابن بطة - : "والتعجب على وجهين أحدهما: المحبة بتعظيم قدر الطاعة، والسخط بتعظيم قدر الذنب...، والثاني: التعجب على معنى الاستنكار للشيء وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً؛ لأن المتعجب من الشيء على معنى الاستنكار هو الجاهل به الذي لم يكن يعرفه فلما عرفه ورآه استنكره وعجب منه، وجل الله أن يوصف بذلك، وقد جاءت السنة عن النبي بما دل على التعجب الأول"(١).

٨- اللطف

٢٩٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ [يوسف: ١٠٠] : «لطف ليوسف وصنع له حتى أخرجه من السجن وجاء بأهله من البدو ونزع من قلبه نزغ الشيطان وتحريشه على إخوته»(٢).

٢٩٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠] : «لا يبغيان على الناس، وما أخذ أحدهما من صاحبه فهو بغي فحجز أحدهما عن صاحبه بقدرته ولطفه وجلاله تبارك وتعالى»(٣).

(٣٠١٠).

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٣١/٣-١٣٢ ، وانظر أيضاً: شرح الواسطية لابن عثيمين ٢٧/٢ .

(٢) جامع البيان ٣٦٤/١٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٠٣/٧ رقم (١٢٠٠٦) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة مختصرا.

(٣) جامع البيان ٢٠٣/٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٢/٨ إلى أبي الشيخ.

التعليق:

صفة اللطف من الصفات الثابتة لله ﷻ فقد ورد في الكتاب والسنة ما يدل عليها قال تعالى: M لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ : ; < = > ? L [الأنعام: ١٠٣]، وقال عز من قائل: M إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ © هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ L [يوسف: ١٠٠]، وقال أيضاً: M إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾ L [الحج: ٦٣]، وقال: M Z [\ ] ^ _ ` a b c d L [الشورى: ١٩]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ قلنا: بلى، قال: قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويدا، وانتعل رويدا، وفتح الباب فخرج، ثم أجافه رويدا، فجعلت درعي في رأسي، واختمرت وتقنعت إزاري، ثم انطلقت على إثره، حتى جاء البقيع فقام، فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت، فسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت فدخل، فقال: "ما لك؟ يا عائش، حشيا رابية" قالت: قلت: لا شيء، قال: "لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير..."(١).

"وأصل اللطف في الكلام خفاء المسلك ودقة المذهب، ويستعمل على وجهين يقال فلان لطيف إذا وصف بصغر الجرم، وفلان لطيف إذا وصف بأنه محتال متوصل إلى أغراضه في خفاء مسلك، وفلان لطيف في علمه يراد به أنه دقيق الفطنة حسن الاستخراج له، فهذا الذي يستعمل منه، وهو في وصف الله يفيد أنه المحسن إلى عباده في خفاء وستر من حيث لا يعلمون"(٢).

وقد أثبت قتادة - في هذه الآثار صفة اللطف لله ﷻ .

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز - باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها - حديث رقم (٩٧٤).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ٤٤/١ بتصرف يسير.

٩- المحبة

٢٩٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M t u v w x y { | } ~ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ L [الإسراء: ٥٥]: «اتخذ الله إبراهيم خليلا ، وكلَّم موسى تكليماً ، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فكان ، وهو عبد الله ورسوله ، من كلمة الله وروحه ، وآتى سليمان مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبورا ، كنا نُحدّث دعاء عُلِّمه داود ؛ تحميد وتمجيد ، ليس فيه حلال ولا حرام ، ولا فرائض ولا حدود ، وغفر لمحمد ما تقدّم من ذنبه وما تأخَّر»(١).

٢٩٧) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M B C D L [غافر: ١٩] قال: «يعلم همزه بعينه وإغماضه عما لا يحب الله»(٢).

٢٩٨) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى : M أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ ´ µ L [الحجرات: ٣] قال: «أخلص الله قلوبهم فيما أحب»(٣).

التعليق:

المحبة من صفات الله ﷻ الثابتة في الكتاب والسنة، ومما يدل عليها من الكتاب قوله تعالى: Mوَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ : ; < = > ? L [طه: ٣٩]، وقوله:M l m n o p q r s t u v w x y L [المائدة: ٥٤]، وقوله:M z | } ~ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ L [البقرة: ١٩٥]، وقوله:Mإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّـٰبِينَ وَيُحِبُّ

(١) جامع البيان ٦٢٥/١٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٨/٩ إلى ابن أبي حاتم.

(٢) تقدم تخريجه. انظر: ص ٢٣٧ .

(٣) تفسير القرآن ٢١٩/٣ رقم (٢٩٢٧) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاَ ابن جرير في تفسيره ٢٠٨/١٩ من طريق معمر به.

ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ L [البقرة: ٢٢٢]، وقوله:Mإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ : L [التوبة: ٧]، وقوله:M~ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ © ﴿٤﴾ L [الصف: ٤]، وأما السنة فمن ذلك ما ورد عن سهل بن سعد ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال يوم خيبر: 8لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله...الخ7[1]، وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: 8إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي7[2].

وقد أثبت السلف الصالح صفة المحبة لله / ، قال أبو الحسن الأشعري - : " وأجمعوا - أي السلف - على أنه ﷻ يرضى عن الطائعين له (وأن رضاه عنهم إرادته لنعيمهم)[3] وأنه يحب التوابين"[4]، وقال شيخ الإسلام: "والذي دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ومشائخ الطريق أن الله يحب ويحب"[5].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي - باب غزوة خيبر - حديث رقم (٤٢١٠)، وأخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم - باب من فضائل علي بن أبي طالب D - حديث رقم (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق - حديث رقم (٢٩٦٥).

(٣) ما ذكره - من بيانٍ لصفة الرضا خطأ منه عفا الله عنه، فليست هذه طريقة السلف في باب الصفات وإنما طريقتهم: إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، وصفة الرضا من الصفات الثابتة لله ﷻ ولا نقول هي إرادته كذا أو كذا، وقد رجع الأشعري - إلى عقيدة أهل السنة وبقي أتباعه على هذا المذهب الباطل - نسأل الله لنا ولهم الهداية -.

(٤) رسالة إلى أهل الثغر ص ٢٣١ .

(٥) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية؛ الزهد والورع والعبادة، الطبعة الأولى، تحقيق: حماد سلامة ومحمد عويضة، (الأردن: مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ)، ص ١٣٠ .

وقتادة - ممن أثبت هذه الصفة وذلك كما في الأثر الأول حين ذكر بأن الله اتخذ إبراهيم خليلا[1]، والخلة أعلى درجات المحبة، وقد أضاف في الأثرين الثاني والثالث الحب إلى الله ﷻ صفة له سبحانه.

١٠- الشكر

٢٩٩) قال ابن أبي حاتم: أخبرنا موسى بن هارون الطوسي فيما كتب إلي، ثنا الحسين بن محمد المروذي، ثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة قوله: Mوَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ © عَلِيمٌ L [البقرة: ٢٧٣] قال «محفوظ ذلك عن الله عالم به شاكر له، وأنه لا شيء أشكر من الله، لا أجزأ بخير من الله»[2].

٣٠٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M - . / عَلِيمٌ L [آل عمران: ٩٢] قال: «محفوظ لكم ذلك، الله به عليم شاكر له»[3].

٣٠١) قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، وهو قول قتادة قال: «لما اخترن الله ورسوله شكرهنّ الله على ذلك

---

(١) أول من أنكر صفة المحبة لله ﷻ الجعد بن درهم - عليه من الله ما يستحق - فأنكر الخلة لإبراهيم والتكليم لموسى عليهما السلام، قال شيخ الإسلام:"فإن أول من أنكر المحبة في الإسلام الجعد بن درهم؛ أستاذ الجهم بن صفوان، فضحّى به خالد بن عبد الله القسري، وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا و لم يكلم موسى تكليما، ثم نزل فذبحه". الزهد والورع والعبادة ص١٣٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٤٢/٢ رقم (٢٨٧٩) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٨٩).

(٣) جامع البيان ٥٧٤/٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٤/٣ رقم (٣٨١٥) من طريق شيبان عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩٧/١٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

فقال: M J K L M N O P Q R S T U V W X L [الأحزاب: ٥٢] فقصره الله عليهنّ ، وهنّ التسع اللاتي اخترن الله ورسوله»(١).

٣٠٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا : ; < = > ? @ L [الإسراء: ١٩] : «شكر الله لهم حسناتهم وتجاوز عن سيئاتهم»(٢).

٣٠٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: Mإِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ L [الإنسان: ٢٢] : «غفر لهم الذنب، وشكر لهم الحسن»(٣).

٣٠٤) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: Mوَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا L [الإنسان: ٢٢] قال: «لقد شكر الله سعيا قليلا»(٤).

التعليق:

يوصف الله سبحانه بالشكر وصفة الشكر من الصفات الفعلية، والله سبحانه خير الشاكرين، فلا أحد أشكر ولا أجزأ بخير منه، فهو يشكر السعي القليل ويثيب عليه الثواب الجزيل، قال تعالى:M h i j k l m n L [البقرة: ١٥٨]، وقوله:M لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ L [فاطر: ٣٠]،

---

(١) جامع البيان ٨٧/١٩ .

(٢) جامع البيان ٥٣٧/١٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأورد السيوطي في الدر المنثور ٢٨٤/٩ نحوه وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) جامع البيان ٥٧١/٢٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٤) تفسير القرآن ٣٧٨/٣ رقم (٣٤٣٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، و أخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٥٧٢/٢٣ من طريق معمر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦٨/١٥ إلى ابن المنذر.

وقوله:M إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ µ ¶ ¸ ﴿١٧﴾ L [التغابن: ١٧]، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ ، قال: "بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له"(١)، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : "أن رجلا رأى كلبا يأكل الثرى من العطش فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به حتى أرواه فشكر الله له فأدخله الجنة"(٢).

وقد أثبت قتادة صفة الشكر لله ﷻ كما في الآثار السابقة.

١١ - المشيئة

٣٠٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M X Y Z [\ ] ^ L [آل عمران: ٦] : «قادرٌ والله ربُّنا أن يصوّر عبادَه في الأرحام كيف يشاء ، من ذكر أو أنثى ، أو أسود أو أحمر ، تامّ خلقُه وغير تامّ»(٣).

٣٠٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: Mإِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان - أبواب صلاة الجماعة والإمامة - باب فضل التهجير إلى الظهر - حديث رقم (٦٥٢)، وأخرجه مسلم: كتاب الإمارة - باب بيان الشهداء - حديث رقم (١٩١٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء - باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان - حديث رقم (١٧٠).

(٣) جامع البيان ١٨٧/٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩٠/٢ رقم (٣١٥٩) من طريق شيبان عن قتادة نحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤٦/٣ إلى عبد بن حميد.

L[النساء: ١٣٣] : «قادرٌ واللهِ ربُّنا على ذلك؛ أن يهلك من يشاء من خلقه ويأتي بآخرين من بعدهم» (١).

٣٠٧) قال عبدالرزاق: أرنا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M : ; < = > ? @ L[الأحزاب: ٢٤] قال: «يعذبهم إن شاء أو يخرجهم من النفاق إلى الإيمان»(٢).

٣٠٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: M وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا L قال: «لو شاء الله لهدى الناس جميعا، لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين، Mوَلَٰكِنْ حَقَّ : ; L [السجدة: ١٣] حقّ القول عليهم»(٣).

٣٠٩) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M B C L [الجاثية: ٥] قال: «تصريفها إن شاء جعلها رحمة ، وإن شاء جعلها عذابا»(٤).

٣١٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M | { ~ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ L[القمر: ١] : «يحدث الله في خلقه ما يشاء»(٥).

---

(١) جامع البيان ٥٨٢/٧ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٨٥/٤ رقم (٦٠٧٣) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٣/٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) تفسير القرآن ٣٦/٣ رقم (٢٣٣١)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاّ ابن جرير في تفسيره ٦٨/١٩ من طريق سعيد عن قتادة نحوه.

(٣) جامع البيان ٦٠٦/١٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٤) تفسير القرآن ١٩١/٣ رقم (٢٨٢٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٧٤/٢١ من طريق معمر به، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٩٣/١٣ عن ابن جريج وعزاه إلى ابن المنذر.

(٥) جامع البيان ١١١/٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

٣١١) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M**إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾** L [الجن: ٢٧] قال: «يظهره من الغيب على ما شاء الله إذا ارتضاه»(١).

٣١٢) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M n o L [القيامة: ٤] قال: «لو شاء الله لجعل بنانه مثل خف البقر، أو قال: مثل حافر الدابة»(٢).

التعليق:

أثبت قتادة - في هذه الآثار صفة المشيئة لله ﷻ وهي من الصفات الثابتة في الكتاب والسنة، ومشيئته سبحانه هي بمعنى الإرادة الكونية الشاملة لجميع الحوادث، قال البيهقي - - : "جماع أبواب إثبات صفة المشيئة والإرادة لله ﷻ وكلتاهما عبارتان عن معنى واحد(٣)"(٤).

وقد دل على إثبات المشيئة لله سبحانه قوله تعالى:H I J K L M O P Q R S T L [الإنسان: ٣٠]، وقوله:M**وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾** L [التكوير: ٢٩]، ومن السنة حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله

---

(١) تفسير القرآن ٣/٣٥٥ رقم (٣٣٥٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢٣/٣٥٢ من طريق معمر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/٣٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) تفسير القرآن ٣/٣٦٨ رقم (٣٤٠٣)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢٣/٤٧٢ من طريق سعيد عن قتادة نحوه.

(٣) إرادة الله ﷻ تنقسم إلى قسمين: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية، فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث وهذه هي التي أشار إليها البيهقي - .

(٤) الأسماء والصفات ١/٣٤٩ .

ﷺ قال: "يدخل الله أهل الجنة الجنة ، يدخل من يشاء برحمته ،..."[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، فقال: "وما ذاك؟" قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ : "أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم؟ ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم" قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة" قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ : "ذلك فضل الله يؤتيه **من يشاء**"[2].

وقد بوب البيهقي - : "باب ما جاء عن السلف ! في إثبات المشيئة "ثم سرد أقوال السلف في إثبات المشيئة لله عز وجل"[3]، ومشيئة الله عز وجل شاملة لكل شيء فلا يخرج عنها شيء من خلقه، وللشافعي - أبياتٌ جميلةٌ في تقرير هذا الأمر حيث قال - :

"ما شئت كان وإن لم أشأ   وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت   ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت   وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد   ومنهم قبيح ومنهم حسن"[4]

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار - حديث رقم رقم (١٨٤).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته - حديث رقم (٥٩٥).

(٣) الأسماء والصفات ١/٤٤٦ .

(٤) المصدر السابق ١/٤٥٠ .

١٢- المعية

٣١٣) قال أبو نعيم: حدثنا أحمد بن جعفر بن سلمة، قال: ثنا أحمد بن علي الأبار، قال: ثنا أبو عمار، قال: ثنا الفضل بن موسى، عن الحسن - يعني ابن واقد - عن مطر، عن قتادة قال: «من يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لاينام والهادي الذي لا يضل»(١).

٣١٤) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M v w x y z { | } L [الزخرف: ٨٤] قال: «يعبد في السماء ويعبد في الأرض»(٢).

التعليق:

من عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله ﷻ أن الله فوق سماواته مستوٍ على عرشه وهو مع خلقه بعلمه، قال شيخ الإسلام: "وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه عليٌّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون"(٣).

---

(١) حلية الأولياء ٢/٤٣ ، وأورده ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/٢٥٩ رقم (٥١٣).

(٢) تفسير القرآن ٣/١٧٨ رقم (٢٧٩٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢٠/٦٦٠ من طريق معمر به ، ومن طريق سعيد عن قتادة نحوه، والآجري في الشريعة ٨/١١٠٥ عن سعيد عن قتادة نحوه، وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٣/١٩١ رقم (١٤٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٣٤٣ رقم (٩١١) من طريقي شيبان النحوي و سعيد بن أبي عروبة عن قتادة نحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣/٢٤٢ إلى عبد بن حميد.

(٣) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية؛ العقيدة الواسطية، الطبعة الأولى، تحقيق: علوي بن عبدالقادر السقاف، (المملكة العربية السعودية: مؤسسة الدرر السنية، ١٤٣٣هــ)، ص ١١٣ .

ومعية الله ﷻ تنقسم إلى قسمين: معية عامة تقتضي الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وتدبيراً، ويدل عليها قوله تعالى: M - . / نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ : ; < = > ? @A B C D E L [المجادلة: ٧]، وقوله: M! " # $ % & ' ( ) * + , . / يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ : ; < > ? @A B D E F G H L [الحديد: ٤]، ومعية خاصة بالمؤمنين المتقين تقتضي النصر والتأييد يدل عليها قوله تعالى: M إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ L [النحل: ١٢٨] وقوله: M قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ ´ µ ¶ L [طه: ٤٦]، وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: "يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة"(١).

وقد أثبت قتادة - صفة المعية لله ﷻ كما في الأثر الأول، وبيَّن كذلك بأن معنى قوله تعالى: M v w x y z { | } L [الزخرف: ٨٤] أي: يعبد في السماء ويعبد في الأرض، وهذا مما يبطل استدلال الحلولية بهذه الآية على أن الله جل وعلا مختلط بخلقه تعالى الله عن ذلك، قال شيخ الإسلام - : "وليس معنى قوله: M > ? L أنه مختلط بالخلق؛ فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق"(٢).

(١) تقدم تخريجه. انظر: ص ١٥٣ .

(٢) العقيدة الواسطية ص ١١٤ .

١٣ - العدل

٣١٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M | { ~ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ L [التحريم: ١١] «وكان أعتى أهل الأرض على الله وأبعده من الله، فوالله ما ضرّ امرأته كُفر زوجها حين أطاعت ربها، لتعلموا أن الله حكم عدل لا يؤاخذ عبده إلا بذنبه»(١).

التعليق:

ومن الصفات الثابتة لله ﷻ وقد أثبتها قتادة - كما في هذا الأثر:صفة العدل، وهذه الصفة ثابتة في السنة النبوية فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناسا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسا من أشراف العرب، وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله، إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله، قال فقلت: والله، لأخبرن رسول الله ﷺ ، قال: فأتيته فأخبرته بما قال، قال: فتغير وجهه حتى كان كالصرف، ثم قال: "فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله"، قال: ثم قال: "يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر" قال: قلت: "لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثا"(٢).

---

(١) جامع البيان ١١٥/٢٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فرض الخمس - باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم - حديث رقم (٣١٥٠)، وأخرجه مسلم: كتاب الزكاة - باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه - حديث رقم (١٠٦٢).

١٤ - الغضب

٣١٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M R S T U L [البقرة: ٩٠] : «غَضِبَ الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وبعيسى صلى الله عليه، وغضب عليهم بكفرهم بالقرآن وبمحمد ﷺ»(١).

٣١٧) قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين الهسنجاني، ثنا أبو الجماهر، ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة قوله: M M N O P Q S T U V L [هود: ٦٥] قال: القوم إلى آجالهم وهو عليهم غضبان، فوالله ما عجل إليهم أن وفاهم بقية آجالهم»(٢).

٣١٨) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى أنبا العباس، ثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة قوله: M وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ L [النمل: ٨٥] يقول: «وجب القول عليهم والقول: الغضب»(٣).

٣١٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M ` a b c d e f g h i j k l L [الأحزاب: ٥٨] : «فإياكم وأذى المؤمن! فإن الله يحوطه ويغضب له»(٤).

---

(١) جامع البيان ٢/٢٥٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٤٧٠ إلى عبد بن حميد.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/٢٠٥٠ رقم (١٠٩٩١)، وإسناده صحيح إلى أبي الجماهر ، ومنه إلى قتادة مقبول. انظر: ص ٨٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥/٢٨١ ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٤١٣ إلى ابن جرير.

(٤) جامع البيان ١٩/١٨٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/٣١٥٣ رقم (١٧٧٧٩) معلقا، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/١٣٨ إلى عبد بن حميد ابن المنذر.

٣٢٠) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M x y L [الزخرف: ٥٥] قال: «أغضبونا»(١).

٣٢١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M x y L [الزخرف: ٥٥] قال: «أغضبوا ربهم»(٢).

٣٢٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M M N O P L [التكوير: ١٢] : «سعرها غضب الله ، وخطايا بني آدم»(٣).

التعليق:

يثبت أهل السنة والجماعة صفة الغضب لله ﷻ بما يليق بجلاله وعظمته، قال الطحاوي: "والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى"(٤)، ووصف الله بالغضب من صفاته الفعلية الخبرية وهو ثابتٌ في الكتاب والسنة، يدل على ذلك قوله تعالى: M Y Z [\ ] ^ _ ` L [الأعراف: ١٥٢]، وقوله: M J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [ \ ] L [الممتحنة: ١٣]، وقوله: M R S T U V W X Y Z [ \ ] ^ _ ` a b c d L [طه: ٨١]، ومن السنة ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ ، قال: "لما خلق الله الخلق ، كتب في كتابه ، فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي

(١) تفسير القرآن ١٧١/٣ رقم (٢٧٧٢)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٦١٨/٢٠ من طريق معمر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢١٦/١٣ إلى عبد بن حميد.

(٢) جامع البيان ٦١٨/٢٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٣) جامع البيان ١٥٠/٢٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٤) متن الطحاوية.

تغلب غضبي"[١]، وعن أبي هريرة ﷺ أيضاً في حديث الشفاعة الطويل وما جاء فيه من قول الأنبياء: "إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله"[٢].

قال ابن بطة - : "باب الإيمان بأن الله ﷻ يغضب ويرضى ويحب ويكره، قال الشيخ: والجهمي يدفع هذه الصفات كلها وينكرها ويرد نص التنزيل وصحيح السنة ويزعم أن الله تعالى لا يغضب ولا يرضى ولا يحب ولا يكره وإنما يريد بدفع الصفات وإنكارها جحد الموصوف بها، والله تعالى قد أكذب الجهمي وأخزاه وباعده من طريق الهداية وأقصاه...ثم ذكر الأدلة على إثبات صفة الغضب لله ﷻ"[٣].

وقال ابن أبي العز - : "ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى والعداوة والولاية والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى"[٤].

ومن تأمل في أحوال الناس وما يفعله الله ﷻ بهم لاتضح له ثبوت هذه الصفات، يقول ابن القيم: "وعقوبته للعصاة والظلمة وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدل على صفة الغضب والسخط"[٥].

وقد أثبت قتادة - في هذه الآثار صفة الغضب لله ﷻ ، وبيَّن بأن غضب الله I لم يوجب تعجيل العقوبة على من غضب عليهم - فهو غضب يليق به ليس كغضب المخلوقين - وذكر فضل المؤمن بأن الله يغضب له.

(١) أخرجه مسلم: كتاب التوبة - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه - حديث رقم (٥٠٤٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة - باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا - حديث رقم (٤٧١٢) ، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها - حديث رقم (١٩٤)

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٢٧/٣ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٧٠١/٢ .

(٥) مدارج السالكين ٣٥٥/٣ .

١٥ - الانتقام

٣٢٣) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M b c d e L [الفرقان: ٣٩] ، قال : «كلا قد أعذر الله إليه ثم انتقم منه»(١).

٣٢٤) قال ابن أبي حاتم: عن قتادة D(٢) في قوله: M k l m n o L [إبراهيم: ٤٧] قال: «عزيز والله في أمره يملي وكيده متين، ثم إذا انتقم؛ انتقم بقدره»(٣).

التعليق:

الانتقام من صفات الله ﷻ الثابتة في الكتاب والسنة، وهو صفة فعلية خبرية تليق به سبحانه، ومعنى الانتقام: افتعال من نقم ينقم إذا بلغت به الكراهة حد السخط(٤)، ويدل على ثبوت وصف الله بهذه الصفة قوله تعالى: Mوَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ L [المائدة: ٩٥] وقوله:M + , - . / رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ L [السجدة: ٢٢] وقوله:M l m n o p q r L [الزخرف: ٤١] ومن السنة قوله ﷺ عن قريش: "فانتقم الله منهم يوم بدر"(٥)، وعن أبي هريرة ﷺ ، قال: قال رسول ﷺ : "احتجت النار والجنة ، فقالت النار: يدخلني

---

(١) تفسير القرآن ٢/٤٥٥ رقم (٢٠٨٨) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٥٦/١٧ ، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٩٧/٨ رقم (١٥١٨٩) من طريق سعيد عن قتادة نحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٨٠/١١ إلى عبد بن حميد.

(٢) هكذا.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٢٥٣/٧ رقم (١٢٣١١).

(٤) شأن الدعاء للخطابي ص ٩٠ .

(٥) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة - باب قوله : M q r s t t u v w L - حديث رقم (٤٨٢٢).

الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله ﷻ للنار: أنت عذابي أنتقم بك ممن شئت، وقال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من شئت"(١).

قال الشيخ زيد بن عبدالعزيز فياض - : "ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضا والعداوة والولاية والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة"(٢).

وفي الأثرين الواردين عن قتادة - إثباتٌ منه لصفة الانتقام لله ﷻ من دون تأويل ولا تمثيل بل كما ذكر الله ﷻ في كتابه.

١٦- السخط

٣٢٥) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ L [يونس: ٩٦]: «حقّت عليهم سَخَطة الله بما عصوا»(٣).

التعليق:

ومن صفات الله ﷻ أيضاً صفة السخط وقد أثبتها قتادة كما في الأثر المذكور، وهي صفة خبرية فعلية ثابتة في الكتاب والسنة، ومما يدل عليها من الكتاب قوله تعالى:M

X Y Z [\ ] _ ` a b c d e f

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب النار يدخلها الجبارون والنار يدخلها الضعفاء - حديث رقم (٢٨٤٦).

(٢) زيد بن عبدالعزيز الفياض؛ الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، (الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ)، ص ١٠٦.

(٣) تفسير القرآن ٢/٤٥٥ رقم (٢٠٨٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٢/٢٩١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/١٩٨٦ رقم (١٠٥٨٩) من طريق معمر به، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٧/٧٠٦ عن مجاهد وعزاه إلى ابن المنذر وأبي الشيخ

g h i j k l L [المائدة: ٨٠]، وقوله: M ¶ ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٢٨﴾ L [محمد: ٢٨]، وأما السنة فمن ذلك ما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: 8إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا7[1]، وعن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : 8لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يك سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل 7[2]، وعن عائشة " قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : 8من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت: يا نبي الله! أكراهية الموت؟! فكلنا نكره الموت! فقال: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله كره الله لقاءه7[3].

١٧- الكره

٣٢٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة قوله: M v w x y z { | L [البقرة: ٢٧] : «فإياكم ونقضَ هذا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق - باب صفة الجنة والنار - حديث رقم (٦٥٤٩)، وأخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، فلا يسخط عليهم أبدا - حديث رقم (٢٨٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: باب لا يقول للمنافق: سيد - حديث رقم (٧٨٢)، وأبو داود في سننه: كتاب الأدب - باب لا يقول المملوك ربي وربتي - حديث رقم (٤٩٧٧) ، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق - باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه - حديث رقم (٦٥٠٧)، وأخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه. ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه - حديث رقم (٢٦٨٤).

الميثاق! فإن الله قد كره نقضَه وأوعد فيه وقدّم فيه في آي من القرآن حُجة وموعظة ونصيحة، وإنا لا نعلم الله أوعدَ في ذنب ما أوعد في نقض الميثاق، فمن أعطى عهدَ الله وميثاقه من ثمرَة قلبه فَلْيَفِ به لله»(١).

٣٢٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا سويد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M N O P Q R S T U V W L [البقرة: ٢٢٨] قال: «كانت المرأة إذا طُلِّقت كتمت ما في بطنها وحملها لتذهب بالولد إلى غير أبيه، فكره الله ذلك لهنّ»(٢).

التعليق:

مما ثبت أيضاً في الكتاب والسنة من صفات الله ﷻ صفة الكره قال تعالى: M x y z { | } ~ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ © L [التوبة: ٤٦]، وعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال"(٣)، وعن عبادة بن الصامت ﷺ ، أن نبي الله ﷺ قال: "من أحب لقاء الله أحب

(١) جامع البيان ١/٤٣٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٢٢٧ إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) جامع البيان ٤/١١١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٦٥٥ إلى عبد الرزاق وابن المنذر.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة - باب قول الله تعالى: M { ~ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ L - حديث رقم (١٤٧٧)، وأخرجه مسلم: كتاب الأقضية - باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة. والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحق - حديث رقم (٥٩٣).

الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"(1)، قال ابن بطة - : "باب الإيمان بأن الله ﷻ يغضب ويرضى ويحب ويكره..."(2).

١٨ - المقت

٣٢٨) قال عبدالرزاق: أنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى:M F G H I J K L [غافر: ١٠] قال: «يقول لمقت الله إياكم في الدنيا حين دعيتم إلى الإيمان فلم تؤمنوا أكبر من مقتكم أنفسكم حين رأيتم العذاب»(3).

٣٢٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: M j k l m n o p q r ...الآية L[البقرة: ٢٤٣] : «مقتهم الله على فرارهم من المو فأماقم الله عقوبة، ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ليستوفوها، ولو كانت آجال القوم جاءت ما بُعثوا بعد موقم»(4).

التعليق:

المقت من صفات الله ﷻ الفعلية الخبرية الثابتة في الكتاب والسنة وقد أثبتها قتادة - كما ثبتت في الكتاب والسنة، ومما يدل على صفة المقت من الكتاب قوله تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق - باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه - حديث رقم (٦٥٠٧)، وأخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه. ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه - حديث رقم (٢٦٨٣).

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٢٧/٣ .

(٣) تفسير القرآن ١٤١/٣ رقم (٢٦٦٠)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرج ابن جرير في تفسيره ٢٨٨/٢٠ من طريق سعيد عن قتادة نحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٣/١٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) جامع البيان ٤٢٢/٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٧/٣ إلى عبد بن حميد.

N M L K J I H G F E D C BM

O P Q L [غافر: ١٠]، ومن السنة ما ورد عن عياض بن حمار المجاشعي ﷺ ، أن رسول الله ﷺ ، قال ذات يوم في خطبته: "... وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب،..."(١)، قال الشيخ محمد خليل هراس في تعليقه على بعض آيات الصفات التي أوردها شيخ الإسلام في الواسطية، قال: "تضمنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل: من الرضى لله، والغضب، واللعن، والكره، والسخط، والمقت، والأسف، وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله ﷻ على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق"(٢).

١٩- المكر بالماكرين

٣٣٠) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة قال الله: M g h L قال: «مكرهم الذي أرادوا بصالح وقوله: M i j L [النمل: ٥٠]: قال: مكر الله الذي مكر بهم أن رماهم بصخرة فأهمدتهم»(٣).

التعليق:

بيَّن قتادة - في هذا الأثر صفة مكر الله بالماكرين وهي صفة مقيَّدة فإن الله ﷻ يمكر بمن يمكر به أو برسله أو بعباده المؤمنين، وهذه الصفة من صفات الله ﷻ الثابتة

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار - حديث رقم (٢٨٦٥).

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ١١١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٩٠٢/٩ ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٨٧/١١ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

في الكتاب والسنة ومما يدل عليها من الكتاب قوله تعالى: M ` a b c d e f g h i j k l m o p q r L [الأنفال: ٣٠]، وقوله: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ L [يونس: ٢١]، وقوله: M g h i j k l m n L [النمل: ٥٠]، ومن السنة ما ورد عن ابن عباس ، قال: كان النبي ﷺ يدعو: "رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر هداي إلي، وانصرني على من بغى علي، اللهم اجعلني لك شاكرا، لك ذاكرا، لك راهبا، لك مطواعا إليك، مخبتا، أو منيبا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي"[1].

(١) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٩٩٧)، والنسائي في السنن الكبرى: كتاب عمل اليوم والليلة - الاستنصار عند اللقاء - حديث رقم (١٠٣٦٨)، والترمذي في سننه: كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ - حديث رقم (٣٥٥١) وقال: هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في سننه - كتاب الدعاء - باب دعاء رسول الله ﷺ - حديث رقم (٣٨٣٠)، وأبو داود في سننه: كتاب الصلاة - باب ما يقول الرجل إذا سلم - حديث رقم (١٥١٠)، والحاكم في المستدرك: كتاب الدعاء ١/٥١٩ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه: كتاب الرقائق - باب الأدعية - ذكر ما يستحب للمرء سؤال الرب جل وعلا المعونة والنصر والهداية - حديث رقم (٩٤٧)، وصححه الألباني - .

ثالثا: ما أثر عنه في صفتي الكلام والنداء

١ - الكلام

٢ - النداء

١ - الكلام

٣٣١) قال ابن ضريس: حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا عباس بن الوليد النرسي، عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: M _ ` a b c d e f g h i j k L [فصلت: ٤١-٤٢] : «أعزه الله لأنه كلامه، وحفظه من الباطل، والباطل إبليس؛ لا يستطيع أن ينتقص منه حقا ولا يزيد فيه باطلا»(١).

٣٣٢) قال الدارمي: أخبرنا محمد بن عبد الله الرقاشي، عن يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة قال: M J K L M N O P Q R S T V W X Y Z [\ ] _ ` a b c d e f g i j k l m n p q r s t u L [البقرة: ٢٦] قال: «أي: يعلمون أنه كلام الرحمن»(٢).

٣٣٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M t u v w x y { | } ~ عَلَىٰ بَعْضٍ L [الإسراء: ٥٥] «اتخذ الله إبراهيم خليلا، وكلَّم موسى تكليما، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له: كن فكان، وهو عبد الله ورسوله، من كلمة الله وروحه، وآتى سليمان مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبورا - كنا نحدّث أنه دعاء عُلِّمه

---

(١) فضائل القرآن ص: ٧٣ رقم (١٢٢)، وأخرجه أيضا في ص: ٧٣ رقم (١٢٣) عن محمد بن إسماعيل عن عقبة بن زياد عن قتادة ولفظه: "الباطل الشيطان لا يستطيع أن يزيد فيه ولا ينتقص منه"، وأخرجه بنحو هذا اللفظ عبدالرزاق في تفسيره ١٥٧/٣ رقم (٢٧١٩) عن معمر عن قتادة، وابن جرير في تفسيره ٤٤٤/٢٠ من طريق يزيد به، وأورد السيوطي في الدر المنثور ١٢٣/١٣ اللفظ المثبت في المتن وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢) سنن الدارمي ٢١٠٩/٤ رقم (٣٣٩٥) باب القرآن كلام الله، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٤٣٢/١ من طريق يزيد به وزاد فيه قوله: "وأنه الحق من الله"، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩/١ رقم (٢٧٦) من طريق يزيد به مثله، وأشار السيوطي في الدر المنثور ٢٢٥/١ إلى إخراج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة مثله.

داود؛ تحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود- وغفر لمحمد ما تقدّم من ذنبه وما تأخَّر»(١).

٣٣٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: Mلَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى L [الكهف: ١٠٩] يقول: «إذا لنفد ماء البحر قبل أن ينفد كلام الله وحِكَمُه»(٢).

التعليق:

إثبات الكلام لله ﻷ من أكثر مسائل العقيدة التي حصل فيها خلاف بين السلف وبين أهل البدع من المتكلمين حتى سمي علم العقيدة عندهم بعلم الكلام، وقد اختلف الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال(٣)، والمأثور عن السلف إثبات الكلام صفة حقيقية لله ﻷ وأنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، ويدل على إثبات الكلام لله ﻷ قوله تعالى: M I J K L M L [النساء: ١٦٤]، وقوله: M وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ L [الأعراف: ١٤٣]، وقوله: M ﮌ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ L [التوبة: ٦]، وقوله: Mقُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ L [الكهف: ١٠٩]، ومن السنة ما ورد عن أبي هريرة ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: 8احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم! أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟"

---

(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٩٦).

(٢) جامع البيان ١٥/٤٣٨، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩/٦٩٥ إلى ابن أبي حاتم.

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ٤/١٣٠٢، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/٢٥٤ .

فقال النبي ﷺ : "فحج آدم موسى، فحج آدم موسى"7 [(١)]، وحديث عائشة " حين قال لها أهل الإفك ما قالوا : 8...قالت:"والله ما كنت أظن أن يترل في شأني وحي يتلى، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله ﷻ في بأمر يتلى...7 [(٢)]، قال أبو الحسن الأشعري - : "وأجمعوا - أي السلف - على إثبات حياة الله ﷻ لم يزل بها حيا، وعلما لم يزل به عالما، وقدرة لم يزل بها قادرا، وكلاما لم يزل به متكلماً، وإرادة لم يزل بها مريداً، وسمعاً وبصراً لم يزل به سميعاً بصيراً"[(٣)].

وظاهر من آثار قتادة - إثباته الكلام لله ﷻ كما ثبت في القرآن والسنة وعلى ما كان عليه الصحابة % ، حيث قال في القرآن: "أعزه الله لأنه كلامه"، وقال في قوله تعالى: M V W X Y Z [\ ] L [البقرة: ٢٦] أي: «يعلمون أنه كلام الرحمن».

٢ - النداء

٣٣٥) قال أبو الشيخ: حدثنا عبدالله بن محمد بن زكريا، قال: حدثنا سلمة، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا معتمر أبو الحكم الباهلي، عن قتادة - تعالى قال: «من رأى خلقاً من خلقه فتوسم فيه حتى يترل الجبار تبارك وتعالى، قال: M Z [\ ] ^ _ L [الحاقة: ١٧] تحمله الملائكة على كواهلها بأيد وعزة وحسن وجمال حتى إذا جلس على كرسيه نادى تعالى به: (لمن الملك اليوم)؟ فلم يجبه أحد فعطفها على نفسه تبارك وتعالى، فقال: M لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴿١٧﴾ L [غافر: ١٦-١٧]»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب القدر - باب تحاج آدم وموسى عند الله - حديث رقم (٦٦١٤) ، وأخرجه مسلم: كتاب القدر - باب حجاج آدم وموسى - حديث رقم (٢٦٥٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب التوبة - باب في حديث الإفك، - حديث رقم (٢٧٧٠).

(٣) رسالة إلى أهل الثغر ص ٢١٤ .

(٤) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢١٦).

التعليق:

النداء من صفات الله ﷻ الثابتة في الكتاب والسنة، قال الأصبهاني - : "فصل في إثبات النداء صفة لله ﷻ..."(١) ثم أورد الأدلة على ذلك، ومما ذكر قوله تعالى: M
N M L K J I H G F E D C B A @ ? >
L Q P O [القصص: ٣٠] وقوله: M ﴿أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢﴾ L [طه: ١١-١٢] ومن الأدلة أيضاً قوله: M C D
U T S R Q P O N M L K J I H G F E
V W L [القصص: ٤٦]، ومن السنة ما ورد في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما قاله عن ربه ﷻ : "...فينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطالبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطالبه بمظلمة...الخ"(٢)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : "يقول الله ﷻ يوم القيامة: يا آدمّ! يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار ..."(٣)، قال شيخ الإسلام: "واستفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة أنه سبحانه ينادي بصوت: نادى موسى وينادي عباده يوم القيامة بصوت ويتكلم بالوحي بصوت ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف"(٤).

---

(١) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ١/٢٦٩ .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: باب ذكر الكلام والصوت والشخص - حديث رقم (٤١٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة - باب M﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾ : L - حديث رقم (٤٧٤١) ، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة - حديث رقم (٣٥٣) واللفظ للبخاري.

(٤) مجموع الفتاوى ١٢/٣٠٤ .

رابعا: ما أثر عنه في الصفات المنفية

١ - السمي والعدل والمكافئ

٢ - السِّنة

٣ - العجز

١ - السمي والعدل والمكافئ

٣٣٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M * + , - L [مريم: ٦٥] «لا سميّ لله ولا عَدل له، كلّ خلقه يقر له ويعرف أنه خالقه ويعرف ذلك، ثم يقرأ هذه الآية: M وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ L [الزخرف: ٨٧]»(١).

٣٣٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ L [النحل: ٧٤] «فإنه أحد صمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كُفُوًا أحد»(٢).

التعليق:

نفى قتادة - السمي والعدل والمكافئ لله ﷻ ، وبين بأن هذا يعلمه جميع الخلق ويقرون به، وهذا يدخل في الصفات المنفية نفياً مجملا لإثبات الكمال لله ﷻ في الذات والأسماء والصفات والأفعال، قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي - : في قوله: M * + , - L [مريم: ٦٥]" أي: هل تعلم لله مساميا ومشابها ومماثلا من المخلوقين. وهذا استفهام بمعنى النفي، المعلوم بالعقل. أي: لا تعلم له مساميا ولا مشابها، لأنه الرب وغيره مربوب، الخالق وغيره مخلوق، الغني من جميع الوجوه وغيره فقير بالذات من كل وجه، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية، وأن

(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٣).

(٢) جامع البيان ١٤/٣٠٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩/٨٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

عبادته حق وعبادة ما سواه باطل، فلهذا أمر بعبادته وحده والاصطبار لها وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى"[1].

٢ - السِّنة

٣٣٨) قال عبدالرزاق: عن قتادة والحسن في قوله تعالى: M { | } L [البقرة: ٢٥٥] قال: «نعسة»[2].

٣٣٩) قال عبدالله بن الإمام أحمد: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن علي المقدمي الأكبر، نا سلام بن أبي مطيع، قال سمعت قتادة في قول الله ﷻ: M { | } L [البقرة: ٢٥٥] قال: «نعاس»[3].

التعليق:

من الصفات التي نفاها الله ﷻ عن نفسه في كتابه "السِّنة"، وهي داخلة في النفي المفصل، وقد فسَّر قتادة - "السنة" بالنعاس، وهذا ما ورد عن جماعة المفسرين كابن عباس والحسن والضحاك والسدي وغيرهم[4].

٣ - العجز

٣٤٠) قال عبدالرزاق: نا معمر، عن الحسن وقتادة في قوله تعالى: Mوَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ L [البقرة: ٢٥٥] قال: «لا يثقل عليه شيء»[1].

---

(١) تفسير السعدي ص ٥٢٣ .

(٢) تفسير القرآن ٣٦٢/١ رقم (٣٢٠)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٥٣١/٤ ، وعبدالله بن الإمام أحمد في السنة ٤٥٥/٢ رقم (١٠٢٧).

(٣) السنة ٤٥٦/٢ رقم (١٠٣٠).

(٤) انظر: جامع البيان ٥٣٢/٤ .

التعليق:

بين قتادة - في هذا الأثر معنى قوله تعالى: M وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ L وهذا يدخل في الصفات التي نفاها الله ﻷ عن نفسه لكمال قدرته، وهذا النفي لثبوت كمال ضده، قال ابن أبي العز: "M وَلَا يَـُٔودُهُۥ L أي: لا يكرثه ولا يثقله ولا يعجزه، فهذا النفي لثبوت كمال ضده، وكذلك كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده"(٢)



(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/١٦٤ .

(٢) تفسير القرآن ١/٣٦٣ رقم (٣٢٣)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٤/٥٤٣ ، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق سعيد عن قتادة بنحوه.

المبحث الثالث:
الآثار الواردة عنه في المسائل المتعلقة بباب الأسماء والصفات.

أولا: رؤية الله تعالى في الآخرة.

ثانيا: رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ .

ثالثا: العرش.

رابعا: الكرسي.

أولا: رؤية الله تعالى في الآخرة:

٢٧٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ : ; L [الأنعام: ١٠٣] : «وهو أعظم من أن تدركه الأبصار»(١).

٢٧٩) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M " # $ % L [يونس: ٢٦]، قال: «الحسنى الجنة، والزيادة فيما بلغنا النظر إلى وجه الله»(٢).

٢٨٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M وَأَشۡرَقَتِ : ; < L[الزمر: ٦٩] قال: «فما يتضارون في نوره إلا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه»(٣).

٢٨١) قال ابن زمنين: يحي، قال: وحدثني سعيد، عن قتادة في قوله تعالى: M (* + , - . / ﴿٢٣﴾ L[القيامة: ٢٢-٢٣] قال: «تنظر إلى الله»(٤).

٢٨٢) قال ابن جرير: حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن خليد، عن قتادة: M T U V W X Y Z L [المطففين: ١٥]: «هو لا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»(٥).

---

(١) جامع البيان ٩/٤٥٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/١٦٣ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ.

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٢٦).

(٣) جامع البيان ٢٠/٢٦١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٧٢٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) أبو عبدالله محمد بن عبدالله الأندلسي الشهير بابن أبي زمنين؛ أصول السنة، الطبعة الأولى، تحقيق وتخريج: عبدالله بن محمد عبدالرحيم بن حسين البخاري، (المدينة النبوية: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٥هـ)، ص ١٢٧ رقم (٥٦).

(٥) جامع البيان ٢٤/٢٠٤ .

٢٨٣) قال الدارقطني: حدثنا أبو بكر النيسابوري، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا يحيى بن سلام، حدثني همام، عن قتادة قال: «ينادي المنادي يوم القيامة: إن الله وعد الحسنى وهي الجنة، وأما الزيادة فهو النظر إلى وجه الرحمن ﷻ قال: فيتجلى لهم حتى ينظروا إليه»(١).

التعليق:

إن من أعظم ما اشتاق إليه المؤمنون وتنافس فيه المتنافسون هو رؤية ربهم ﷻ ، فمسألة الرؤية من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وقد ثبتت في القرآن والسنة وقال بثبوتها الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون(٢)، قال تعالى: M (* + , - . / ﴿٢٣﴾ L [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال: M " # $ % L [يونس: ٢٦]، وقال: M لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ : ; < = > ? L [الأنعام: ١٠٣]، وعن جرير بن عبد الله ﷺ ، قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: 8أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها" - يعني العصر والفجر -، ثم قرأ جرير M Z [\ ] ^ _ ` a L [طه: ١٣٠]7 (٣)، وعن صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال: 8إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله

---

(١) الرؤية ١/٣٠٦ رقم (٢٤٤)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٢/١٦١ من طريق سعيد عن قتادة مبتدئاً بقوله: بلغنا... إلخ، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/٥١٣ رقم (٧٩٨) من طريق شيبان به مبتدئاً بقوله: ذكر لنا... إلخ، وأخرجه أيضا ابن خزيمة في التوحيد رقم (١١- (٢٦٨)) من طريق عبدالرزاق عن معمر عن قتادة.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٨٥ بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل صلاة الفجر - حديث رقم (٥٧٣) ، وأخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما - حديث رقم (٦٣٣).

تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ 7[(١)].

قال الطحاوي - : "والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية"[(٢)]، وقال ابن جرير - : "وأما الصواب من القول في رؤية المؤمنين ربهم ﷻ يوم القيامة، وهو ديننا الذي ندين الله به وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة فهو: أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ"[(٣)]، وقال الآجري - : وقد قال الله ﷻ لنبيه ﷺ M لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ : ; > = < ? L [النحل: ٤٤] فكان مما بينه لأمته ﷺ في هذه الآيات أنه أعلمهم في غير حديث أنكم ترون ربكم ﷻ ، ورواه عنه جماعة من صحابته ! وقبلها العلماء عنهم أحسن القبول، كما قبلوا عنهم علم الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وعلم الحلال والحرام؛ كذا قبلوا منهم الأخبار أن المؤمنين يرون الله ﷻ لا يشكون في ذلك ثم قالوا: من رد هذه الأخبار فقد كفر"[(٤)].

ولقد اختلف أهل العلم في رؤية أهل المحشر على ثلاثة أقوال:

"الأول: يراه المؤمنون فقط.

والثاني: يراه المؤمنون والكفار.

والثالث: يراه المؤمنون والمنافقون دون الكفار"[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم / - حديث رقم (١٨١).

(٢) متن العقيدة الطحاوية. ص ١٣ .

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري؛ صريح السنة، الطبعة الثانية، تحقيق: بدر بن يوسف المعتوق - (الكويت: مكتبة أهل الأثر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، ص ٢٧ .

(٤) أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري؛ التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة، الطبعة الأولى، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ)، ص ٢٩ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٩٧ بتصرف.

وفي هذه الآثار الواردة عن قتادة في تفسير بعض الآيات التي استدل بها أهل السنة على رؤية الله ﷻ يوم القيامة وفي الجنة إثباته للرؤية كما أثبتها الصحابة وأئمة السلف % .

ثانيا: رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ:

٢٨٤) قال ابن خزيمة: حدثنا ابن معمر، قال: حدثنا روح، عن سعيد، عن قتادة: M [^ _ ` a L [النجم: ١٣] قال: «رأى نوراً عظيماً عند سدرة المنتهى»[1].

التعليق:

من مسائل العقيدة التي وقع فيها خلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ ، قال تعالى: M [^ _ ` a b c d e L [النجم: ١٣-١٤]، نقل ابن جرير اختلاف أهل التفسير[2] في هذه الآية هل رأى نبينا ﷺ ربه أم رأى جبريل عليه السلام ، قال ابن أبي العز: "واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينيه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة؛ منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ ، وحكى القاضي عياض في كتابه "الشفا"[3] اختلاف الصحابة ! ومن بعدهم في رؤيته ﷺ لربه"[4].

ومما ورد من أدلة في هذه المسألة ما جاء عن عبد الله بن شقيق ، قال : قلت لأبي ذر: «لو أدركت النبي ﷺ لسألته، فقال: عما كنت تسأله، قلت: أسأله هل رأى محمد ربه؟ فقال: قد سألته فقال: "نور أنى أراه»[5]، وعن عكرمة، قال: قيل لابن عباس: «هل

(١) التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ١/٥١٨ رقم (٣١٣).

(٢) انظر: جامع البيان ٢٢/٢٨ وما بعدها.

(٣) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي ١/١٩٥ .

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/٢٩٧ .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب: ومن سورة والنجم

رأى محمد ربه **1** ؟ قال: "نعم"»[1]، وعن داود بن حصين، أن مروان، سأل أبا هريرة «هل رأى محمد ربه؟ قال: "نعم قد رآه"»[2]، قال الذهبي: "و لم يأتنا نص جلي بأن النبي ﷺ رأى الله تعالى بعينيه، وهذه المسألة مما يسع المرء المسلم في دينه السكوت عنها، فأما رؤية المنام فجاءت من وجوه متعددة مستفيضة، وأما رؤية الله عيانا في الآخرة فأمر متيقن تواترت به النصوص"[3]، وقال الذهبي أيضاً: "فصل في رؤية النبي ربه ليلتئذ إختلاف: فذهب جماعة من السلف إلى أنه رأى ربه ﷻ ، وذهب آخرون كأم المؤمنين عائشة " وغيرها إلى أنه لم يره بعد، وذهب طائفة إلى السكوت والوقف، وقال قوم رآه بعين قلبه"[4].

وقد بين قتادة - بأنه رأى النور فقال: "رأى نوراً عظيماً عند سدرة المنتهى" وهذا هو القول الصحيح بإذن الله أنه رأى النور و لم يره بعينه وإنما رآه بقلبه، قال ابن خزيمة - : "فعلى هذا يكون معنى قوله: أنى أراه، أين أراه و كيف أراه وإنما أرى نورا، قلت: هذا بعينه ينفي الرؤية حيث يقرر إنما أرى نورا "[5].

- حديث رقم (٣٢٨٢) وقال: هذا حديث حسن، وابن خزيمة في التوحيد: أخبار عبد الله بن مسعود - حديث رقم (٢٧٨)، وصححه الألباني.

(١) الرؤية للدارقطني: ذكر الرواية عن عبد الله بن عباس - حديث رقم (٢١٨).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٧١/٣ رقم (٩٠٨).

(٣) سير أعلام النبلاء ١٦٧/٢ .

(٤) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي؛ العلو للعلي الغفار، الطبعة الأولى، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٩٩٥م)، ص ١٠٣ .

(٥) انظر: التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ٥١٤/٢ ، وقد ذكره الذهبي أيضا في العلو للعلي الغفار. ص ١٠٣ .

ثالثا: العرش

٢٨٥) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M < = > ? L [هود: ٧] قال: «هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء والأرض»(١).

٢٨٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M < = < > ? L [هود: ٧] : «ينبِّئُكم ربُّكم تبارك وتعالى كيف كان بدءُ خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض»(٢).

٢٨٧) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M m L [المطففين: ١٨] قال: «فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى»(٣).

٢٨٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: M @ A B C D E F G H I J K L M L [السجدة: ٤] «في اليوم السابع»(٤).

---

(١) تفسير القرآن ٢/١٨٣ رقم (١١٨٢) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٢/٣٣١ من طريق معمر به.

(٢) جامع البيان ١٢/٣٣١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/١٠٦٩٩ من طريق سعيد به.

(٣) تفسير القرآن ٣/٤٠٥ رقم (٣٥٣٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٤/٢٠٨ من طريق معمر به، وبإسناد آخر من طريق معمر أيضاً قال: "عليُّون: قائمة العرش اليمنى"، وأخرجه أيضاً محمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش وما روي فيه ص: ٤٢٨ رقم (٥٥)، وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٣/١٨٦ رقم (١٣٨)، وابن الأعرابي في المعجم ٢/٢٦٧ رقم (٧٦٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/٣٠١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) جامع البيان ١٨/٥٩١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند تفسير آية [الأعراف: ٤] ٥/١٤٩٧ رقم (٨٥٧٦) وآية [الفرقان: ٥٩] ١٠/٢٧١٤ رقم (١٥٢٩٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مثله.

٢٨٩) قال عبدالرزاق: أنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M $ % & ' ( ) * + , - . / L [الزمر: ٦٨] قال: «هم الشهداء ثنية الله حول العرش مقلدي السيوف»(١).

٢٩٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ L [المزمل: ١٨] يقول: «مثقلة يوم القيامة(٢)»(٣).

٢٩١) قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن قتادة، قال: «جَنْبتيه: الجنة والنار؛ قال: هذا حين يترل من عرشه إلى كرسيه لحساب خلقه»(٤).

٢٩٢) قال الذهبي: قال أبو أسامة، عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: « أخبرت أن العرش ياقوتة حمراء، هذا ثابت عن هذا التابعي الإمام وتقدم من حديث جبير بن مطعم أن عرشه تعالى فوق سمواته مثل القبة، وقال قتادة فيما رواه معمر عنه: إن العرش من ياقوتة حمراء، وقال مكي بن إبراهيم: حدثنا موسى بن عبيدة، عن عمر بن الحكم، عن عبد الله بن عمر: والعرش ياقوتة حمراء»(٥).

---

(١) تفسير القرآن ٣/١٣٦ رقم (٢٦٤٥) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢).

(٢) أشار محقق جامع البيان أنه جاء في بعض النسخ: "مثقل به ذلك اليوم" بدلا من "مثقلة يوم القيامة".

(٣) جامع البيان ٢٣/٣٩١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة ٢/٤٥٧رقم (١٠٣٥) من طريق سعيد به نحوه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٥/٥٨ بلفظ: "مثقلة بذلك اليوم من شدته وهوله" وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٧٨).

(٥) العلو للعلي الغفار ص ١٤٨ رقم (٤٨).

التعليق:

مما ثبت في الكتاب والسنة أن لله جل وعلا عرشاً هو أعظم مخلوقاته وأعلاها، والله مستوٍ على عرشه، وهو غني عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه، قال ابن أبي العز: "والعرش في اللغة: عبارة عن السرير الذي للملك كما قال تعالى عن بلقيس: M (* + L [النمل: ٢٣]، وليس هو فلكاً ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات"(١)، ومن الأدلة في إثبات العرش قوله تعالى: M U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b L [الأعراف: ٥٤] [يونس: ٣]، وقوله: Mوَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ L [التوبة: ١٢٩]، وقوله: M ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ; < = > L [الرعد: ٢]، وقوله: M Y Z [\ ] L [طه: ٥]، وقوله: Mٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ © L [غافر: ٧]، وعن ابن عباس ، أن نبي الله ﷺ كان يقول عند الكرب: 8لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم7 (٢)، قال ابن بطة - : "باب الإيمان بأن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بجميع خلقه: وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه وعلمه محيط بجميع خلقه لا يأبى ذلك ولاينكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية"(٣).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢/٤٢٥ .

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات - باب الدعاء عند الكرب - حديث رقم (٦٣٤٦)، وأخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب دعاء الكرب - حديث رقم (٢٧٣٠).

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٣/١٣٦ .

ومن خلال ما ذكره قتادة - في هذه الآثار نجده يثبت أن العرش موجود مخلوق قبل خلق السموات والأرض، وأنه فوق السماء السابعة، وله قوائم، وأن استواء الله عليه كان بعد خلق السموات والأرض، وأنه غير الكرسي، و قد ذكر أيضا أنه من ياقوتة حمراء.

رابعا: الكرسي

٢٩٣) قال أبو الشيخ: حدثنا عبدالله بن محمد بن زكريا، قال: حدثنا سلمة، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا معتمر أبو الحكم الباهلي، عن قتادة - تعالى قال: « من رأى خلقاً من خلقه فتوسم فيه حتى يترل الجبار تبارك وتعالى قال: M Z [\ ] ^ _ L [الحاقة: ١٧] تحمله الملائكة على كواهلها بأيد وعزة وحسن وجمال حتى إذا جلس على كرسيه نادى تعالى به Mلِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ L [غافر: ١٦] فلم يجبه أحد فعطفها على نفسه تبارك وتعالى فقال: Mلِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴿١٧﴾ L [غافر: ١٦-١٧] »[1].

٢٩٤) قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن قتادة، قال: «جَنْبتيه: الجنة والنار؛ قال: هذا حين يترل من عرشه إلى كرسيه لحساب خلقه»[2].

التعليق:

الكرسي من مخلوقات الله ﷻ العظيمة، قال ابن عباس قال: "الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره"[3]، قال تعالى: Mوَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ L [البقرة:

(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢١٦).

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٧٨) .

(٣) التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ٢٤٨/١ .

٢٥٥]، قال البغوي - : "ومعنى قوله: "وسع كرسيه السماوات والأرض" أي سعته مثل سعة السماوات والأرض، وفي الأخبار أن السماوات والأرض في جنب الكرسي كحلقة في فلاة"[١]، وقال السعدي - : "والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار وتقلقل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع"[٢].

ومما ورد في السنة في إثبات الكرسي ووصفه ما رواه عن جابر بن عبدالله ﷺ، قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر، قال: 8"ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟" قال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم، تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً، قال: يقول رسول الله ﷺ : "صدقت، صدقت، كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟"7 [٣].



(١) تفسير البغوي ٣١٣/١ .

(٢) تفسير السعدي ص ١٠٢ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - حديث رقم (٤٠١٠)، وابن حبان في صحيحه: كتاب البيوع - كتاب القضاء - ذكر الإخبار عما يجب على المرء من معونة الضعفاء وأخذ مالهم - حديث رقم (٥٠٥٨)، وحسنه الألباني.

المبحث الثالث:
الآثار الواردة عنه في المسائل المتعلقة بباب الأسماء والصفات.

أولا: رؤية الله تعالى في الآخرة.

ثانيا: رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ .

ثالثا: العرش.

رابعا: الكرسي.

أولا: رؤية الله تعالى في الآخرة:

٢٩٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ : ; L [الأنعام: ١٠٣] : «وهو أعظم من أن تدركه الأبصار»(١).

٢٩٦) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M " # $ % L [يونس: ٢٦]، قال: «الحسنى الجنة، والزيادة فيما بلغنا النظر إلى وجه الله»(٢).

٢٩٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M وَأَشۡرَقَتِ : ; < L [الزمر: ٦٩] قال: «فما يتضارون في نوره إلا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه»(٣).

٢٩٨) قال ابن زمنين: يحي، قال: وحدثني سعيد، عن قتادة في قوله تعالى: M) * + , - . / ﴿٢٣﴾ L [القيامة: ٢٢-٢٣] قال: «تنظر إلى الله»(٤).

٢٩٩) قال ابن جرير: حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن خليد، عن قتادة: M T U V W X Y Z L [المطففين: ١٥]: «هو لا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»(٥).

---

(١) جامع البيان ٩/٤٥٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/١٦٣ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ.

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٢٦).

(٣) جامع البيان ٢٠/٢٦١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٧٢٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) أبو عبدالله محمد بن عبدالله الأندلسي الشهير بابن أبي زمنين؛ أصول السنة، الطبعة الأولى، تحقيق وتخريج: عبدالله بن محمد عبدالرحيم بن حسين البخاري، (المدينة النبوية: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٥هـ)، ص ١٢٧ رقم (٥٦).

(٥) جامع البيان ٢٤/٢٠٤ .

٣٠٠) قال الدارقطني: حدثنا أبو بكر النيسابوري، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا يحيى بن سلام، حدثني همام، عن قتادة قال: «ينادي المنادي يوم القيامة: إن الله وعد الحسنى وهي الجنة، وأما الزيادة فهو النظر إلى وجه الرحمن ﷻ قال: فيتجلى لهم حتى ينظروا إليه»(١).

التعليق:

إن من أعظم ما اشتاق إليه المؤمنون وتنافس فيه المتنافسون هو رؤية ربهم ﷻ، فمسألة الرؤية من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وقد ثبتت في القرآن والسنة وقال بثبوتها الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون(٢)، قال تعالى: M (* + , - . / ﴿٢٣﴾ L [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال: M " # $ % ¦ L [يونس: ٢٦]، وقال: M لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ : ; < = > ? L [الأنعام: ١٠٣]، وعن جرير بن عبد الله ﷺ، قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: 8أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها" - يعني العصر والفجر -، ثم قرأ جرير M Z [\ ] ^ _ ` a ¦ L [طه: ١٣٠] 7(٣)، وعن صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال: 8إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله

---

(١) الرؤية ٣٠٦/١ رقم (٢٤٤)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٦١/١٢ من طريق سعيد عن قتادة مبتدئاً بقوله: بلغنا... إلخ، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥١٣/٣ رقم (٧٩٨) من طريق شيبان به مبتدئاً بقوله: ذكر لنا... إلخ، وأخرجه أيضا ابن خزيمة في التوحيد رقم (١١- (٢٦٨)) من طريق عبدالرزاق عن معمر عن قتادة.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢٨٥/١ بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل صلاة الفجر - حديث رقم (٥٧٣)، وأخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما - حديث رقم (٦٣٣).

تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى رهم ﷻ 7[١].

قال الطحاوي - : "والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية"[٢]، وقال ابن جرير - : "وأما الصواب من القول في رؤية المؤمنين رهم ﷻ يوم القيامة، وهو ديننا الذي ندين الله به وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة فهو: أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ"[٣]، وقال الآجري - : وقد قال الله ﷻ لنبيه ﷺ M لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ : ; < = > ? L [النحل: ٤٤] فكان مما بينه لأمته ﷺ في هذه الآيات أنه أعلمهم في غير حديث أنكم ترون ربكم ﷻ ، ورواه عنه جماعة من صحابته ! وقبلها العلماء عنهم أحسن القبول، كما قبلوا عنهم علم الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وعلم الحلال والحرام؛ كذا قبلوا منهم الأخبار أن المؤمنين يرون الله ﷻ لا يشكون في ذلك ثم قالوا: من رد هذه الأخبار فقد كفر"[٤].

ولقد اختلف أهل العلم في رؤية أهل المحشر على ثلاثة أقوال:

"الأول: يراه المؤمنون فقط.

والثاني: يراه المؤمنون والكفار.

والثالث: يراه المؤمنون والمنافقون دون الكفار"[٥].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة رهم / - حديث رقم (١٨١).

(٢) متن العقيدة الطحاوية. ص ١٣ .

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري؛ صريح السنة، الطبعة الثانية، تحقيق: بدر بن يوسف المعتوق - (الكويت: مكتبة أهل الأثر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، ص ٢٧ .

(٤) أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري؛ التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة، الطبعة الأولى، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ)، ص ٢٩ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٩٧ بتصرف.

وفي هذه الآثار الواردة عن قتادة في تفسير بعض الآيات التي استدل بها أهل السنة على رؤية الله ﷻ يوم القيامة وفي الجنة إثباته للرؤية كما أثبتها الصحابة وأئمة السلف % .

ثانيا: رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ:

٣٠١) قال ابن خزيمة: حدثنا ابن معمر، قال: حدثنا روح، عن سعيد، عن قتادة: M] ^ _ ` a L [النجم: ١٣] قال: «رأى نوراً عظيماً عند سدرة المنتهى»(١).

التعليق:

من مسائل العقيدة التي وقع فيها خلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ، قال تعالى: M] ^ _ ` a b c d e L [النجم: ١٣-١٤]، نقل ابن جرير اختلاف أهل التفسير(٢) في هذه الآية هل رأى نبينا ﷺ ربه أم رأى جبريل عليه السلام، قال ابن أبي العز: "واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينيه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة؛ منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ، وحكى القاضي عياض في كتابه "الشفا"(٣) اختلاف الصحابة ! ومن بعدهم في رؤيته ﷺ لربه"(٤).

ومما ورد من أدلة في هذه المسألة ما جاء عن عبد الله بن شقيق، قال: قلت لأبي ذر: «لو أدركت النبي ﷺ لسألته، فقال: عما كنت تسأله، قلت: أسأله هل رأى محمد ربه؟ فقال: قد سألته فقال: "نور أنى أراه»(٥)، وعن عكرمة، قال: قيل لابن عباس: «هل

---

(١) التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ٥١٨/١ رقم (٣١٣).

(٢) انظر: جامع البيان ٢٨/٢٢ وما بعدها.

(٣) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي ١٩٥/١ .

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢٩٧/١ .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب: ومن سورة والنجم

رأى محمد ربه 1 ؟ قال: "نعم"»[1]، وعن داود بن حصين، أن مروان، سأل أبا هريرة «هل رأى محمد ربه؟ قال: "نعم قد رآه"»[2]، قال الذهبي: "و لم يأتنا نص جلي بأن النبي ﷺ رأى الله تعالى بعينيه، وهذه المسألة مما يسع المرء المسلم في دينه السكوت عنها، فأما رؤية المنام فجاءت من وجوه متعددة مستفيضة، وأما رؤية الله عيانا في الآخرة فأمر متيقن تواترت به النصوص"[3]، وقال الذهبي أيضاً: "فصل في رؤية النبي ربه ليلتئذ إختلاف: فذهب جماعة من السلف إلى أنه رأى ربه ﷻ ، وذهب آخرون كأم المؤمنين عائشة " وغيرها إلى أنه لم يره بعد، وذهب طائفة إلى السكوت والوقف، وقال قوم رآه بعين قلبه"[4].

وقد بين قتادة - بأنه رأى النور فقال: "رأى نوراً عظيماً عند سدرة المنتهى" وهذا هو القول الصحيح بإذن الله أنه رأى النور و لم يره بعينه وإنما رآه بقلبه، قال ابن خزيمة - : "فعلى هذا يكون معنى قوله: أنى أراه، أين أراه و كيف أراه وإنما أرى نورا، قلت: هذا بعينه ينفي الرؤية حيث يقرر إنما أرى نورا "[5].

- حديث رقم (٣٢٨٢) وقال: هذا حديث حسن، وابن خزيمة في التوحيد: أخبار عبد الله بن مسعود - حديث رقم (٢٧٨)، وصححه الألباني.

(١) الرؤية للدارقطني: ذكر الرواية عن عبد الله بن عباس - حديث رقم (٢١٨).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٧١/٣ رقم (٩٠٨).

(٣) سير أعلام النبلاء ١٦٧/٢ .

(٤) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي؛ العلو للعلي الغفار، الطبعة الأولى، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٩٩٥م)، ص ١٠٣ .

(٥) انظر: التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ٥١٤/٢ ، وقد ذكره الذهبي أيضا في العلو للعلي الغفار. ص ١٠٣ .

ثالثا: العرش

٣٠٢) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M < = > ? L [هود: ٧] قال: «هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء والأرض»(١).

٣٠٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M < = > ? L [هود: ٧] : «ينبِّئُكم ربُّكم تبارك وتعالى كيف كان بدءُ خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض»(٢).

٣٠٤) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M m L [المطففين: ١٨] قال: «فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى»(٣).

٣٠٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: M @ A B C D E F G H I J K L M L [السجدة: ٤] «في اليوم السابع»(٤).

---

(١) تفسير القرآن ١٨٣/٢ رقم (١١٨٢) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٣١/١٢ من طريق معمر به.

(٢) جامع البيان ٣٣١/١٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٦٩٩/٦ من طريق سعيد به.

(٣) تفسير القرآن ٤٠٥/٣ رقم (٣٥٣٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٠٨/٢٤ من طريق معمر به، وبإسناد آخر من طريق معمر أيضاً قال: "عليُّون: قائمة العرش اليمنى"، وأخرجه أيضاً محمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش وما روي فيه ص: ٤٢٨ رقم (٥٥)، وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٨٦/٣ رقم (١٣٨)، وابن الأعرابي في المعجم ٢٦٧/٢ رقم (٧٦٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٠١/١٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) جامع البيان ٥٩١/١٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند تفسير آية [الأعراف: ٤] ١٤٩٧/٥ رقم (٨٥٧٦) وآية [الفرقان: ٥٩] ٢٧١٤/١٠ رقم (١٥٢٩٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مثله.

٣٠٦) قال عبدالرزاق: أنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M $ % & ' ( ) * + , - . / L [الزمر: ٦٨] قال: «هم الشهداء ثنية الله حول العرش مقلدي السيوف»(١).

٣٠٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ L [المزمل: ١٨] يقول: «مثقلة يوم القيامة(٢)»(٣).

٣٠٨) قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن قتادة، قال: «جَنْبتيه: الجنة والنار؛ قال: هذا حين يترل من عرشه إلى كرسيه لحساب خلقه»(٤).

٣٠٩) قال الذهبي: قال أبو أسامة، عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: « أخبرت أن العرش ياقوتة حمراء، هذا ثابت عن هذا التابعي الإمام وتقدم من حديث جبير بن مطعم أن عرشه تعالى فوق سمواته مثل القبة، وقال قتادة فيما رواه معمر عنه: إن العرش من ياقوتة حمراء، وقال مكي بن إبراهيم: حدثنا موسى بن عبيدة، عن عمر بن الحكم، عن عبد الله بن عمر: والعرش ياقوتة حمراء»(٥).

---

(١) تفسير القرآن ٣/١٣٦ رقم (٢٦٤٥) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢).

(٢) أشار محقق جامع البيان أنه جاء في بعض النسخ: "مثقل به ذلك اليوم" بدلا من "مثقلة يوم القيامة".

(٣) جامع البيان ٢٣/٣٩١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة ٢/٤٥٧رقم (١٠٣٥) من طريق سعيد به نحوه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٥/٥٨ بلفظ: "مثقلة بذلك اليوم من شدته وهوله" وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٧٨).

(٥) العلو للعلي الغفار ص ١٤٨ رقم (٤٨).

التعليق:

مما ثبت في الكتاب والسنة أن لله جل وعلا عرشاً هو أعظم مخلوقاته وأعلاها، والله مستوٍ على عرشه، وهو غني عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه، قال ابن أبي العز: "والعرش في اللغة: عبارة عن السرير الذي للملك كما قال تعالى عن بلقيس: M (* + L [النمل: ٢٣]، وليس هو فلكاً ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات"(١)، ومن الأدلة في إثبات العرش قوله تعالى: M U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b L [الأعراف: ٥٤] [يونس: ٣]، وقوله: Mوَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ L [التوبة: ١٢٩]، وقوله: M ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ; < = > L [الرعد: ٢]، وقوله: M Y Z [\ ] L [طه: ٥]، وقوله: Mٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ © بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ L [غافر: ٧]، وعن ابن عباس ، أن نبي الله ﷺ كان يقول عند الكرب: 8لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم7 (٢)، قال ابن بطة - : "باب الإيمان بأن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بجميع خلقه: وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه وعلمه محيط بجميع خلقه لا يأبى ذلك ولاينكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية"(٣).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢/٤٢٥ .

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات - باب الدعاء عند الكرب - حديث رقم (٦٣٤٦)، وأخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب دعاء الكرب - حديث رقم (٢٧٣٠).

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٣/١٣٦ .

ومن خلال ما ذكره قتادة - في هذه الآثار نجده يثبت أن العرش موجود مخلوق قبل خلق السموات والأرض، وأنه فوق السماء السابعة، وله قوائم، وأن استواء الله عليه كان بعد خلق السموات والأرض، وأنه غير الكرسي، و قد ذكر أيضا أنه من ياقوتة حمراء.

رابعا: الكرسي

٣١٠) قال أبو الشيخ: حدثنا عبدالله بن محمد بن زكريا، قال: حدثنا سلمة، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا معتمر أبو الحكم الباهلي، عن قتادة - تعالى قال: « من رأى خلقاً من خلقه فتوسم فيه حتى يترل الجبار تبارك وتعالى قال: M Z [\ ] ^ _ L [الحاقة: ١٧] تحمله الملائكة على كواهلها بأيد وعزة وحسن وجمال حتى إذا جلس على كرسيه نادى تعالى به Mلِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ L [غافر: ١٦] فلم يجبه أحد فعطفها على نفسه تبارك وتعالى فقال: Mلِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴿١٧﴾ L [غافر: ١٦-١٧] »[1].

٣١١) قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن قتادة، قال: «جَنْبتيه: الجنة والنار؛ قال: هذا حين يترل من عرشه إلى كرسيه لحساب خلقه»[2].

التعليق:

الكرسي من مخلوقات الله ﷻ العظيمة، قال ابن عباس قال: "الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره"[3]، قال تعالى: Mوَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ L [البقرة:

(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢١٦).

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٧٨) .

(٣) التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ٢٤٨/١ .

٢٥٥]، قال البغوي - : "ومعنى قوله: "وسع كرسيه السماوات والأرض" أي سعته مثل سعة السماوات والأرض، وفي الأخبار أن السماوات والأرض في جنب الكرسي كحلقة في فلاة"[١]، وقال السعدي - : "والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار وتقلقل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع"[٢].

ومما ورد في السنة في إثبات الكرسي ووصفه ما رواه عن جابر بن عبدالله ﷺ، قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر، قال: 8"ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟" قال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم، تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً، قال: يقول رسول الله ﷺ : "صدقت، صدقت، كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟"7 [٣].



(١) تفسير البغوي ٣١٣/١ .

(٢) تفسير السعدي ص ١٠٢ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - حديث رقم (٤٠١٠)، وابن حبان في صحيحه: كتاب البيوع - كتاب القضاء - ذكر الإخبار عما يجب على المرء من معونة الضعفاء وأخذ مالهم - حديث رقم (٥٠٥٨)، وحسنه الألباني.

الباب الثاني:
الآثار الواردة عن قتادة في بقية أركان الإيمان الستة، ومسائل الإيمان.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الآثار الواردة عن قتادة في الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل.

الفصل الثاني: الآثار الواردة عن قتادة في الإيمان باليوم الآخر، والقضاء والقدر، وفي مسائل الإيمان.

الفصل الأول:
الآثار الواردة عن قتادة في الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة عنه في الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: الآثار الواردة عنه في الإيمان بالكتب.

المبحث الثالث: الآثار الواردة عنه في الإيمان بالرسل.

المبحث الأول:
الآثار الواردة عنه في الإيمان بالملائكة.

أولا: ما أثر عنه في بعض أسماء الملائكة.

ثانيا: ما أثر عنه في بعض صفات الملائكة.

ثالثا: ما أثر عنه في بعض عبادات الملائكة.

رابعا: ما أثر عنه في بعض أعمال الملائكة.

تمهيد:

الملائكة جمع ملأك وملك من الألوكة وهي الرسالة(١) فهم رسل الله إلى خلقه، وهم عالم غيبي خلقهم الله ﷻ من نور كما قال ﷺ : "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"(٢).

والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وقد جاء في الكتاب والسنة ما يدل على وجوب الإيمان بهم، قال تعالى: M ! " # $ % & '

( ) * + , - . / ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ L

[البقرة: ١٧٧]، قال ابن كثير: "فإن من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام كلها وأخذ بمجامع الخير كله وهو الإيمان بالله وهو أنه لا إله إلا هو وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله..."(٣)، ومن الأدلة أيضاً على وجوب الإيمان بهم قوله تعالى: M g h i j k l m n p q r s t

u v w x y z { | } ~ وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ

﴿٢٨٥﴾ L [البقرة: ٢٨٥]، وفي حديث جبريل عليه السلام المشهور عندما قال للنبي ﷺ : فأخبرني عن الإيمان، قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"(٤)، ومن لم يؤمن بالملائكة فهو كافر بالله ﷻ قال تعالى: M K L

M N O P Q R S T U V W X Y

Z \ ] ^ _ ` a b c d e f g h L

[النساء: ١٣٦]، وقد أجمع أهل السنة على الإيمان بالملائكة قال الإسماعيلي - : "اعلموا

(١) انظر: تهذيب اللغة ٣/٣٨٤ ، وكتاب العين ٥/٣٨٠ ، والمعجم الوسيط ص ٢٤ .

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق - باب في أحاديث متفرقة - حديث رقم (٢٩٩٦).

(٣) تفسير ابن كثير ١/٤٨٦ .

(٤) تقدم تخريجه. انظر: ص ٦٣ .

رحمنا الله وإياكم أن مذهب أهل الحديث - أهل السنة والجماعة - الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله"[1].

والملائكة عبادٌ من عبادِ الله ﷻ مكرمون، طهرهم الله واصطفاهم لتنفيذ أوامره الكونية والشرعية، قال تعالى: M وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ : ; < = > ? @ A B L [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، وقال: M Z [\ ] ^ _ L [عبس: ١٥-١٦]، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على كثرة عددهم فهم عدد لا يحصيه إلا الله ﷻ ففي حديث الإسراء والمعراج الطويل قال ﷺ : "فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم"[2]، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد... الخ"[3].

والإيمان بالملائكة يتضمن أموراً عدِّة: منها الإيمان بوجودهم والإيمان بما ذُكر لنا من أسمائهم وصفاتهم وعباداتهم وأعمالهم، فإن لهم أسماء سمّاهم الله سبحانه وتعالى بها في كتابه منها: "الرسل" كما قال تعالى: M L M N O P Q R T U

---

(١) أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي؛ اعتقاد أهل السنة، الطبعة الأولى، تحقيق: جمال عزون، (الإمارات العربية المتحدة: دار الريان، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م)، ص ٣١ .

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة - حديث رقم (٣٢٠٧)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات - حديث رقم (١٦٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند: رقم (٢١٥١٦)، والترمذي في سننه: كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ - باب في قول النبي ﷺ : "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا" - حديث رقم (٢٣١٢) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه في سننه: كتاب الزهد - باب الحزن والبكاء - حديث رقم (٤١٩٠)، والحاكم في المستدرك: كتاب التفسير - "تفسير سورة هل أتى على الإنسان" ٢/٥١٠ ، وحسّنه الألباني.

V W X L [الحج: ٧٥] ، و"السفرة"، و"الجنود" قال تعالى: Mوَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا ´ L [المدثر: ٣١]، وسماهم بالملأ الأعلى والأشهاد، قال تعالى: M إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا : ; < = > ? @ L [غافر: ٥١]، وقد ذكر الله ﷻ أسماء بعضه الملائكة على وجه الخصوص كجبريل وميكائيل عليهما السلام، قال تعالى: Mm n o p q r s t u v w x y L [البقرة: ٩٨]، وورد ذكر إسرافيل الطَّيْلا في السنة النبوية فعن عائشة أم المؤمنين " أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاته بقوله: "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"(١)، وممن سمّاه الله ﷻ أيضا: مالك خازن النار، قال تعالى: Mوَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا : ; < = > ? L [الزخرف: ٧٧]، وملك الموت كما في قوله تعالى: M ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ L [السجدة: ١١] وغير ذلك من الأسماء.

وقد وصف الله ﷻ الملائكة بصفات كثيرة منها عظمة خلقتهم، قال تعالى: M يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ´ µ ¶ ¸ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ L [التحريم: ٦]، وعن جابر بن عبد الله ﵁ عن النبي ﷺ قال: "أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام"(٢)، ومن أوصافهم أيضاً أن لهم أجنحة، قال

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه - حديث رقم (٧٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة - باب في الجهمية - حديث رقم (٤٧٢٧)، والطبراني في المعجم الأوسط - باب العين - من اسمه عبد الله - حديث رقم (٤٥٢٠)، وصححه الألباني.

تعالى: M o p q r s t u v w x y z { | }
~ ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ ۝١ © L [فاطر: ١]، وأنهم يتكلمون قال تعالى: M !
" # $ % & ' ( ) + , - . / فِيهَا
وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ : ; < = > ? L [البقرة: ٣٠].

ومن إكرام الله ﷻ لملائكته أن عبّدهم له بعبادات كثيرة متنوعة أولها طاعته سبحانه بتنفيذ أوامره ومجانبة معصيته، قال تعالى: M **لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ** ۝٦ L [التحريم: ٦]، ومن عبادات الملائكة أيضاً ذكر الله ﷻ والتسبيح والتقديس والدعاء قال تعالى: M + , - . / فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ L [البقرة: ٣٠]، وقال تعالى: M ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ © بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ ´ µ ¶ ¸ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ L [غافر: ٧]، ومن عبادات الملائكة: الصلاة، والطواف ببيت العزة، والقيام صفوفا أمام رب العالمين، وكذلك الركوع والسجود، وكلّ هذا ثابت في القرآن والسنة.

وللملائكة أعمال فمنهم حملة العرش قال تعالى: M V W X Z [\ ] ^ _ ` L [الحاقة: ١٧]، ومنهم خزنة للجنة وخزنة للنار، قال تعالى: M وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى © زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ ´ µ ¶ ¸ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣ L [الزمر: ٧٣]، وهناك ملائكة موكلون بالسحاب والقطر، ومنهم من هو موكّل بالوحي، ومنهم من هو موكّل بالنفخ في الصور، ومنهم من هو موكّل بكتابة أعمال بني آدم، ومنهم من هو موكّل بحفظ بني آدم، ومنهم من هو موكّل بقبض الأرواح كملك الموت وأعوانه، وهذا كله داخل في عقيدة

أهل السنة، قال الطحاوي - : "ونؤمن بالكرام الكاتبين فإن الله قد جعلهم علينا حافظين، ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين"(١).(٢)

وأخيراً مما ينبه عليه أن للإيمان بالملائكة ثمرات عظيمة للعبد المؤمن؛ كالعلم بعظمة الخالق سبحانه الذي خلق الملائكة في هذه الصورة، ورحمته جل وعلا بخلقه إذ وكّل بهم من يحفظهم بأمره، ومن يحضرهم في مجالسهم مجالس العلم العامرة بالإيمان، ويرفع أعمالهم إلى ربهم، ومن الثمرات أيضاً: محبة الملائكة فمَن علم عبادتهم لله ﷻ ، وحرصهم على الاستغفار للمؤمنين، ونصرتهم لهم بأمر الله فإنه لا بد أن يحبهم لما اشتملوا عليه من هذا الخير (٣).

وقد أُثِرت أقوال لقتادة - في عقيدته في الملائكة، وذِكر أسماء بعضهم وما جاء من عباداتهم وأعمالهم وأوصافهم على ما جاء في الكتاب والسنة، وهذا ما سأورده في الفقرات التالية.



---

(١) متن العقيدة الطحاوية ص ٢٥ .

(٢) انظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين لمحمد بن عبدالوهاب العقيل، والحبائك في أخبار الملائك للسيوطي، وعالم الملائكة أسراره وخفاياه لمصطفى عاشور.

(٣) شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص ٩٢ ، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ص ١١٩ بتصرف.

أولا: ما أثر عنه في بعض أسماء الملائكة:

أ - أسماء عامة

١ - الأشهاد

٢ - الجنود

ب - أسماء خاصة

١ - جبريل عليه السلام

٢ - الرعد

٣ - الجن "ذكر أنه اسم قبيلة من الملائكة"

أ- أسماء عامة

١ - الأشهاد

٣٥٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة في قوله تعالى: M وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ L [هود: ١٨] والأشهاد: «الملائكة يشهدون على بني آدم بأعمالهم»(١).

٣٥٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M V W X Y Z [\ L[ق: ٢١] قال: «سائق يسوقها إلى ربها، وشاهد يشهد عليها بعملها»(٢).

التعليق:

لقد سبق في التمهيد الإشارة لأسماء الملائكة، وفي هذه الفقرة ذكر ما ورد عن قتادة منها، فقد ذكر - من أسمائهم "الأشهاد" وهو من الأسماء العامة قال تعالى: M ¶ ¸ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ L [هود: ١٨]، ووجه هذا الاسم أنهم يشهدون على الخلق يوم القيامة؛ فكل نفس تأتي ومعها سائق يسوقها إلى ربها، وشاهد يشهد عليها بعملها، وقد قال مجاهد والأعمش بمثل قول قتادة(٣).

---

(١) جامع البيان ٣٦٧/١٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/٨ إلى أبي الشيخ.

(٢) جامع البيان ٤٣٠/٢١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن جرير أيضاً في نفس الجزء والصفحة من طريق أبي هلال عن قتادة به نحوه.

(٣) انظر: جامع البيان ٣٦٧/١٢ .

٢- الجنود

٣٦٠) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M H I J K L M L [الأحزاب: ٩] قال: «هم الملائكة»(١).

التعليق:

مما سمّى الله ﷻ به ملائكته "الجنود" قال تعالى: Mوَأَنزَلَ جُنُودًا ´ µ L [التوبة: ٢٦] وقال: M H I J K L M L [الأحزاب: ٩]، قال ابن كثير: "Mوَأَنزَلَ جُنُودًا ´ µ L وهم الملائكة "(٢)، وقال السعدي: "Mوَأَنزَلَ جُنُودًا ´ µ L وهم الملائكة، أنزلهم اللّه معونة للمسلمين يوم حنين يثبتونهم ويبشرونهم بالنصر"(٣).

ب- أسماء خاصة

١- جبريل عليه السلام:

٣٦١) قال عبد الرزاق: معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ L [البقرة: ٢٥٣] قال: «هو جبريل»(٤).

---

(١) تفسير القرآن ٣/٣٤ رقم (٢٣٢٣)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٩/٢٨ من طريق سعيد به مثله.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/١٢٨ .

(٣) تفسير السعدي ص ٣٤٤ .

(٤) تفسير القرآن ١/٣٦٢ رقم (٣١٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢/٢٢٢ .

٣٦٢) قال عبد الرزاق: أرنا معمر، عن قتادة والحسن، في قوله: M وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ L [الإسراء: ٨٥] قال: «هو جبريل، قال قتادة: وكان ابن عباس يكتمه»(١).

٣٦٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M * + , - . / مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ ...الآية L [سبأ: ٢٣] قال: «يوحي الله إلى جبريل فتفرَّق الملائكة، أو تَفزَّع مخافة أن يكون شيء من أمر الساعة، فإذا جُلِي عن قلوبهم وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة M / مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ L [سبأ: ٢٣]»(٢).

٣٦٤) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M c d e f g L [الشعراء: ١٩٢] قال: «هذا القرآن نزل به الروح الأمين»(٣).

٣٦٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M + , - . / L [النجم: ٣] : أي: «ما ينطق عن هواه M **إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ** ﴿٤﴾ L [النجم: ٤] قال: يوحي الله تبارك وتعالى إلى جبريل، ويوحي جبريل إلى محمد ﷺ »(٤).

٣٦٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M : ; < = L [النجم: ٦] : «ذو خَلْق طويل حسن»(٥).

---

(١) تفسير القرآن ٣١٤/٢ رقم (١٦١٦)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٧٠/١٥ .

(٢) جامع البيان ٢٨٠/١٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢١٢/١٢ إلى عبد بن حميد.

(٣) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٧٤).

(٤) جامع البيان ٨/٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/١٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) جامع البيان ١٠/٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر

٣٦٧) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن الحسن وقتادة، في قوله تعالى: M B C D E L [النجم: ٨] قالا: «هو جبريل»(١).

٣٦٨) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن الحسن و قتادة، في قوله تعالى: M R S T U V W L [النجم: ١١] قالا: «رأى جبريل في صورته التي هي صورته، قالا: وهو الذي رآه نزلة أخرى»(٢).

٣٦٩) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M j k l L [التكوير: ١٩] قال: «هو جبريل»(٣).

٣٧٠) قال عبد الرزاق: معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M { ~ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ L [التكوير: ٢٣] قال: «أي: جبريل له خمسمائة جناح قد سد الأفق»(٤).

٣٧١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M ~ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ L [طه: ٩٦] : «يعني: فرس جبريل عليه السلام»(٥).

المنثور ١٢/١٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(١) تفسير القرآن ٢٤٩/٣ رقم (٣٠٢٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه أبوالشيخ في العظمة ٧٩٤/٢ رقم (٣٦٧)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٤/٢٢ من طريق سعيد عن قتادة مثله.

(٢) تفسير القرآن ٢٤٩/٣ رقم (٣٠٢٦)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٧٩٤/٢ رقم (٣٦٧)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢٦/٢٢ من طريق معمر عن قتادة.

(٣) تفسير القرآن ٣٩٩/٣ رقم (٣٥١٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١٦٣/٢٤ من طريق معمر به ومن طريق سعيد عن قتادة مثله، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٧٤/١٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) تفسير القرآن ٣٩٩/٣ رقم (٣٥٢٠)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢).

(٥) جامع البيان ١٤٩/١٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر

التعليق:

من الملائكة الذين ذكر الله جل وعلا أسماءهم على وجه الخصوص جبريل عليه السلام، وهو أعظم الملائكة مترلة عند الله، وهو السفير بين الله وأنبيائه، فهو الموكل بالوحي وغيره من الأعمال، وهو الذي بلغ القرآن إلى النبي ﷺ ، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى فضله ومكانته عنده، قال تعالى: M ` a b c d e f h i j k l m n o p q s t u v w L [التحريم: ٤]، وقال: M Z [ \ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y L [البقرة: ٩٧-٩٨]، وفي هذه الآية بيان حكم من يعادي هذا الملك العظيم وغيره من الملائكة "فالعداوة لجبريل كفر بالله وآياته، وعداوة لله ولرسله وملائكته، فإن العداوة لجبريل لا لذاته بل لما يترل به من عند الله من الحق على رسل الله، فيتضمن الكفر والعداوة للذي أنزله وأرسله، والذي أُرسل به، والذي أُرسل إليه"[1].

وقد ورد في القرآن عدد من أسماء جبريل عليه السلام منها: الروح الأمين، قال تعالى: M h i j k l m n o p q r L [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]، قال ابن كثير: "M h i j k l L: وهو جبريل عليه السلام قاله غير واحد من السلف: ابن عباس، ومحمد بن كعب، وقتادة، وعطية العوفي، والسدي، والضحاك، والزهري، وابن جريج. وهذا ما لا نزاع فيه"[2]، ومن أسمائه أيضاً: روح القدس، قال تعالى: M قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ L [النحل: ١٠٢].

المنثور ١٠/٢٣٥ إلى ابن أبي حاتم.

(١) تفسير السعدي ص ٤٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٦/١٦٢ .

ولجبريل عليه السلام مكانة عظيمة عند الملائكة فهو رئيسهم ومطاع عندهم، قال تعالى: M i j k l m n o p q r s t u v w x L [التكوير: ١٩-٢١]، قال ابن كثير: "وقوله: M i j k l m L يعني: أن هذا القرآن لتبليغُ رسول كريم، أي: ملك شريف حَسَن الخلق بهي المنظر وهو جبريل (. قاله ابن عباس، والشعبي، وميمون بن مِهْران، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وغيرهم ... M p q r s L أي: له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة"[1]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدعاء الذي يدل على فضل جبريل وميكائيل وإسرافيل فيقول: 8اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم7[2].

وفي الآثار الواردة عن قتادة - بيان لفضل جبريل عليه السلام ومكانته وبعض أسمائه التي سمّاه الله بها، وفيها أيضاً إشارة إلى صورة جبريل التي هي صورته خلقه الله عليها وفيها بيان عظمة خلقته، وكذلك ذِكرُ عدد أجنحته عليه السلام ، وقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه ما يزيد على هذا العدد فعنه رضي الله عنه في قول الله تعالى: M F G H I J K L M N O P Q L [النجم: ٩-١٠] قال: «رأى جبريل ، له ستمائة جناح»[3].

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/٣٣٨ .

(٢) تقدم تخريجه. انظر: ص ٣٢٥ .

(٣) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق - باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء - حديث رقم (٣٢٣٢)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب في ذكر سدرة المنتهى - حديث رقم (١٧٤).

٢- الرعد

٣٧٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قال: «الرعد خلق من خلق الله جل وعز، سامع مطيع لله»[١].

التعليق:

الرعد خلق من خلق الله ﷻ قال تعالى: M : ; < = > ? @ A L [البقرة: ١٩]، وقال: M وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ L [الرعد: ١٣].

وقد وقع اختلاف بين أهل التفسير في المقصود بالرعد؛ فمنهم من قال: الرعد ملك يزجر السحاب، عن ابن عباس أنه قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم! أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: "ملك من الملائكة، موكل بالسحاب معه مخاريق من نار، يسوق بها السحاب حيث شاء الله" فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: "زجرة بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر" قالوا: صدقت...الخ[٢]"، والقول الثاني: أن الرعد ريح تختنق بين السحاب فتصوت ذلك الصوت؛ وحكي هذا القول عن ابن عباس ، والقول الثالث: أن الرعد صوت اصطكاك أجرام السحاب، قال الشوكاني: "وإلى هذا ذهب جمع من المفسرين تبعاً للفلاسفة وجهلة المتكلمين"[٣]، قال شيخ الإسلام: "وقد روي عن بعض السلف أقوال لا تخالف ذلك؛ كقول من يقول: أنه اصطكاك أجرام السحاب بسبب انضغاط الهواء فيه فإن هذا لا يناقض ذلك، فإن الرعد مصدر رعد يرعد رعداً، وكذلك الراعد يسمى رعدا كما يسمى العادل عدلا، والحركة توجب الصوت، والملائكة هي التي تحرك السحاب، وتنقله من مكان إلى مكان، وكل

(١) جامع البيان ٣٥٩/١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ- باب : ومن سورة الرعد - حديث رقم (٣١١٧) وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني.

(٣) فتح القدير ١٣٣/١ .

حركة في العالم العلوي والسفلي فهي عن الملائكة ،... فالرعد إذاً صوت يزجر السحاب ... والحوادث لها أسباب وحكم فكونها آية يخوف الله بها عباده هي من حكمة ذلك"[1].

وقد أورد ابن جرير القول الأول الذي هو: أن الرعد ملك يزجر السحاب، وأورد ضمن أقوال القائلين به قول قتادة: «الرعد خلق من خلق الله جل وعز، سامع مطيع لله» فكأن ابن جرير يرى أن مقصود قتادة من قوله: الرعد خلق من خلق الله أي ملك من الملائكة، ولعل هذا القول هو الصحيح بإذن الله فقد دل عليه الحديث المذكور عن ابن عباس ، وأكثر العلماء على القول به كما قال ابن عطية - : "وأكثر العلماء على أن الرعد ملك وذلك صوته يسبح ويزجر السحاب" [2]، وقال القرطبي - إشارة إلى القول الأول-: "وعلى هذا التفسير أكثر العلماء" [3].

والشاهد مما سبق هو بيان ما أثر عن قتادة - بأن الرعد ملك من الملائكة يسبح كما أخبر الله ﷻ.

٣- الجن

٣٧٣) قال عبد الرزاق: أرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M r s t u v L [الكهف: ٥٠] قال: «من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن»[4].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤/٢٦٣ .

(٢) أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م)، ج ١ ، ص ٨٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/٣٢٨ .

(٤) تفسير القرآن ٢/٣٣٦ رقم (١٦٨٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٥/٢٨٨ وفي نفس الجزء والصفحة أخرجه أيضاً من طريق سعيد عن قتادة نحوه، وأخرجه كذلك ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٣٦٦ رقم (١٢٨٤٢) معلقاً.

التعليق:

ما ذكره قتادة - في هذا الأثر هو أحد أقوال أهل التفسير في "إبليس"، هل هو من الملائكة أو الجن؟ وقد نقل ابن جرير اختلافهم في هذا فقال: "واختلف أهل التأويل في معنى قوله L v u t M فقال بعضهم: إنه كان من قبيلة يقال لهم الجن، وقال آخرون: بل كان من خزان الجنة فنسب إلى الجنة، وقال آخرون: بل قيل من الجن لأنه من الجن الذين استجنوا عن أعين بني آدم..."[1]. وقال أيضاً: "وقال آخرون: هم سبط من الملائكة قبيلة وكان اسم قبيلته الجن" وهذا القول هو الذي قال به قتادة، ومن قبله قال به ابن عباس حيث قال: "لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود، وكان على خزانة السماء الدنيا"[2].

ورد ابن جرير على الأقوال الأخرى التي استشكلت كون إبليس من الملائكة ومع ذلك يعصي الله، فرجَّح القول بأن إبليس من ملائكة خلقوا من نار، فقال - : وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها، وذلك أنه غيرُ مستنكر أن يكون الله جل ثناؤه خَلق أصنافَ ملائكته من أصنافٍ من خلقه شَتَّى؛ فخلق بعضًا من نُور، وبعضًا من نار، وبعضًا مما شاء من غير ذلك، وليس في ترك الله جل ثناؤه الخبر عَما خَلق منه ملائكته، وإخبارِه عما خلق منه إبليس - ما يوجب أن يكون إبليس خارجًا عن معناهم، إذْ كان جائزًا أن يكون خلق صِنفًا من ملائكته من نار كان منهم إبليس، وأن يكون أفرد إبليس بأنْ خَلقه من نار السموم دون سائر ملائكته، وكذلك غيرُ مخرجه أن يكون كان من الملائكة بأنْ كان له نسل وذرية لِمَا ركَّب فيه من الشهوة واللذة التي نُزعت من سائر الملائكة، لِمَا أراد الله به من المعصية، وأما خبرُ الله عن أنه "من الجن"، فغير مدفوع أن يسمى ما اجتنّ من الأشياء عن الأبصار كلها جنًّا - كما قد ذكرنا قبل في شعر الأعشى - فيكون إبليسُ والملائكةُ منهم لاجتنانهم عن أبصار بني آدم"[3].

---

(١) جامع البيان ١/٥٣٥-٥٤٢ ، ١٥/٢٨٦-٢٩٠ .

(٢) جامع البيان ١٥/٢٨٨ .

(٣) جامع البيان ١/٥٤٢ .

ثانيا: ما أثر عنه في بعض صفات الملائكة:

١ - الأجنحة

٢ - للملائكة قلوب - الفزع عند سماع الوحي - الملائكة لا تعلم الغيب

٣ - للملائكة كواهل

٤ - مشافهة الملائكة وتكلمهم

١ - الأجنحة

٣٧٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: w M x y z { | L [فاطر: ١] قال: «بعضهم له جناحان، وبعضهم ثلاثة، وبعضهم أربعة»(١).

التعليق:

الملائكة رسل الله جل وعلا إلى خلقه وهم الموكلون بتدبير الأمور، فيترلون من السماء ويصعدون إليها، وقد جعل الله ﷻ لهم أجنحة تساعدهم في القيام بمهامهم، قال تعالى: M o p q r s t u v w x y z { | } ~ ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ © ﴿١﴾ L [فاطر: ١]، ولقد بين قتادة - معنى هذه الآية فقال: "بعضهم له جناحان، وبعضهم ثلاثة، وبعضهم أربعة"، وقد وردت أدلة أخرى تدل على أن من الملائكة من له أكثر من ذلك العدد من الأجنحة، كما جاء عن ابن مسعود ﷺ في قوله تعالى: M F G H I J K L M N O P Q L [النجم: ٩-١٠] قال: «رأى جبريل له ستمائة جناح»(٢)، فدل هذا على أن الملائكة يتفاوتون في عدد الأجنحة تفاوتاً عظيماً، وعلى المؤمن أن يعتقد هذا وإن لم يتصور الكيفية، قال السهيلي - : "وقال العلماء في أجنحة الملائكة إنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة فقد ثبت أن لجبريل ستمائة جناح ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلا عن أكثر من ذلك وإذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها"(٣).

---

(١) جامع البيان ٣٢٦/١٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٧٠/١٠ رقم (١٧٩١٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٥٠/١٢ إلى عبد بن حميد.

(٢) تقدم تخريجه. انظر: ص ٣٣٤ .

(٣) انظر: فتح الباري ٥١٥/٧ .

٢- للملائكة قلوب - الفزع عند سماع الوحي - الملائكة لا تعلم الغيب

٣٧٥) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة والكلبي، في قوله تعالى: M * + , - . L [سبأ: ٢٣] قالا: «لما كانت الفترة بين عيسى ومحمد يتزل الوحي مثل صوت الحديد على الصخر فأفزع الملائكة ذلك، فقال: M * + , - . L حتى إذا جلي عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير» (١).

٣٧٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M * + , - . / مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ ...الآية L [سبأ: ٢٣] قال: «يوحي الله إلى جبريل فتفرَّق الملائكة أو تَفزَّع مخافة أن يكون شيء من أمر الساعة، فإذا جُلِي عن قلوبهم وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة M / مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ L [سبأ: ٢٣]» (٢).

التعليق:

قال تعالى: M * + , - . / مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ L [سبأ: ٢٣]، لقد بينت هذه الآية شدَّة وجل الملائكة وخشيتهم لربهم ﷻ سواء كان وجلهم وفزعهم لسماع كلام ربهم أو حذراً من قيام الساعة كما ذكر ذلك قتادة في هذه الآثار، وقد أثبت فيها - ما جاء في الآية من ذكر قلوب الملائكة وفزعها، ويؤخذ أيضاً من الآية ومن كلام قتادة - عدم علم الملائكة بالغيب، وهذا أمر ثابت في القرآن والسنة فلا يعلمون إلا ما علمهم ربهم جل وعلا، قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ : ; < = > ? L [البقرة: ٣٠]

(١) تفسير القرآن ٣/٦٤ رقم (٢٤٢٠)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢).
(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٣٦٣).

والأصل فيما ذكره قتادة - في هذا الأثر هو ما أخرجه البخاري - من حديث أبي هريرة ﷺ : أن نبي الله ﷺ قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء"(1).

٣- للملائكة كواهل

٣٧٧) قال أبو الشيخ: حدثنا عبدالله بن محمد بن زكريا، قال: حدثنا سلمة، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا معتمر أبو الحكم الباهلي، عن قتادة - تعالى قال: «من رأى خلقاً من خلقه فتوسم فيه حتى يترل الجبار تبارك وتعالى قال: M Z [\ ] ^ _ L [الحاقة: ١٧] تحمله الملائكة على كواهلها بأيد وعزة وحسن وجمال حتى إذا جلس على كرسيه نادى تعالى به: (لمن الملك اليوم)؟ [غافر: ١٦] فلم يجبه أحد فعطفها على نفسه تبارك وتعالى، فقال: Mلِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴿١٧﴾ L [غافر: ١٦-١٧] »(2).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة - باب M * + , - . / مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ L - حديث رقم (٤٨٠٠).

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢١٦).

التعليق:

هذا الأثر اشتمل على عدة مسائل ولكن الذي يتعلق بهذا المبحث هو ما جاء في وصف حملة العرش في قول قتادة - : "تحمله الملائكة على كواهلها بأيد وعزة وحسن وجمال" وقد أشار البيهقي إلى ورود الخبر بهذه الصفة قال - : "وهكذا كما جاءت به الأخبار من أن العرش على كواهل أربعة من الملائكة"[1]، إلا أن هذا الصفة للملائكة الكرام مما يحتاج في إثباتها إلى دليل من القرآن الكريم أو مما صح من السنة النبوية والله أعلم.

٤ - مشافهة الملائكة وتكلمهم

٣٧٨) قال عبد الرزاق: نا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M : ; < = L[آل عمران: ٣٩] قال: «شافهته الملائكة بذلك فقال: M \ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j L[آل عمران: ٤١] قال: إيماء، وكانت عقوبة عوقب بها، إذ سأل الآية بعد مشافهة الملائكة إياه بما بشرته به»[2].

٣٧٩) قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن أبي الربيع، أنبا عبد الرزاق، أنبا معمر ، عن قتادة Mإِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ L [آل عمران: ٤٥]قال: «شافهتها الملائكة بذلك»[3].

---

(١) شعب الإيمان ١/٣٢٦ .

(٢) تفسير القرآن ١/٣٩٢ رقم (٣٩٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره الشطر الأول منه في ٢/٦٤١ رقم (٣٤٥٢) والشطر الثاني في ٢/٦٤٥ رقم (٣٤٧٨)، وأورد السيوطي في الدر المنثور الشطر الأول منه:"M : ; < = L[آل عمران: ٣٩] قال: شافهته الملائكة بذلك" في ٣/٥٢٩ وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر، والشطر الثاني:" M \ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j L[آل عمران: ٤١] قال: إيماء ، وكانت عقوبة عوقب بها، إذ سأل الآية بعد مشافهة الملائكة إياه بما بشرته به" في ٣/٥٣٥ وعزاه إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/٦٥٠ رقم (٣٥١٢).

التعليق:

دلت نصوص القرآن والسنة على إثبات الكلام للملائكة كما جاء في قصة خلق آدم عليه السلام ، قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) + , - . / فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ : ; < = > ? L [البقرة: ٣٠]، وكلّمت الملائكة آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء، والملائكة يكلّم بعضهم بعضاً كما دل على ذلك قوله تعالى: M * + , - . / مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ : L [سبأ: ٢٣].

والمقصود بقول قتادة - : "شافهته الملائكة" أي: كلمته، قال أهل اللغة في المشافهة بالكلام: أي: "المواجهة من فيك إلى فيه"(١)، قال في النهاية: وفي حديث ابن مسعود "أقرأنيها رسول الله ﷺ فاه إلى في "أي: مشافهةً وتلقيناً(٢).

(١) انظر: كتاب العين ٤٠٢/٣ ، وتاج العروس من جواهر القاموس ٤١٦/٣٦ ، ومعجم مقاييس اللغة ٢٠٠/٣ .

(٢) النهاية في غريب الأثر ٩٤٧/٣ .

ثالثا: ما أثر عنه في بعض عبادات الملائكة:

١ - التسبيح

٢ - الصلاة - الاصطفاف أمام رب العالمين

٣ - السلام

٤ - الملائكة تبتلى

٥ - الملائكة تلعن الكفار وبعض أصحاب المعاصي

١ - التسبيح

٣٨٠) قال عبد الرزاق: نا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ L [البقرة: ٣٠] قال: «التسبيح: التسبيح، والتقديس: الصلاة»(١).

٣٨١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: M يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ L [الأنبياء: ٢٠] يقول: «إن الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون فيها»(٢).

التعليق:

من أظهر عبادات الملائكة تسبيح الله ﷻ وقد بيّن ﷻ ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) + , - . / فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ : ; < = > ? L [البقرة: ٣٠]، وقوله: M q r s t u w x y z { | } ~ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ L [الأنبياء: ١٩-٢٠]، وقوله: M ! " # $ % & ' ( ) + , - . / لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ L [الزمر: ٧٥].

قال ابن كثير في قوله تعالى: M يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ L : "فهم دائبون في العمل ليلا ونهارًا مطيعون قصدًا وعملا قادرون عليه"(٣)، وقال السعدي: "أي: مستغرقين في العبادة والتسبيح في جميع أوقاتهم، فليس في أوقاتهم وقت فارغ ولا

---

(١) تفسير القرآن ١/٢٦٥ رقم (٣٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ١/٥٠٥ ، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٧٩ رقم (٣٢٩ و ٣٣٢).

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٠١).

(٣) تفسير ابن كثير ٥/٣٣٦ .

خال منها، وهم على كثرتهم بهذه الصفة، وفي هذا من بيان عظمته وجلالة سلطانه وكمال علمه وحكمته ما يوجب أن لا يعبد إلا هو ولا تصرف العبادة لغيره"(١).

والتسبيح للملائكة كالنفس لبني آدم، فعن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: جلست إلى كعب الأحبار وأنا غلام فقلت له: أرأيت قول الله [للملائكة] M يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ L أما يشغلهم عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل؟. فقال: فمن هذا الغلام؟ فقالوا: من بني عبد المطلب، قال: فقبل رأسي، ثم قال لي: يا بني! إنه جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس، أليس تتكلم وأنت تتنفس وتمشي وأنت تتنفس؟(٢).

وقد أثبت قتادة - هذه العبادة للملائكة الكرام، وبيّن عظم عبوديتهم لله عَجَلَّ.

٢ - الصلاة - الاصطفاف أمام رب العالمين - التعبد لله عَجَلَّ

٣٨٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M ! " # L [الصافات: ١] قال: «قسم أقسم الله بخلق ثم خلق ثم خلق، والصافات: الملائكة صُفوفا في السماء»(٣).

٣٨٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M ` a b c L [الصافات: ١٦٥] قال: «صفوف في السماء M d e f g L [الصافات: ١٦٦]: أي المصلون، هذا قول الملائكة يثنون بمكانهم من العبادة»(٤).

(١) تفسير السعدي ١/٥٢٠ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٥/٣٣٧ .

(٣) جامع البيان ١٩/٤٩٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٣/٨٨ رقم (٢٥٠١) من طريق معمر عن قتادة مختصراً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٣٨٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) جامع البيان ١٩/٦٥٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه عبدالرزاق في

٣٨٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ L [الفجر: ٢٢] : «صفوف الملائكة»(١).

التعليق:

صلاة الملائكة على بعض عباد الله هي الدعاء ، قال البخاري: "قال أبو العالية: "صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء، وقال ابن عباس: يصلون: يبركون"(٢).

وقد ورد في السنة ما يبين أن للملائكة صلاة عند البيت المعمور، ففي حديث المعراج الطويل قال ﷺ : "فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم"(٣).

ومما تميزت به الملائكة في عبادتهم لربهم ﷻ : حسن الوقوف صفوفاً بين يديه، حتى إن النبي ﷺ أمر الصحابة الكرام والأمة من بعدهم بذلك، ففي حديث جابر بن سمرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ "فقلنا: يا رسول الله؛ وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: "يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف"(٤)، والوقوف بين يدي الله ﷻ بهذه الصورة يدل على تمام الخشوع والخشية له سبحانه.

تفسيره ٣/١٠٧ (٢٥٦٤) من طريق معمر عن قتادة قال في قوله تعالى: M ` a b c d e f g L [الصافات: ١٦٥-١٦٦] قال: «الملائكة»، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٤٩٤ إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(١) جامع البيان ٢٤/٣٨٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/٤٢٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة البقرة - باب قوله : M B C D E F G I J K L M N O P L .

(٣) تقدم تخريجه. انظر: ص ٣٢٤ .

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة - باب الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد،

وفي هذه الآثار الواردة عن قتادة - بيانٌ لصفة وقوف الملائكة في السماء، وكذلك ما جاء في معنى المسبّحون أي المصلون.

٣- السلام

٣٨٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M d e f g h i j k l m n o p L[الواقعة: ٩٠-٩١] قال: «سلام من عذاب الله، وسلمت عليه ملائكة الله»(١).

التعليق:

من العبادات الجليلة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية: "مشروعية السلام" وهو من حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وإفشاؤه يدل على حسن الخلق وسلامة الصدر، وقد تميزت الملائكة الطاهرة المكرَّمة بهذه العبادة العظيمة؛ فهي تسلّم على بني آدم في الدنيا والآخرة، ومما ورد في ذلك ما جاء في حديث مطرف قال: قال لي عمران بن حصين أحدثك حديثا عسى الله أن ينفعك به: إن رسول الله ﷺ "جمع بين حجة وعمرة، ثم لم ينه عنه حتى مات، و لم يترل فيه قرآن يحرمه، وقد كان يسلم علي حتى اكتويت ، فتركت، ثم تركت الكي فعاد"(٢)، وكذلك تسليم الملائكة على المؤمنين عند الاحتضار، قال تعالى: M ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ L [النحل: ٣٢] وتسليمهم على أهل الجنة، قال تعالى: M وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ

رفعها عند السلام، وإتمام الصفوف الأُول والتراصّ فيها والأمر بالاجتماع - حديث رقم (٤٣٠).

(١) جامع البيان ٣٨٠/٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤٤/١٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الحج - باب جواز التمتع - حديث رقم (١٢٢٦).

رَبَّهُمْ إِلَى © زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ ´ µ ¶
¸ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ L [الزمر: ٧٣] ، وقد أثبت قتادة - سلام الملائكة على المؤمنين في الآخرة كما في الأثر.

٤ - ابتلاء الله للملائكة:

٣٨٦) قال ابن أبي حاتم: أخبرنا محمد بن عبيد الله بن المنادي فيما كتب إليّ، ثنا يونس بن محمد المؤدب، ثنا شيبان، عن قتادة قوله: Mوَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ´ µ ¶ ¸ L [الأعراف: ١٩] قال: «ابتلى الله آدم كما ابتلى الملائكة قبله، وكل شيء خلق مبتلى، ولم يدع الله شيئاً من خلقه إلا ابتلاه بالطاعة؛ فما زال البلاء بآدم حتى وقع فيما نهي عنه»(١).

التعليق:

كلام قتادة في هذا الأثر يدل على عمق فهمه - للحكمة من الخلق وكذلك الحكمة من الأمر والنهي، فقد أثبت في الأثر ابتلاء الله ﷻ لآدم عليه السلام وهو أبو البشر، وأبناؤه على هذا الابتلاء من بعده كما قال تعالى: M + , - . / أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا L [الملك: ٢]، وقال تعالى: M j k l m n p q r s t u v w x y z | } L [المائدة: ٤٨]، وقد وقع من ابتلاء الله ﷻ للرسل وأتباعهم الشيء الكثير، قال تعالى: M أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ © يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ ´ µ ¶ ¸ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ L [البقرة: ٢١٤]، وفيما ذكر قتادة

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٤٤٩/٥ رقم (٨٢٨٦)، وصحّح إسناده عطية الفقيه في أسانيد نسخ التفسير ص ٤٦٧ ، وأخرج ابن جرير في تفسيره ٥٥١/١ من طريق سعيد عن قتادة نحوه.

- عموم الابتلاء للخلق ومنهم الملائكة؛ فقد ابتلاهم الله ﷻ بأوامر ونواهي ومن ذلك أمرهم بالسجود لآدم ؑ ، فسجد الملائكة المطهرون الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وفي المقابل خسر إبليس اللعين الذي غلبه كبره وحسده على طاعة ربه ﷻ ، قال تعالى: M وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ´ µ ¶ ¸ صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ L [الحجر: ٢٨-٣١].

٥- الملائكة تلعن الكفار وبعض أصحاب المعاصي

٣٨٧) قال عبد الرزاق: نا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ L [البقرة: ١٥٩] قال: «الملائكة»[1].

التعليق:

من عظم طاعة الملائكة لله ﷻ ومحبتها له سبحانه أنها لا تحب إلا ما يحبه ولا تبغض إلا ما يبغضه، ومن ذلك الكفر وأهله الذين قال الله فيهم: M J K L M N O Q R S T V W X Y L [الزمر: ٧]، وكذلك البدع والمعاصي التي تصدر ممن خالف شرع الله فإن الملائكة تلعن أصحابها، ومما ورد في ذلك قوله تعالى: M µ ¶ ¸ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ L [البقرة: ١٦١]، وعن أنس ؓ ، عن النبي ﷺ قال: "المدينة حرم من كذا إلى كذا ، لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث، من أحدث حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"[2]، وعن أبي هريرة ؓ قال: قال أبو القاسم ﷺ : "من أشار إلى أخيه

---

(١) تفسير القرآن ١/٣٠٠ رقم (١٥٢)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الحج - فضائل المدينة - باب حرم المدينة - حديث رقم (١٨٦٧)، وأخرجه مسلم: كتاب الحج - باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة. وبيان تحريمها

بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه"[1]، فهذه الأدلة وغيرها فيها بيان لعن الملائكة لمن يستحق اللعن.

وتحريم صيدها وشجرها. وبيان حدود حرمها - حديث رقم (١٣٦٦).

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب - باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم - حديث رقم (٢٦١٦).

رابعاً: ما أثر عنه في بعض أعمال الملائكة:

١ - النزول بالوحي

٢ - تدبير الأمور بإذن الله

٣ - خزانة النار

٤ - حفظ العباد

٥ - قبض الأرواح

١ - النزول بالوحي والرحمة

٣٨٨) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M c d e f g L [النحل: ٢] قال: «بالوحي والرحمة»(١).

٣٨٩) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M c d e f g L [الشعراء: ١٩٢] قال : «هذا القرآن نزل به الروح الأمين»(٢).

٣٩٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M + , - . / L [النجم: ٣] : أي: «ما ينطق عن هواه M إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ L [النجم: ٤] قال: يوحي الله تبارك وتعالى إلى جبريل، ويوحي جبريل إلى محمد ﷺ »(٣).

٣٩١) قال عبدالرزاق: عن قتادة، في قوله تعالى: M a b c L [المرسلات: ١] قال: «الريح M d e f L [المرسلات: ٢] قال: الريح، M g h i L [المرسلات: ٣] قال: الريح، M m n o L [المرسلات: ٥] قال: «الملائكة تلقي القرآن»(٤).

---

(١) تفسير القرآن ٢/٢٦٤ رقم (١٤٦٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٤/١٦٣ من طريق معمر به.

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٧٤).

(٣) تقدم تخريجه. انظر: الأثر رقم (٣٦٥).

(٤) تفسير القرآن ٣/٣٧٩ رقم (٣٤٤٢)، وفيه انقطاع بين عبدالرزاق وقتادة، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٣/٥٨٩ من طريق معمر به، ومن طريق سعيد عن قتادة قال: «هي الملائكة تلقي الذكر على الرسل وتبلغه».

التعليق:

المشهور عند أهل الإسلام أن الموكّل بالوحي هو جبريل عليه السلام وقد دلّ على هذا قوله تعالى: ZM [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l L [البقرة: ٩٧]، وقوله: M c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v L [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وفي نزول غير جبريل عليه السلام بالوحي قولان لأهل العلم، وقوله ﷺ لحذيفة رضي الله عنه: "...أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل؟"، قال: قلت: بلى، قال: "فهو ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة"(١) يدل على نزول غير جبريل بالوحي، وقد ذهب قتادة - إلى هذا القول فقال في تفسير قوله تعالى: M m n o L: "الملائكة تلقي القرآن"، قال ابن كثير - : "وقوله: M j k l m n o p q r s L [المرسلات: ٤-٦] يعني: الملائكة قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي، والثوري. ولا خلاف هاهنا؛ فإنها تنزل بأمر الله على الرسل، تفرق بين الحق والباطل والهدى والغي والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحيا فيه إعذار إلى الخلق وإنذار لهم

(١) أخرجه أحمد في المسند: رقم (٢٣٣٢٩)، والترمذي في سننه: كتاب المناقب عن رسول ﷺ - حديث رقم (٣٧٨١) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث إسرائيل، والنسائي في السنن الكبرى: كتاب المناقب - مناقب أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار - "حذيفة بن اليمان رضي الله عنه" - حديث رقم (٨٢٤٠)، وابن حبان في صحيحه: كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة - ذكر البيان بأن الملك بشّر المصطفى ﷺ بهذا - حديث رقم (٦٩٦٠)، وصححه الألباني.

عقاب الله إن خالفوا أمره"(١)، وقال البغوي: M m n o L يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء، نظيرها: "يلقي الروح من أمره"(٢).

٢- تدبير الأمور بإذن الله

٣٩٢) قال عبدالرزاق: عن قتادة، في قوله تعالى: M ~ أَمۡرٗا ٥ L [النازعات: ٥] قال: « الملائكة »(٣).

التعليق:

الله ﷻ هو المدبر لأمور خلقه فلا يخرج شيء عن تقديره ومشيئته وحكمه الكوني، قال تعالى: M D E F G H I J K L M N O P Q S T V W X Y Z [\ L [يونس: ٣]، وقال: M قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ ´ µ ¶ ¸ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ L [يونس: ٣١]، وقال: M @ A B C D E F G H I J K L M O P Q R S T U V X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l L [السجدة: ٤-٥].

ولكن الله I - وهو أعلم - من باب إظهار عظمته وربط الأمور بأسبابها الكونية قد أوكل تدبير الأمور بمباشرتها إلى ملائكته، فما من حركة في السموات والأرض إلا وهي ناشئة عن الملائكة، ولهذا كان الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٩٧/٨ .

(٢) تفسير البغوي ٣٠٤/٨ .

(٣) تفسير القرآن ٣٨٧/٣ رقم (٣٤٧٦)، وفيه انقطاع بين عبدالرزاق وقتادة، وأخرج ابن جرير في تفسيره ٦٥/٢٤ من طريق سعيد عن قتادة مثله.

أركان الإيمان، قال ابن القيم - : "فالدنيا وما فيها والجنة والنار والموت وأحكام البرزخ قد وكل الله بذلك كله ملائكة يدبرون ما شاء الله من ذلك، ولهذا كان من الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الذي لا يتم الإيمان إلا به"[1]، وقال السعدي - : M ~ أَمْرًا ﴿٥﴾ L "الملائكة الذين وكلهم الله أن يدبروا كثيرا من أمور العالم العلوي والسفلي؛ من الأمطار، والنبات، والأشجار، والرياح، والبحار، والأجنة، والحيوانات، والجنة، والنار وغير ذلك"[2].

" فتدبير الأمور إلى الله ﷻ ولكن لما كانت الملائكة هي المباشرة لفعله سميت به، كما قال ﷻ: M h i j k l L [الشعراء: ١٩٣] وكما قال تعالى: M _ ` a b L [البقرة: ٩٧] يعني جبريل نزله على قلب محمد ﷺ ، والله ﷻ هو الذي أنزل"[3].

وقد أثبت قتادة - بأن المدبرات هي الملائكة وهذا هو الحق كما سبق، وهناك من قال بأن المدبرات هي النجوم وهذا قولٌ معلومٌ بطلانه، يقول ابن القيم: "وأما من قال: إنها - أي المدبرات - النجوم فليس هذا من قول أهل الإسلام، و لم يجعل الله النجوم تدبر شيئاً من الخلق بل هي مدبرة ومسخرة كما قال تعالى: فالله سبحانه هو المدبر بملائكته لأمر العالم العلوي والسفلي"[4].

---

(١) يسري السيد محمد؛ بدائع التفسير الجامع لما فسّره الإمام ابن القيم الجوزية، الطبعة الثانية، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٣١هـ)، ج ٣ ، ص ٢٥١ .

(٢) تفسير السعدي ص ٩٥٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٩٤ بتصرف.

(٤) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي؛ التبيان في أقسام القرآن، (دار الفكر)، ص ٨٣ .

٣- خزانة النار

٣٩٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ L [العلق: ١٨] قال: «الملائكة»(١).

٣٩٤) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى : Mٱلزَّبَانِيَةَ L [العلق: ١٨] قال: «الزبانية في كلام العرب الشرط»(٢).

التعليق:

لقد وكّل الله ﷻ بالجنة والنار خزنة يقومون عليهما فخزنة الجنة يدخلون على أهلها فيسلمون عليهم ويهنؤونهم، وخزنة النار يتلقون الكافرين ويبشرونهم بالنار وهم الذين يوقدون عليها ويعذبون أهلها، وقد ذكرهم الله ﷻ وسماهم الزبانية، قال تعالى: M فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ L [العلق: ١٧-١٨]، ومن الزبانية تسعة عشر ملكاً هم أعظمهم، قال تعالى: M I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` .... L [المدثر: ٢٧-٣١]

ومعنى الزبانية كما ذكر قتادة - أي الشرط، وقد نقل أهل اللغة هذا المعنى عن قتادة - (٣)، وسبب تسمية الزبانية بهذا الاسم قيل: لأنهم يدفعون الكفار إلى النار، وقيل: لأنهم يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم"(٤).

---

(١) جامع البيان ٢٤/٥٤٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) تفسير القرآن ٣/٤٤٤ رقم (٣٦٥٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢).

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٤/٣٦٩ ، ولسان العرب ١٣/١٩٤ .

(٤) انظر: تفسير السمرقندي "بحر العلوم" ٣/٥٧٥ .

٤ - حفظ العباد

٣٩٥) قال ابن الضريس: أخبرنا مسلم، قال: ثنا هشام، ثنا قتادة، قال: «من قرأ آية الكرسي إذا آوى إلى فراشه، وكل به ملكان(١) يحفظانه حتى يصبح»(٢).

٣٩٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M وَهُوَ : ; < > ? @ A B C D E F G H I J K L [الأنعام: ٦١] يقول: «حفظة يا ابن آدم، يحفظون عليك عملك ورزقك وأجلك إذا توفَّيت ذلك قُبِضْتَ إلى ربك»(٣).

٣٩٧) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M w x y z L [الرعد: ١١] قال: «ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار يحفظونه من أمر الله ، أي: بأمر الله»(٤).

٣٩٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M p q r s t u v L [الرعد: ١١] : «هذه ملائكة الليل يتعاقبون فيكم بالليل والنهار»(١).

---

(١) قال محقق فضائل القرآن معلقا على هذا الموضع في الحاشية: في الأصل "ملكين".

(٢) فضائل القرآن ص ٩٢ رقم (١٩٠).

(٣) جامع البيان ٢٨٩/٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠٦/٤ رقم (٧٣٨٤) من طريق يزيد به، وأبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢٩٢/١٠ رقم (١٤٥٠) من طريق سعيد به، وأبو الشيخ في العظمة ١٠٠١/٣ رقم (٥٢١) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٩/٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وأخرج ابن جرير أيضا في تفسيره ٢٩٢/٢٤ عن قتادة نحو هذا المتن عند تفسير قوله تعالى: M , - . / عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ L [الطارق: ٤]، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٩/١٥ إلى عبدالرزاق عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) تفسير القرآن ٢٣٠/٢ رقم (١٣٥٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٥٩/١٣ من طريق معمر به نحوه.

٣٩٩) قال عبد الرزاق: أرنا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M = < ? @ L قال: «دلوكها حين ترفع عن بطن السماء، M B C L صلاة المغرب، M D E L صلاة الفجر، قال قتادة: وأما قوله تعالى: M J K L [الإسراء: ٧٨] فيقول: «ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة»(٢).

٤٠٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا L [الجن: ٢٧]: «يعني رصداً من الملائكة»(٣).

٤٠١) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M , - . / عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴿٤﴾ L [الطارق: ٤] قال: «قرينه يحفظ عمله»(٤).

التعليق:

من فضل الله ﻷ ورحمته بخلقه أن وكّل بهم ملائكة تحفظهم بإذنه مما يضرهم حتى إذا جاء أمر الله تخلوا عنهم كما في تفسير قوله تعالى: Mp q r s t u v w x y z L [الرعد: ١١] قال ابن عباس: "فإذا جاء القدر خَلَّوا عنه"(٥)، وقال مجاهد: ما من عبدٍ إلا له ملك موكَّل يحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال: وراءَك! إلا شيئًا يأذن الله فيه فيصيبه"(٦).

(١) جامع البيان ٤٥٩/١٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).
(٢) تفسير القرآن ٣٠٨/٢ رقم (١٦٠٢)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرج ابن جرير في تفسيره ٣٥/١٥ شطره الأخير من طريق معمر به.
(٣) جامع البيان ٣٥٤/٢٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤/١٥ إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.
(٤) تفسير القرآن ٤١٧/٣ رقم (٣٥٧٣)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢).
(٥) جامع البيان ٣٧١/١٦ .
(٦) جامع البيان ٣٧٣/١٦ .

والملائكة الحفظة غير ملازمين للإنسان كالكتبة بل يتعاقبون عليه ملائكة بالليل وملائكة بالنهار كما في الآية السابقة، وكذلك قوله تعالى: M وَهُوَ : ; > :
> ? @ A B C D E F G H I J K L [الأنعام: ٦١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون"(١)، قال القاضي عياض - : الأظهر وقول الأكثرين أن هؤلاء الملائكة هم الحفظة الكتاب، قال: وقيل يحتمل أن يكونوا من جملة الملائكة بجملة الناس غير الحفظة"(٢).

ومن أسباب حفظ الله عز وجل للمسلم ما شرعه له سبحانه وتعالى من أذكار، ومن تلك الأذكار قراءة آية "الكرس" عند النوم، كما ذكر ذلك قتادة بقوله: "من قرأ آية الكرسي إذا آوى إلى فراشه وكل به ملكان يحفظانه حتى يصبح"، ويدل على هذا من السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عندما قال له الشيطان "دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، ...- فحكى أبو هريرة رضي الله عنه ذلك للنبي ﷺ فقال له: "أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة"، قال: لا. قال: "ذاك شيطان"(٣).

وكل إنسان معه قرينان؛ قرين من الملائكة يأمره بالخير وينهاه عن الشر، وقرين من الشياطين يأمره بعكس ذلك، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : "ما

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل صلاة العصر - حديث رقم (٥٥٥)، وأخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما - حديث رقم (٦٣٢).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ١٣٣/٥ .

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الوكالة - باب إذا وكل رجلا - حديث رقم (٢٣١١).

منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن" قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: "وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير"[1].

٥- قبض الأرواح

٤٠٢) قال عبد الرزاق: نا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ L [البقرة: ٢١٠] قال: «يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وتأتيهم الملائكة عند الموت»[2].

٤٠٣) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M F G H I J L [الأنعام: ٦١] قال: «تلي قبضتها الرسل، ثم ترفعها إليه، يقول: إلى ملك الموت»[3].

٤٠٤) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M # $ % & L قال: «تأتيهم الملائكة بالموت M ' ( ) L يوم القيامة M* + , - . / L [الأنعام: ١٥٨] قال: آية موجبة طلوع الشمس من مغربها أو ما شاء الله»[4].

٤٠٥) قال ابن جرير: حثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: M قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ L [السجدة: ١١] قال: «ملك الموت يتوفاكم، ومعه أعوان من الملائكة»[1].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب تحريش الشيطان، وبعث سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرينا - حديث رقم (٢٨١٤).

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٨٠).

(٣) تفسير القرآن ٢/٥١ رقم (٨٠٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٩/٢٩١ ، وأبو الشيخ في العظمة ٣/٩٢٠ رقم (٤٥٣).

(٤) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٨١).

٤٠٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M _
` L [الواقعة: ٨٩] قال: «الروح: الرحمة، والرَّيحان: يتلقى به عند الموت»[٢].

التعليق:

كما أن الملائكة تتولّى بأمر الله نفخ الروح في الجنين الذي في بطن أمه[٣]، فكذلك هي التي تتولّى قبض روحه إذا جاء أجله، قال تعالى: M وَهُوَ : ; < > ? @ A B C D E F G H I J K L [الأنعام: ٦١]، وقال عز من قائل: M ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ L [السجدة: ١١] وقد أورد على ذلك قوله تعالى: M ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ : ; < = > ? @ B C D E F G H I J K M N O P Q R S L [الزمر: ٤٢]، فأُسند توفي الأنفس مرة إلى الله ومرة إلى ملك الموت ومرة إلى الملائكة الذين هم أعوان ملك الموت، ولا تعارض في ذلك، وقد بيّن ابن أبي العز وجه ذلك فقال: "لأن ملك الموت يتولى قبضها واستخراجها، ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ويتولونها بعده، كل ذلك

---

(١) جامع البيان ٦٠٤/١٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) جامع البيان ٣٧٨/٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم ٣٣٣٥/١٠ رقم (١٨٨١٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤٢/١٤ إلى عبد بن حميد.

(٣) يدل على ذلك حديث ابن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد...الخ". أخرجه البخاري: كتاب القدر - باب في القدر - حديث رقم (٦٥٩٤)، وأخرجه مسلم: كتاب القدر - باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته - حديث رقم (٢٦٤٣).

بإذن الله وقضائه وقدره وحكمه وأمره، فصحت إضافة التوفي إلى كل بحسبه"[1]، وقد دل على كلام ابن أبي العز حديث البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان"، قال: "فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض"...الخ"[2].

وقول قتادة - : "تلي قبضتها الرسل ثم ترفعها إليه، أي: إلى ملك الموت"، مخالف لما جاء في حديث البراء من أن الذي يقبض الروح هو ملك الموت ثم تأخذها الملائكة منه، وقد أثبت هذا في أثر آخر حيث قال في قوله تعالى: M قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ L[السجدة: ١١] قال: «ملك الموت يتوفاكم ومعه أعوان من الملائكة».



(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢/٥٩٥ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٨٥٣٤)، وابن أبي شيبة في المصنف: كتاب الجنائز - في نفس المؤمن كيف تخرج ونفس الكافر ؟ - حديث رقم (١١٨٤٧)، وصححه الألباني. انظر: مشكاة المصابيح رقم (١٦٣٠) - [١٥]، وصحيح الجامع الصغير وزيادته رقم (١٦٧٦).

المبحث الثاني:
الآثار الواردة عنه في الإيمان بالكتب.

أولا: ما أثر عنه في القرآن الكريم.

ثانيا: ما أثر عنه في بقية الكتب المنزلة.

تمهيد:

الإيمان بكتب الله تعالى التي أنزلها على رسله ركن عظيم من أركان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين لا يتحقق الإيمان إلا به، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، قال تعالى: M قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R L [البقرة: ١٣٦]، وقال أيضاً: M K L M N O P Q R S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` a b c d e f g h L [النساء: ١٣٦]، ودل على ذلك من السنة حديث جبريل عليه السلام المتقدم وقد جاء فيه قوله للنبي ﷺ : فأخبرني عن الإيمان، فقال رسول الله ﷺ : 8أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره7(١).

ومعنى الإيمان بالكتب: الاعتقاد الجازم بأن جميع هذه الكتب مترلة من عند الله، وأنها كلام الله تكلم بها حقيقة كما شاء، قال تعالى: M + , - . / لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى : ; < L [آل عمران: ١-٤].

والإيمان بالكتب يشتمل على جوانب عدة دلت النصوص عليها منها: التصديق الجازم بأنها كلها مترلة من الله عز وجل ، وأنها كلام الله تعالى لا كلام غيره، وأن كلها دعت إلى عبادة الله وحده، وأنها يصدق بعضها بعضاً فلا تناقض بينها، والإيمان بما سمى الله منها وهي: "التوراة" الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام ، و"الإنجيل" الكتاب الذي أنزل على عيسى عليه السلام ، و"الزبور" الكتاب الذي أنزل على داوود عليه السلام ، وكذلك الإيمان بصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، والإيمان بالقرآن العظيم الكتاب الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ .

ومن الجوانب أيضاً: الإيمان بما أخبر به الله عز وجل عن تحريف أهل الكتاب للكتب المترلة عليهم كالتوراة والإنجيل، والاعتقاد الجازم بنسخ جميع الكتب والصحف التي

(١) تقدم تخريجه. انظر: ص ٦٣ .

أنزلت قبل القرآن، قال تعالى: M ¸ µ ¶ ´ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ L [البقرة: ٧٥]، وقال أيضاً: M O P Q R S T U V W X Y Z L [المائدة: ٤٨]، ومن الإيمان بالكتب: الإيمان بحفظ الله ﷻ للقرآن الكريم فلا يدخله التحريف ولا التبديل بل حفظ الله لفظه ومعناه، قال تعالى: M g h i j k l m n L [الحجر: ٩][(1)].

وفيما يأتي من آثار عن قتادة - بيانٌ لبعض المسائل المتعلقة بالكتب السماوية، وقد قسّمت هذا المبحث إلى فقرتين الأولى فيما يتعلق بالإيمان بالقرآن الكريم والثانية فيما يتعلق بالإيمان ببقية الكتب المنزلة قبل القرآن.



أولا: ما أثر عنه في القرآن الكريم:

(١) انظر: معارج القبول ٢/٨٢٦ ، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ص ١٢٧-١٤٩ .

١ - الحكمة من إنزال القرآن وبقية الكتب التي قبله.

٢ - القرآن آخر الكتب المنزلة وهو مصدق للكتب التي أنزلت قبله.

٣ - القرآن كتاب الله الذي أنزل على محمد ﷺ.

٤ - القرآن كلام الله.

٥ - كيفية نزول القرآن.

٦ - حفظ الله ﷻ للقرآن.

٧ - فضائل القرآن.

١ - الحكمة من إنزال القرآن وبقية الكتب التي قبله:

٤٠٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M M N O P L [الرعد: ٢] : «وأن الله تبارك وتعالى إنما أنزل كتابه وأرسل رسله لِيُؤمَن بوعده ولِيُستيقَن بلقائه»(١).

٤٠٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M M N O P Q L [طه: ٣] : «وإن الله أنزل كتابه وبعث رسله رحمةً رحم الله بها العباد ليتذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر له أنزل الله فيه حلاله وحرامه، فقال: M R S T U V W X L [طه: ٤] »(٢).

التعليق:

تحدث قتادة - في هذين الأثرين عن حكمة الله ﷻ من إرسال الرسل وإنزال الكتب بما فيها القرآن، فنبه - على أن الله ﷻ إنما أنزل كتبه وأرسل رسله ليتحقق الإيمان به وبوعده وليستيقن بلقائه، وأن إنزال الكتب وإرسال الرسل رحمة من عنده سبحانه لكي يتذكر من يتذكر وينتفع من ينتفع بما يسمع من كتاب الله ﷻ.

ومن أعظم الحكم من إنزال الكتب: تحقيق العبودية لله وحده بإفراده بالعبادة، كما قال تعالى: M C D E F G H I L [الذاريات: ٥٦]، فلتحقيق هذه العبودية أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، يقول شيخ الإسلام: "بل المقصود بخلق الخلق وإنزال الكتب وإرسال الرسل: أن يكون الدين كله لله وهو دعوة الخلائق إلى

(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٤٥).

(٢) جامع البيان ٩/١٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤١٦/٧ رقم (١٤٢٥٠) بنحوه وزاد في أوله: عن قتادة: M G H I J K L L [طه: ٢] : «يا رجل: M G H I J K L L لا والله مَا جعله الله شقيا، ولكن جعله الله رحمة ونورا ودليلا إِلَى الْجَنَّة...».

خالقهم"(1)، ومن آيات القرآن الكريم التي ذكرت بعض الحكم من إنزال الكتب ما ذكره الله ﷻ بقوله: M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` L [البقرة: ٢١٣]، وقوله: M µ ¶ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ L [القصص: ٤٣]، وقوله: M ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x L [الأنعام: ١٥٤-١٥٥]، وقوله في الحكمة من إنزال القرآن: M E F G H I J K L M N O P Q L [طه: ١-٣]، وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : 8ليس أحد أحب إليه المدح من الله ﷻ ؛ من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله؛ من أجل ذلك حرم الفواحش، وليس أحد أحب إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل7(2).

٢- القرآن آخر الكتب المنزلة وهو مصدق للكتب التي أنزلت قبله ومهيمن عليها:

٤٠٩) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد، ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ : ; < = > L [البقرة: ٤] : «فآمنوا بالفرقان وبالكتب التي قد خلت قبله من التوراة والزبور والإنجيل»(3).

(١) مجموع الفتاوى ٢/٤٦٤ .

(٢) أخرجه مسلم: كتاب التوبة - باب غيرة الله تعالى، وتحريم الفواحش - حديث رقم (٢٧٦٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٣٨ رقم (٨١)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩)، وأورد السيوطي في الدر المنثور ١/١٤٨ نحوه وعزاه إلى عبد بن حميد.

٤١٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: M + , - . / لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ L [آل عمران: ٣] يقول: «القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتب التي قد خلت قبله»(١).

٤١١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: M وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ L [يوسف: ١١١] : «والفرقان تصديق الكتب التي قبله ، ويشهد عليها»(٢).

٤١٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M ! ' # $ % L [الرعد: ١] : «الكُتُب التي كانت قبل القرآن»(٣).

التعليق:

بيّن قتادة - في هذه الآثار بأن القرآن الكريم آخر الكتب المنزلة وهو مصدق لها ومهيمن عليها، فالقرآن الكريم آخر الكتب السماوية وخاتمها وأشملها وهو الحاكم عليها؛ فهو مشتمل على ما اشتملت عليه الكتب السماوية السابقة، وفيه نبأ السابقين واللاحقين، وفيه الحكم والحكمة والأحكام، وهو الحاكم المهيمن على الكتب السابقة؛ فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما حكم عليه بالرد فهو مردود قد دخله التحريف

(١) جامع البيان ١٨١/٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأشار إليه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٧/٢ رقم (٣١٣٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤٤/٣ إلى عبد بن حميد.

(٢) جامع البيان ٤٠٣/١٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٣) جامع البيان ٤٠٦/١٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن جرير أيضاً عند تفسير قوله تعالى: M # $ % L [يونس: ١] في ١٠٥/١٢ من طريق عمرو عن سعيد عن قتادة مثله، وأخرجه ابن أبي حاتم أيضا عند تفسير قوله تعالى: M # $ % L [يونس: ١] في ١٩٢٢/٦ رقم (١٠١٩١) من طريق سعيد عن قتادة بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦٠/٨ إلى أبي الشيخ.

والتبديل(١)، قال ابن القيم - : "وقد أنزل الله ﷻ مئة كتاب وأربعة كتب؛ جمع معانيها في أربعة وهي: التوراة والإنجيل والقرآن والزبور؛ معانيها في القرآن؛ وجمع معانيه في المفصل؛ وجمع معانيه في الفاتحة؛ وجمع معانيها في Mإِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝ L [الفاتحة: ٥]"(٢).

ومما يدل على تصديق القرآن للكتب التي قبله وهيمنته عليها قوله تعالى: M O P Q R S T U V W X Y Z L [المائدة: ٤٨] ، قال ابن كثير - بعد أن نقل أقوال المفسرين في معنى قوله: M Y Z L : "وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى؛ فإن اسم "المهيمن" يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها: أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: M g h i j k l m n L [الحجر: ٩]"(٣) ، وقال السعدي - : "يقول تعالى: M O P Q L الذي هو القرآن العظيم أفضل الكتب وأجلها، M R L أي: إنزالا بالحق ومشتملا على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه، M S T U V W X L لأنه شهد لها ووافقها، وطابقت أخباره أخبارها وشرائعه الكبار شرائعها، وأخبرت به فصار وجوده مصداقا لخبرها، M Y Z L أي: مشتملا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة

(١) تفسير السعدي ص ٢٣٥ بتصرف.
(٢) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي "ابن قيم الجوزية"؛ الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي ﷺ من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي، (بيروت: دار ابن حزم - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، ص ٢٠٤ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/١٢٨ .

وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية؛ فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به وحث عليه وأكثر من الطرق الموصلة إليه"(١).

٣- القرآن كتاب الله الذي أنزل على محمد ﷺ :

٤١٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة قوله: M ! " # $ % & ' ( ) L [البقرة: ٨٩] : «وهو القرآن الذي أنزل على محمد، M ' ( ) L أي: للتوراة والإنجيل»(٢).

٤١٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: M ; < : L [آل عمران: ٤] : «هو القرآن، أنزله على محمد، وفرَّق به بين الحقِّ والباطل؛ فأحلّ فيه حلاله، وحرّم فيه حرامه، وشرَّع فيه شرائعه، وحدّ فيه حدوده، وفرض فيه فرائضَه، وبين فيه بيانه، وأمر بطاعته، ونهى عن معصيته»(٣).

٤١٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M p q r s L [الأنعام: ١٥٥] : «وهو القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ M t L يقول: فاتبعوا حلاله وحرّموا حرامه»(٤).

(١) تفسير السعدي ص ٢٣٥ .

(٢) جامع البيان ٢/٢٣٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٧١ رقم (٩٠١) من طريق شيبان عن قتادة بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٤٦٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) جامع البيان ٥/١٨٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٨٨ رقم (٣١٤٦) من طريق شيبان عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٤٤٤ إلى عبد بن حميد.

(٤) جامع البيان ١٠/٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٤٢٥،١٤٢٤ رقم (٨١٢٣،٨١٢٢) من طريق يزيد به إلى قوله فاتبعوا حلاله، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٦٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

٤١٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M ' ( ) * + , L [الرعد: ١] : أي: «هذا القرآن»(١).

٤١٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M y z { | } ~ L [سبأ: ٤٤] : «ما أنزل الله على العرب كتابًا قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبيًّا قبل محمد ﷺ»(٢).

التعليق:

قد سبق في التعليق السابق بأن الله ﷻ أنزل كتباً كثيرة على أنبيائه ورسله - ذكر ابن القيم - أنها تصل إلى مئة وأربعة كتاب -، وكان آخر هذه الكتب هو القرآن الذي أنزله الله ﷻ على نبينا محمد ﷺ ، وهذا ما بيّنه قتادة - في هذه الآثار، والقرآن الكريم المحكم يدل على هذا الأمر، قال تعالى: M ! " # $ % ' ( ) * + , . / هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ : ; < = ? @ A C D E F G H I J K L L [الأنعام: ١٩]، وقال أيضاً: M نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ © ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣ L [يوسف: ٣]، وورد في السنة قوله ﷺ : 8ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ،...7(٣) ، قال ابن جرير في قوله تعالى: M قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا L [البقرة:

---

(١) جامع البيان ٤٠٧/١٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢١٥/٧ رقم (١٢٠٨٥) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦٠/٨ إلى أبي الشيخ.

(٢) جامع البيان ٣٠٢/١٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/١٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٧١٧٤)، وأبو داود في سننه: كتاب السنة - باب في لزوم السنة - حديث رقم (٤٦٠٤)، وصححه الألباني.

١٣٦] : "يقول: وصدّقنا أيضا بالكتاب الذي أنزل الله إلى نبيّنا محمد ﷺ ، فأضاف الخطاب بالتنزيل إليهم إذ كانوا متّبعيه ومأمورين منهيين به، فكان - وإنْ كان تنزيلا إلى رسول الله ﷺ - بمعنى التنزيل إليهم؛ للذي لهم فيه من المعاني التي وصفتُ"[1]، وقال الطحاوي: "وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية"[2].

٤ - القرآن كلام الله:

٤١٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زُريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M V W X Y Z [\ ] L [البقرة: ٢٦] أي: «يعلمون أنه كلامُ الرحمن وأنه الحق من الله»[3].

٤١٩) قال اللالكائي: وقال تعالى: M ﮬ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ L [التوبة: ٦] قال قتادة والسدي: «القرآن»[4].

التعليق:

من المسائل العظيمة التي حدثت فيها الفتنة بين أهل السنة وأهل البدعة من المعتزلة وغيرهم هي مسألة القول بخلق القرآن، وقد ثبت أهل السنة على القول بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح من أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن

(١) جامع البيان ٢/٥٩٥ .

(٢) متن العقيدة الطحاوية ص ١٢ .

(٣) جامع البيان ١/٤٣١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه الدارمي في سننه رقم (٣٣٩٥) من طريق يزيد به نحوه ، وقد تقدم ذكره.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/٣٦٦ "سياق ما دل من الآيات من كتاب الله تعالى وما روي عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين على أن القرآن تكلم الله به على الحقيقة".

ضمن أولئك السلف قتادة - ، فقد أثبت في هذه الآثار بأن القرآن كلام الله، وقد بين العلامة ابن القيم - أقوال الناس في مسألة كلام الله تعالى[1]، وذكر ذلك ابن أبي العز - حيث قال: "وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال - ثم سردها - وذكر في آخرها قول أهل السنة: أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة"[2].

وإثبات الكلام صفة لله ﷻ قد مرّ معنا في مبحث الصفات فيكتفى بما ورد من تعليق في ذلك الموضع.

٥- كيفية نزول القرآن:

٤٢٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ZM [\ ] ^ _ ` a b c d L [البقرة: ٩٧] يقول: « أنزل الكتاب على قلبك بإذن الله»[3].

٤٢١) قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: «يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء، وهو الحكيم، وعنده أم الكتاب وأصله»[4].

٤٢٢) قال عبد الرزاق: أرنا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M , - L [الإسراء: ١٠٦] قال: «نزل متفرقا ولم يترل جمعاً، وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة»[5].

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (اختصار الموصلي) ٤/١٣٠٢ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/٢٥٤ .

(٣) جامع البيان ٢/٢٩٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٤) جامع البيان ١٣/٥٦٧ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (٢٩).

(٥) تفسير القرآن ٣/١٣٠ رقم (٢٦٢٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن

٤٢٣) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة: M وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ L [الفرقان: ٣٢] : «كما أنزل على موسى، وكما أنزل على عيسى * »(١).

٤٢٤) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M c d e f g L [الشعراء: ١٩٢] قال : «هذا القرآن نزل به الروح الأمين»(٢).

٤٢٥) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة والكلبي، في قوله تعالى: M * + , - . L [سبأ: ٢٣] قالا : «لما كانت الفترة بين عيسى ومحمد يترل الوحي مثل صوت الحديد على الصخر فأفزع الملائكة ذلك، فقال: M * + , - . L حتى إذا جلي عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير» (٣).

٤٢٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M * + , - . / مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ ...الآية L [سبأ: ٢٣] قال: «يوحي الله إلى جبريل فتفرَّق الملائكة أو تَفزَّع مخافة أن يكون شيء من أمر الساعة، فإذا جُلِي عن قلوبهم وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة M / مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ L [سبأ: ٢٣]»(٤).

طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٥/١١٨ ، وأخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص ٧٣ رقم (١٢٥) من طريق يزيد به.

(١) تفسير القرآن العظيم ٨/٢٦٨٩ رقم (١٥١٢٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/١٧١ إلى عبد بن حميد.

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٧٤).

(٣) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٣٧٥).

(٤) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٣٦٣).

٤٢٧) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M \ [^ _ ` L [الزخرف: ٤] قال: «في أصل الكتاب وجملته عندنا»(١).

٤٢٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M + , - . / L [النجم: ٣] أي: «ما ينطق عن هواه، M **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴿٤﴾ L [النجم: ٤] قال: يوحي الله تبارك وتعالى إلى جبريل، ويوحي جبريل إلى محمد ﷺ»(٢).

٤٢٩) قال عبدالرزاق: عن قتادة، في قوله تعالى: M m n o L [المرسلات: ٥] قال: «الملائكة تلقي القرآن»(٣).

التعليق:

أشار قتادة - في مجموع هذه الآثار إلى كيفية نزول القرآن على النبي ﷺ ، ومن نزل به ، وأنواع النزول ، فبيّن - بأن هذا القرآن نزل به جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ ، فقال في تفسير قوله تعالى: M **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴿٤﴾ L [النجم: ٤] قال: يوحي الله تبارك وتعالى إلى جبريل، ويوحي جبريل إلى محمد ﷺ ، وقال أيضاً في قوله تعالى: M c d e f g L[الشعراء: ١٩٢] قال : «هذا القرآن نزل به الروح الأمين».

وقد أجمع أهل الإسلام على أن النبي ﷺ أخذ القرآن عن جبريل عليه السلام عن طريق الوحي، وأن جبريل عليه السلام سمع القرآن من الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى: M c d e f g h i j k l m n o p q r L [الشعراء: ١٩٢-١٩٤]، قال

(١) تفسير القرآن ٢/٤٦٦ رقم (٢١٢٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٠/٥٤٧ من طريق معمر به نحوه.

(٢) جامع البيان ٢٢/٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/١٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٣٩١).

ابن كثير: "يقول تعالى مخبرًا عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد $
: M c L أي: القرآن الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله: M ; < = > ?
@ A L [الشعراء: ٥] M d e f L أي: أنزله الله عليك وأوحاه إليك ، M
h i j k l L : وهو جبريل عليه السلام ، قاله غير واحد من السلف: ابن عباس، ومحمد بن كعب، وقتادة، وعطية العوفي، والسدي، والضحاك، والزهري، وابن جريج. وهذا ما لا نزاع فيه"(١).

ومما ذكره قتادة - أيضاً في أن القرآن نزل متفرقاً ولم يترل جمعاً وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة ، وما ذكره قتادة - هنا هو أحد الترولين للقرآن؛ فالقرآن الكريم نزل على حالتين:

الأولى: نزل جملة إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

والثانية: نزل بحسب الوقائع والحوادث منجماً (مفرقاً) على النبي ﷺ على مدى ثلاث وعشرين سنة.

وقد دلت الأدلة على هاتين الحالتين؛ أما الحالة الأولى وهي نزوله جملة فدل عليها قوله تعالى: M h i j k l m n o p q r
s L [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: M & ' ( ) * , - . /
L [الدخان: ٣]، وقوله تعالى: M ! " # $ % & L [القدر: ١].

وأما الحالة الثانية وهي نزوله مفرقا فدل عليها قوله تعالى: M وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ L [الفرقان: ٣٢]، وقوله تعالى: M , - . / ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ L [الإسراء: ١٠٦]، قال القرطبي - : "ولا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر - على ما بيناه - جملة واحدة؛ فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا، ثم كان جبريل ﷺ يترل

(١) تفسير ابن كثير ٦/١٦٢ .

به نجما نجما في الأوامر والنواهي والأسباب، وذلك في عشرين سنة"[1]، وقال شيخ الإسلام: "وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره: أنه أنزل في ليلة القدر إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح قبل نزوله، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعده، فإذا أنزل جملة إلى بيت العزة فقد كتبه كله قبل أن يتزله، والله يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف يكون"[2].

٦- حفظ الله ﷻ للقرآن:

٤٣٠) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة وثابت في قوله تعالى: M g h i j k l m n L[الحجر: ٩] قال: «حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا أو يبطل منه حقا»[3].

٤٣١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M g h i j k l m n L[الحجر: ٩]، وقال في آية أخرى: M c d e l L[فصلت: ٤٢] : « والباطل: إبليس M f g h i j k l L[فصلت: ٤٢] فأنزله الله ثم حفظه، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلا ولا ينتقص منه حقا، حفظه الله من ذلك»[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٩٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/٢٢٣ .

(٣) تفسير القرآن ٢/٢٥٢ رقم (١٤٣٠)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٤/١٩ من طريق معمر به.

(٤) جامع البيان ١٤/١٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٣/١٥٧ رقم (٢٧١٩) عن معمر به مختصراً، وابن الضريس في فضائل القرآن ص ٧٣ رقم (١٢٢) من طريق يزيد به، ورقم (١٢٣) عن موسى بن إسماعيل عن عقبة بن زياد عن قتادة مختصراً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣/١٢٣ إلى عبد بن حميد.

التعليق:

لما كان القرآن الكريم هو المعجزة العظمى وحجة الله البالغة الباقية التي أيد الله ﷻ بها نبيه ﷺ وأتباعه إلى يوم القيامة؛ فقد تكفل جل وعلا بحفظه من دون سائر الكتب الإلهي ، قال تعالى: M g h i j k l m n L [الحجر: ٩]، قال ابن جزي: "ومعنى حفظه: حراسته عن التبديل والتغيير كما جرى في غيره من الكتب، فتولى الله حفظ القرآن فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان منه، ولا تبديله بخلاف غيره من الكتب فإن حفظها موكول إلى أهلها لقوله: M a b c d e L [المائدة: ٤٤]"(١)، وقال ابن القيم - : "ولولا أن الله سبحانه تولّى حفظ القرآن بنفسه وضمن للأمة أن لا تجتمع على ضلالة لأصابه ما أصاب الكتب قبله قال تعالى: M g h i j k l m n L [الحجر: ٩]"(٢).

وحفظ القرآن يشمل حفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنوي، وقتادة - قد أثبت في هذه الآثار حفظ الله ﷻ لكتابه من أن يزيد فيه الشيطان باطلاً أو يبطل منه حقاً.

٧- فضائل القرآن:

٤٣٢) قال عبد الرزاق: نا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M**فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ** L [البقرة: ٢٣] قال: «يقول بسورة مثل هذا القرآن حقًّا لا باطل فيه ولا كذب»(٣).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢/١٤٤ .

(٢) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر؛ هداية الحيارى، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية)، ص ٥١ .

(٣) تفسير القرآن ١/٢٦٠ رقم (١٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ١/٣٩٦ من طريق سعيد عن قتادة نحوه، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/٦٣ رقم (٢٣٨) من طريق سعيد عن قتادة نحوه ، وأيضاً عند تفسير قوله تعالى: M**فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ** L [يونس: ١٠] في ٦/١٩٥٣ رقم (١٠٣٩١) من طريق سفيان عن قتادة، وعند

٤٣٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ L [البقرة: ٢٢٤] يقول: «لا تعتلُّوا بالله! أن يقول أحدكم: إنه تألَّى أن لا يصل رَحِمًا، ولا يسعى في صلاح ولا يتصدَّق من ماله. مهلا مهلا بارك الله فيكم! فإن هذا القرآن إنما جاء بترك أمر الشيطان، فلا تطيعوه، ولا تُنْفِذوا له أمرًا في شيء من نذوركم ولا أيمانكم»(١).

٤٣٤) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M µ ¶ ¸ يَشَآءُ L [البقرة: ٢٦٩] قال: «الحكمة: القرآن والفقه في القرآن»(٢).

٤٣٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: M ; < L [آل عمران: ٤] : «هو القرآن، أنزله على محمد، وفرَّق به بين الحقِّ والباطل؛ فأحلّ فيه حلاله ، وحرّم فيه حرامه، وشرَّع فيه شرائعه، وحدّ فيه حدوده، وفرض فيه فرائضَه، وبين فيه بيانه، وأمر بطاعته، ونهى عن معصيته»(٣).

٤٣٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M t u v L [آل عمران: ١٣٨] «وهو هذا القرآن؛ جعله الله بيانًا للناس عامة، وهدى وموعظة للمتقين خصوصًا»(٤).

تفسير قوله تعالى: M% & ' ( ) * L [هود: ١٣] في ٦/٢٠٠٩ رقم (١٠٧٢٩) من طريق سعيد عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٨٩ إلى عبد بن حميد.

(١) جامع البيان ٤/٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) تفسير القرآن ١/٣٧٣ رقم (٣٤٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٥/٩ من طريق سعيد عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٨٨ إلى عبد بن حميد.

(٣) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٤١٤).

(٤) جامع البيان ٦/٧٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي

٤٣٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M ! " # $ % & ' ...الآية L [آل عمران: ١٠١] : «علَمان بيِّنان: وِجْدان نبي الله ﷺ وكتابُ الله؛ فأما نبيّ الله فمضى ﷺ ، وأما كتاب الله فأبقاه الله بين أظهُركم رحمة من الله ونعمة؛ فيه حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته»(١).

٤٣٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: K M L M O P Q R S T U V W X Y L [النساء: ٨٢] أي: «قول الله لا يختلف، وهو حق ليس فيه باطل، وأنّ قول الناس يختلف»(٢).

٤٣٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: Mيَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ ´ µ ¶ ¸ L أي: «بينة من ربكم Mوَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا L [النساء: ١٧٤] وهو هذا القرآن»(٣).

٤٤٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: G M H I J K L M N O L [المائدة: ١٩] : «وهو محمد ﷺ ، جاء

حاتم في تفسيره ٣/٧٦٩ رقم (٤٢٠٨) من طريق يزيد به نحوه.

(١) جامع البيان ٥/٦٣٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٢٠ رقم (٣٨٩٩) من طريق شيبان به مثله، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٧٠٢ إلى عبد بن حميد.

(٢) جامع البيان ٧/٢٥١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/١٠١٣ رقم (٥٦٧٩) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٥٤٦ إلى عبد بن حميد.

(٣) جامع البيان ٧/٧١٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١١٢٥ رقم (٦٣٢٥ و ٦٣٢٦) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/١٤٣ إلى ابن المنذر.

بالفرقان الذي فرَق الله به بين الحق والباطل؛ فيه بيان الله ونوره وهداه، وعصمةٌ لمن أخذ به»(١).

٤٤١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M p q r s L [الأنعام: ١٥٥] : «وهو القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ M t L يقول: فاتبعوا حلاله وحرّموا حرامه»(٢).

٤٤٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ ´ µ ¦ L [الأنفال: ٢٤] قال: «هو هذا القرآن؛ فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة»(٣).

٤٤٣) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ثنا محمد بن وهب بن عطية، ثنا الوليد، ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة في قوله: Mنَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي © عَلِيمٞ L [يوسف: ٧٦] قال: «هكذا ينتهي العلم إلى الله ﷻ ، منه بدأ وإليه يعود ويرجع»(٤).

٤٤٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M t u v w x y z { | L [الإسراء: ٨٢] : «إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه، M { ~ ٱلظَّٰلِمِينَ L به Mإِلَّا خَسَارٗا L أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه، وإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين»(٥).

---

(١) جامع البيان ٢٧٤/٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤٠/٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) تقدم تخريجه. انظر: حاشية الأثر رقم (٤١٥).

(٣) جامع البيان ١٠٥/١١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٨٠/٥ رقم (٨٩٥٠) من طريق يزيد به.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢١٧٧/٧ رقم (١١٨٣٢).

(٥) جامع البيان ٦٣/١٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٣٠/٩ إلى عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

٤٤٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال. ثنا سعيد، عن قتادة قوله: Mقُلْ ´ µ ¶ ¸ وَشِفَآءٌۗ L [فصلت: ٤٤] قال: «جعله الله نوراً وبركة وشفاء للمؤمنين»(١).

٤٤٦) قال ابن أبي حاتم: عن قتادة، في قوله:M / هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ L [الإسراء: ٩] : «إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم ، فأما داؤكم: فالذنوب والخطايا ، وأما دواؤكم: فالاستغفار»(٢).

٤٤٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M q r s t u v w x y z { | } ~ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ L [الواقعة: ٩٢-٩٥] حتى ختم، : «إن الله تعالى ليس تاركاً أحداً من خلقه حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن؛ فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه» (٣).

٤٤٨) قال ابن الضريس: أخبرنا مسلم، قال: ثنا هشام، ثنا قتادة، قال: «من قرأ آية الكرسي إذا آوى إلى فراشه وكل به ملكان يحفظانه حتى يصبح»(٤).

التعليق:

أفرد بعض أهل العلم كتباً في ذكر فضائل القرآن الكريم، وعقد آخرون في ذلك أبوابا في مصنفاتهم(١)، وقد ذكر قتادة - في هذه الآثار فضائل عدة للقرآن الكريم، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة، ومما ذكر:

---

(١) جامع البيان ٢٠/٤٤٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٧/٢٣١٩ رقم (١٣٢٠٠) معلقاً، و شعب الإيمان للبيهقي ٥/٤٢٧ (٦٧٤٥) .

(٣) جامع البيان ٢٢/٣٨٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/٢٤٦ إلى عبد بن حميد.

(٤) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٣٩٥).

١- أن القرآن حق لا باطل فيه ولا كذب.

٢- أن القرآن جاء بترك أمر الشيطان.

٣- أن الحكمة هي القرآن والفقه القرآن.

٤- أن الله فرق بالقرآن بين الحق والباطل.

٥- أن الله جعل القرآن بياناً للناس عامة وهدى وموعظة للمتقين خاصة.

٦- أن الله ﷻ أبقى القرآن بين أظهرنا رحمة منه ونعمة.

٧- أن القرآن فيه ما أحله الله وما حرمه، وفيه بيان طاعته ومواضع معصيته.

٨- أن قول الله لا يختلف وهو حق ليس فيه باطل.

٩- أن القرآن برهان وبينة ونور مبين من عند الله.

١٠- أن القرآن فيه بيان الله ونوره وهداه وهو عصمة لمن أخذ به.

١١- أن القرآن فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة.

١٢- أن المؤمن ينتفع بالقرآن ويحفظه ويعيه، وأما الظالم فلا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه.

١٣- أن الله جعل هذا القرآن نوراً وبركةً وشفاءً ورحمةً للمؤمنين.

١٤- أن القرآن يدل على الداء والدواء؛ فأما الداء فالذنوب والخطايا، وأما الدواء فالاستغفار.

١٥- من أوقفه الله ﷻ على اليقين من هذا القرآن في الدنيا نفعه يوم القيامة.

١٦- فضل آية الكرسي بأن من قرآها وكل الله به ملكان يحفظانه حتى يصبح.

---

(١) انظر: فضائل القرآن للنسائي، وفضائل القرآن لابن كثير، وفضائل القرآن ضمن صحيح البخاري، وثواب القرآن عن رسول الله ﷺ ضمن جامع الترمذي وغيرها.

ثانيا: ما أثر عنه في بقية الكتب المنزلة:

١ - الأمر بالإيمان بالكتب المنزلة قبل القرآن.

٢ - أسماء الكتب المنزلة قبل القرآن.

٣ - تحريف أهل الكتاب للكتب التي أنزلت إليهم.

٤ - فضائل التوراة والإنجيل قبل التحريف.

١ - الأمر بالإيمان بالكتب المنزلة قبل القرآن:

٤٤٩) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبيد الله بن المنادي فيما كتب إلي، ثنا يونس بن محمد المؤدب، ثنا شيبان النحوي، عن قتادة: M A B C D E F G H I L [البقرة: ١٣٦] قال: «أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا به ويصدقوا بكتبه كلها وبرسله»[١].

التعليق:

كما أمر الله ﷻ أهل الإسلام بالإيمان بالقرآن الكريم أمرهم كذلك بالإيمان ببقية الكتب المنزلة قبل القرآن؛ فلا يتم الإيمان بالكتب إلا بالإيمان بها جميعاً، ومن ذلك ما جاء من أمر الله ﷻ لأهل الكتاب بالإيمان بالقرآن الكريم كما آمنوا بكتبهم، وحكم بكفر من لم يؤمن بالقرآن ولو آمن ببقية الكتب المنزلة قبله، قال تعالى: M K L M N O P Q R S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` a b c d e f g h L [النساء: ١٣٦]، قال السعدي - : "وأمر هنا بالإيمان به وبرسوله وبالقرآن وبالكتب المتقدمة، فهذا كله من الإيمان الواجب الذي لا يكون العبد مؤمنا إلا به؛ إجمالا فيما لم يصل إليه تفصيله وتفصيلا فيما علم من ذلك بالتفصيل، فمن آمن هذا الإيمان المأمور به فقد اهتدى وأنجح "[٢]، وهذا ما ذكره قتادة - في هذا الأثر بأن الله "أمر المؤمنين أن يؤمنوا به ويصدقوا بكتبه كلها وبرسله".

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٤٣/١ رقم (١٣٠٤)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٣٨٦)

(٢) تفسير السعدي ص ٢٠٨ .

٢- أسماء الكتب المنزلة قبل القرآن:

٤٥٠) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد، ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ : ; < = > L [البقرة: ٤] : «فآمنوا بالفرقان وبالكتب التي قد خلت قبله من التوراة والزبور والإنجيل»(١).

٤٥١) قال ابن جرير: حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M ! ' # $ % L [الرعد: ١] : «الكُتُب التي كانت قبل القرآن»(٢).

٤٥٢) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ، ثنا نصر بن علي ، أخبرني أبي ، عن خالد بن قيس عن قتادة في قوله: M ! ' # $ % L [الرعد: ١] قال: «التوراة والإنجيل والزبور»(٣).

٤٥٣) قال الخطيب البغدادي: أنا ابن رزق، أنا محمد بن الحسن بن زياد المقرئ النقاش، نا أحمد بن علي البزوري، نا يوسف بن مسلم، نا إسحاق بن عيسى، نا عباد بن العوام، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: «في الزبور مكتوب لا يحدث بالحديث في اليوم إلا مرة»(٤).

التعليق:

قد سبق في التعليقات السابقة الإشارة إلى كثرة كتب الله ﷻ التي أنزلها على أنبيائه ورسله، فكتب الله ﷻ كثيرة، وقد سمّى الله في القرآن بعضها وهي التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى، فكان لهذه الكتب المذكورة ميزة على غيرها ألا وهي

---

(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٤٠٩).

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٤١٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧/٢٢١٥ رقم (١٢٠٨٤)، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (٨).

(٤) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي؛ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الطبعة الأولى، تعليق: أبو عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ج ٥ ، ص ٢٣٢ رقم (١٠١٥).

الإيمان بأسمائها وما أخبر الله ﷻ في القرآن أو أخبر به النبي ﷺ من أخبارها وأحكامها، وقد ذكر قتادة - في هذه الآثار بعض أسماء الكتب التي كانت قبل القرآن وهي التوراة والزبور والإنجيل.

٣- تحريف أهل الكتاب للكتب التي أنزلت إليهم:

٤٥٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M ! " # $ % & L حتى بلغ: M < = L [آل عمران: ٧٨] : «هم أعداء الله اليهود، حرَّفوا كتابَ الله وابتدعوا فيه وزعموا أنه من عند الله»[1].

التعليق:

في هذا الأثر يثبت قتادة - ما ذكره الله ﷻ عن اليهود من تحريف كتب الله التي أنزلت عليهم وابتداعهم في الدين[2]، وقد قال الله ﷻ فيهم: M ´ µ ¶ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ L [البقرة: ٧٥]، وقال عز من قائل: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى : ; < = > L [آل عمران: ٧٨].

(١) جامع البيان ٥/٥٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه أيضا عبدالرزاق في تفسيره ٢/٢٢ رقم (٧٢٠) مختصرا.

(٢) انظر في هذه المسألة: كتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندي فهو من الدراسات النقدية لوقوع التحريف والنسخ في التوراة والإنجيل.

٤- فضائل التوراة والإنجيل قبل التحريف:

٤٥٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: M وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۞ مِن قَبۡلُ هُدٗى : L [آل عمران: ٣-٤] : «هما كتابان أنزلهما الله؛ فيهما بيانٌ من الله وعصمةٌ لمن أخذ به وصدّق به وعمل بما فيه»(١).

٤٥٦) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ، ثنا عبد العزيز بن المغيرة ، أنبا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : M ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ © L [النساء: ١٣٧] : «بالفرقان ومحمد ﷺ»، ثم قال: وبه عن قتادة قوله: M z { | L [النساء: ١٣٧] قال: «ولا ليهديهم طريق هدى، وقد كفروا بكتب الله»(٢).

٤٥٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M j k l m n L [المائدة: ٤٨] يقول: « سبيلا وسُنّة. والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحلُّ الله فيها ما يشاء، ويحرِّم ما يشاء بلاءً؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيدُ والإخلاصُ لله الذي جاءت به الرسل»(٣).

٤٥٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴿٢٥﴾ L [الأنبياء: ٢٥] : «به أرسلت الرسل؛ بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم - قال أبو جعفر: أظنه أنا قال - عملٌ حتى يقولوه ويقرّوا به، والشرائع مختلفة؛ في التوراة شريعة ، وفي

---

(١) جامع البيان ١٨١/٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٨٨/٢ رقم (٣١٣٨-٣١٤١-٣١٤٢) من طريق شيبان عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦٠/٨ إلى عبد بن حميد.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٠٩٢/٤ رقم (٦١١٧-٦١١٩).

(٣) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٤٤).

الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في إخلاصٍ لله وتوحيدٍ له»[1].

التعليق:

يشير قتادة - في هذه الآثار إلى بعض فضائل التوراة والإنجيل قبل أن تحرف ثم تنسخ بالقرآن، فذكر عنهما:

١ - أنهما كتابان أنزلهما الله.

٢ - أن فيهما بيان من الله ﷻ.

٣ - أن فيهما عصمة لمن أخذ بهما وصدّق وعمل بما فيهما.

٤ - أن الكفر بكتب الله سبب الضلال والصد عن الاهتداء لسبيل الهدى.

٥ - احتواء التوراة والإنجيل على شرائع كما احتوى القرآن على شريعة ، ففيهما بيان الحلال والحرام والطاعة والمعصية ، وكلها متفقة على التوحيد والإخلاص.



(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٤٨).

المبحث الثالث:
الآثار الواردة عنه في الإيمان بالرسل.

أولا: ما أثر عنه في الإيمان بجميع الرسل ، والاقتداء بهم.

ثانيا: ما أثر عنه في الحكمة من إرسال الرسل.

ثالثا: ما أثر عنه في أنواع الوحي.

رابعا: ما أثر عنه في عصمة الرسل.

خامسا: ما أثر عنه في المراد بأولي العزم من الرسل.

سادسا: ما أثر عنه في فضائل بعض الأنبياء والرسل.

سابعا: ما أثر عنه في ذي القرنين ولقمان ، وهل هما نبيين أم رجلين صالحين؟

تمهيد:

الإيمان بالرسل ركن أصيل من أركان الإيمان؛ إذ لا طريق إلى الله جل وعلا إلا بالإيمان بهم، فهم رسل الله إلى خلقه، اصطفاهم الله ﷻ لرسالاته، وظيفتهم تبليغ دين الله ﷻ ، قال القرطبي - : "وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل، فمن قال: إن هناك طريقا آخر يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل بحيث يستغني عن الرسل فهو كافر؛ يقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب"(١).

ومن أدلة وجوب الإيمان بالرسل قوله تعالى: M g h i j k l m n p q r s t u v w x y z { L [البقرة: ٢٨٥]، ومن السنة حديث جبريل عندما سأل النبيَّ ﷺ عن الإيمان فأجابه $ بقوله: 8أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره7(٢)، وحديث ابن عباس ، قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: 8اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق ،...7(٣).

والإيمان برسل الله ﷻ متلازم فإن من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل عليهم السلام كما قال تعالى: M A B C D E F G

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/٤١ .

(٢) تقدم تخريجه. انظر: ص ٦٣ .

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة - أبواب تقصير الصلاة - باب التهجد بالليل - حديث رقم (١٠٨٢).

T S R Q P O N M L K J I H
[النساء: L a ` _ ^] [Z Y X W V U
١٥٠-١٥١]"(١)، وفي الحديث 8وليس أحد أحب إليه العذر من الله7(٢)، ولهذا فما من أمة إلا بعث الله فيها رسولاً، قال تعالى: L K J I H G F E D M
[النحل: ٣٦]، وقال جل وعلا: L K J I H M L N M
[فاطر: ٢٤]، فرسل الله وأنبيائه كثيرون وقد ورد في الحديث بأن الرسل يزيد عددهم على الثلاثمائة، والأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، فعن أبي أمامة ﷺ 8أن رجلا قال: يا رسول الله! أنبيا كان آدم؟ قال: "نعم، معلم مكلم" قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: "عشر قرون"، قال: كم بين نوح وإبراهيم؟ قال: "عشر قرون" قالوا: يا رسول الله، كم كانت الرسل؟ قال: "ثلاث مائة وخمس عشرة جما غفيرا"7(٣)، وقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين نبياً ورسولا، فنؤمن بهم على التفصيل ونؤمن بمن لم يسمّهم الله على الإجمال.

"والإيمان بالرسل كبقية أركان الإيمان ينقسم إلى قسمين: مجمل ومفصّل؛ أما الإيمان المجمل فهو: التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون بارون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به لم يكتموا منه حرفا و لم يغيروه و لم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفا و لم ينقصوه فهل على الرسل إلا البلاغ المبين، وأما الإيمان المفصل: فهو الإيمان بمن سمّى الله منهم وبأخبارهم وفضائلهم وخصائصهم؛ كالإيمان بأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا، واتخذ محمد خليلا، وكلم موسى تكليما،

---

(١) انظر: معارج القبول ٢/٦٧٦ .

(٢) تقدم تخريجه. انظر: ص ٣٦١ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير ٢/٢٦٢ وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه"، وأخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الأوسط ١/١٢٨ ، وصححه الألباني.

ورفع إدريس مكانا عليا، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الله تعالى فضل بعضهم على بعض درجات[1].

وهناك مسائل أخرى تتعلق بالإيمان بالرسل كعصمتهم، والمراد بأولي العزم منهم، وفضائلهم، سيأتي الحديث عنها ضمن التعليقات على الآثار الواردة عن قتادة - في هذا المبحث (مبحث الإيمان بالرسل).



(١) انظر: معارج القبول ٢/٦٧٧ .

أولا: ما أثر عنه في الأمر بالإيمان بجميع الرسل، والاقتداء بهم:

١٤٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ : ; < L إلى قوله: M O P Q L [البقرة: ١٣٦] : «أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدِّقوا بأنبيائه ورسله كلهم، ولا يفرِّقوا بين أحد منهم»(١).

١٤١) قال ابن أبي حاتم: أخبرنا موسى بن هارون الطوسي فيما كتب إلي، ثنا الحسين بن محمد المروزي، ثنا شيبان، عن قتادة قوله: M أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ L [الأنعام: ٩٠] قال: «قص الله عليه ثمانية عشر نبياً، ثم أمر نبيكم أن يقتدي بهم. قال: وأنتم فاقتدوا بالصالحين قبلكم»(٢).

التعليق:

قد سبق في التمهيد لهذا المبحث "مبحث الإيمان بالرسل" بيان وجوب الإيمان برسل الله جميعاً وعدم التفريق بينهم، وأن الإيمان بالرسل متلازم من كفر بأحدهم فقد كفر بهم جميعاً وهو كفر بالله ﷻ ، وما ذكره قتادة - في هذا الأثر من أمر الله ﷻ للمؤمنين أن يؤمنوا ويصدِّقوا بأنبيائه ورسله كلهم ولا يفرِّقوا بين أحد منهم: هو عقيدة أهل الإسلام في الإيمان بالرسل.

---

(١) جامع البيان ٥٩٧/٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٣/١ رقم (١٣٠٤) من طريق شيبان عن قتادة.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٣٤٠/٤ رقم (٧٥٨١)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٨٩).

ثانيا: ما أثر عنه في الحكمة من إرسال الرسل:

١٤٢) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، ثنا العباس بن الوليد، ثنا يزيد، ثنا سعيد، عن قتادة في قوله تعالى: Mوَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ L [النساء: ١١٣] قال: «علمه الله بيان الدنيا والآخرة، بين حلاله وحرامه، ليحتج بذلك على خلقه»(١).

١٤٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M M N O P L [الرعد: ٢] : « وأن الله تبارك وتعالى إنما أنزل كتابه وأرسل رسله لِيُؤمَن بوعده ولِيُستيقَن بلقائه»(٢).

١٤٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: mM n o p q r s t L [النحل: ٢] : «إنما بعث الله المرسلين أن يُوحَّد الله وحده ويطاع أمره ويجتنب سخطه»(٣).

١٤٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M M N O P Q L [طه: ٣] : «وإن الله أنزل كتابه وبعث رسله رحمةً رحم الله بها العباد ليتذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر له أنزل الله فيه حلاله وحرامه، فقال: M R S T U V W X L [طه: ٤]»(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٠٦٤/٤ رقم (٥٩٥٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩).

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٤٥).

(٣) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٤٦).

(٤) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٤٠٨).

١٤٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M f g h i j k L [نوح: ٣] قال: «أرسل الله المرسلين بأن يُعْبَد الله وحده، وأن تُتَّقى محارمه، وأن يُطاع أمره»(١).

التعليق:

إن من نعمة الله ﷻ على بني آدم أن أنزل عليهم كتبه وبعث بها رسله ليخرجوهم من الظلمات إلى النور، فمع أخذه الميثاق عليهم وهم في ظهر أبيهم آدم ﵇، وما فطرهم عليه من توحيده، وما أوضح لهم من آياته الكونية والنفسية؛ فمع ذلك أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، قال تعالى: M N O P Q R S T U V W X Z [\ ] ^ L [النساء: ١٦٥]، وفي الحديث 8وليس أحد أحب إليه العذر من الله7(٢)، فالحكمة من إرسال الرسل هي إقامة الحجة على العباد بهم، ومهمة الرسل دعوة الناس إلى عبادة الله وحده قال تعالى: M D E F G H I J K L M N L [النحل: ٣٦]، ومن مهام الرسل: إقامة شريعة الله ﷻ وبيان ما أحله / لخلقه وما حرمه عليهم وذلك حتى يُتقى ويُجتنب سخطه، قال تعالى: M O P Q R S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` b c d e f g h j k l m n L [المائدة: ٤٨]، وقال أيضاً: M J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` a L [الشورى: ١٣].

(١) تقدم ذكره انظر: الأثر رقم (٥١).

(٢) تقدم تخريجه. انظر: ص ٣٦١ .

وقد ذكر قتادة - في هذه الآثار هذه الحكم التي أرسل الله من أجلها الرسل وأنزل الكتب وهي: أن يوحد الله وحده، ويؤمن بوعده، ويستيقن بلقائه، ويطاع أمره، وتتقى محارمه، ويجتنب سخطه.

ثالثا: ما أثر عنه في أنواع الوحي:

١٤٧) قال السيوطي: أخرج عبد بن حميد عن قتادة: M y z { | L [المائدة: ١١١] قال: «وحي قُذِف في قلوبهم، ليس بوحي نبوة، والوحي وحيان؛ وحي تجيء به الملائكة، ووحي يُقذَف في قلب العبد»(١).

١٤٨) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M + , - . / وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ L [يوسف: ١٥] قال: «فأوحى الله تعالى إلى يوسف وهو في الجب أن سينبئهم بما صنعوا به، وهم لا يشعرون بذلك الوحي»(٢).

١٤٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: M . / أُمِّ مُوسَىٰٓ L [القصص: ٧] : «وحيًا جاءها من الله ، فقذف في قلبها - وليس بوحي نبوة - أن أرضعي موسى Mفَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي : ; > = < L [القصص: ٧]»(٣).

---

(١) جلال الدين السيوطي؛ الدر المنثور في تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولى، (القاهرة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ج ٥ ، ص ٥٩٢ .

(٢) تفسير القرآن ٢/٢٠٧ رقم (١٢٧٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٣/٣٢ من طريق معمر به، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢١٠٩ رقم (١١٣٧٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٢٠٥ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) جامع البيان ١٨/١٥٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢/٤٨٧ رقم (٢١٩١) مختصراً جداً، وابن أبي حاتم في تفسيره ٩/٢٩٤١ رقم (١٦٦٨١).

١٥٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M يَبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ L [الصافات: ١٠٢] قال: «رؤيا الأنبياء حق؛ إذا رأوا في المنام شيئاً فعلوه»[(١)].

التعليق:

الوحي في اللغة هو الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك يقال وحيت إليه الكلام[(٢)]، قال ابن فارس: "الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك، فالوحي: الإشارة. والوحي: الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان"[(٣)]، وبهذا نعلم أن ما ورد في القرآن الكريم من ذكر وحي الله ﷻ لغير الأنبياء إنما هو أمر آخر، وليس بوحي النبوة الذي يوحيه الله لرسله بالطرق المذكورة في قوله تعالى: M ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ L [الشورى: ٥١]، وهي:

١- الإلقاء في روع النبي الموحى إليه، لقوله: Mوَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا L ويبين هذه الصفة حديث ابن مسعود ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: 8ليس شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا أمرتكم به، وليس شيء يباعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا نهيتكم عنه، وإن روح الأمين نفث في روعي أنه ليس من نفس

(١) جامع البيان ٥٨٢/١٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢٨/١١ إلى عبد بن حميد.
(٢) لسان العرب ٣٧٩/١٥ .
(٣) معجم مقاييس اللغة ٧٠/٦ .

تموت إلا وقد كتب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بالمعاصي فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته7[(١)].

٢- تكليم الله لرسله من وراء حجاب لقوله: Mأَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ L.

٣-الوحي للرسول بواسطة الملك لقوله:Mأَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ L.

٤- ومن طرق الوحي أيضاً رؤيا الأنبياء فإنها حق، فقد جاء في حديث عائشة " في بدء الوحي قالت: 8أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح...7[(٢)].

وما ورد من وحي الله ﷻ للحواريين ولأم موسى عليه السلام فإنما يقصد به الإلهام أو أنه وحي قذفه الله في قلوبهم[(٣)]، وهذا ما بينه قتادة - في هذه الآثار، فقد ذكر بأن الوحي نوعان: وحي تجئ به الملائكة وهذا وحي النبوة، ووحي يقذفه الله في قلب العبد وهذا كما ورد في الحواريين وأم موسى عليه السلام ، وأما وحي الله ﷻ ليوسف عليه السلام وهو في الجب فيحتمل أن يكون هذا الوحي بواسطة ملك، أو بإلهام[(٤)].

رابعا: ما أثر عنه في عصمة الرسل:

١٥١) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: Mيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ © ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا L [البقرة: ٣٥] : «ثم أتى البلاء الذي كُتب على الخلق/على آدمَ، كما ابتُلي الخلقُ قبله،

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: التاسع والثلاثون من شعب الإيمان - فصل فيما يقول العاطس في جواب التشميت - الحادي والسبعون من شعب الإيمان وهو باب في الزهد وقصر الأمل - حديث رقم (٩٩٥٩).

(٢) أخرجه البخاري: باب بدء الوحي - حديث رقم (٣).

(٣) انظر: جامع البيان ٥١٩/١٩ ، وتفسير ابن كثير ٢٢٢/٦ .

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التتريل لابن جزي ١١٥/٢ .

إن الله تعالى ذكره أحلَّ له ما في الجنة أن يأكل منها رَغدا حيث شاء غيرَ شجرة واحدة نُهي عنها وقَدَّم إليه فيها، فما زال به البلاء حتى وقع بالذي نُهي عنه»(1).

152) قال عبد الرزاق: نا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M : ; < = L [آل عمران: 39] قال: «شافهته الملائكة بذلك ، فقال: M \ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j L [آل عمران: 41] قال: إيماء، وكانت عقوبة عوقب بها إذ سأل الآية بعد مشافهة الملائكة إياه بما بشرته به»(2).

153) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن الكلبي وقال قتادة: M M N O P Q L [الأعراف: 189] قال: «كان آدم لا يولد له ولد إلا مات فجاءه الشيطان، فقال: إن سَرّك أن يعيش ولدك هذا فسميه عبد الحارث، ففعل، قال: فأشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة»(3).

154) قال عبد الرزاق: أرنا معمر، عن قتادة والكلبي في قوله تعالى: M c d e f g L [الأنبياء: 87] قالا: «ظنّ أن لن نقضي عليه العقوبة»(4).

155) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M m n L [الصافات: 142] أي: «في صنيعه»(1).

---

(1) جامع البيان 1/551 ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (1)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور 1/284 إلى عبد بن حميد.

(2) تفسير القرآن 1/392 رقم (397) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (2)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره 5/386 ، وفي الصفحة نفسها أخرجه من طريق سعيد عن قتادة بنحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره 2/645 رقم (3478) من طريق عبدالرزاق، وعزاه السيوطي في الدر المنثور 3/535 إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(3) تفسير القرآن 2/103 رقم (968)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (2)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره 10/625 من طريق معمر به.

(4) تفسير القرآن 2/391 رقم (1883)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (2)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره 16/379 من طريق معمر به ، ومن طريق سعيد عن قتادة نحوه.

١٥٦) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M R S T U L [القلم: ٤٨] قال: «لا تعجل كما عجل، ولا تغضب كما غضب»(٢).

١٥٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M @ A B C E F G H L [الحاقة: ٤١]: «طهَّره الله من ذلك وعصمه M I J K M N O P L [الحاقة: ٤٢] طهَّره الله من الكهانة وعصمه منها»(٣).

١٥٨) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M أَنقَضَ ظَهْرَكَ L [الشرح: ٣] قال: «كان للنبي ﷺ ذنوب قد أثقلت فغفرها الله له»(٤).

التعليق:

في هذه الآثار بيانٌ من قتادة - لبعض الأمور التي وقعت من بعض الأنبياء والرسل * وقد لامهم الله ﷻ عليها، وهي تدخل في مسألة عصمة الأنبياء والرسل، وهل هم معصومون من الصغائر والكبائر جميعا أم من الكبائر فقط دون الصغائر؟

فقد دلت أدلة القرآن والسنة على وقوع بعض الأنبياء والرسل فيما عاتبهم ربهم ﷻ عليه، كما حصل من آدم عليه السلام حين نهاه الله ﷻ عن الأكل من الشجرة قال تعالى: M وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ © ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ µ ¶ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

---

(١) جامع البيان ٦٢٧/١٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٨/٥ إلى أحمد في الزهد وعبد بن حميد.

(٢) تفسير القرآن ٣٣٦/٣ رقم (٣٢٩٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٠٠/٢٣ من طريق معمر به، ومن طريق سعيد عن قتادة مثله.

(٣) جامع البيان ٢٤٢/٢٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٨١/١٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) تفسير القرآن ٤٣٧/٣ رقم (٣٦٣٩)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٩٣/٢٤ من طريق معمر به، ومن طريق سعيد عن قتادة مثله.

عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ L [البقرة: ٣٥-٣٧]، وسؤال نوح عليه السلام ربه عز وجل المغفرة لابنه الذي مات على الشرك قال تعالى: M وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ : ; L [هود: ٤٥-٤٦]، وعبوس نبينا $ في وجه ابن أم مكتوم، قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ L [عبس: ١-٤]، وهذه الأمور ليس فيها طعن في الأنبياء والرسل؛ فإنهم صلوات الله وسلامه عليهم لا يلبثون إلا ويتوبون مما وقع منهم وهذا فيه منقبة لهم، فهم بعد التوبة أكمل حالا من قبلها، قال تعالى: M إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ L [البقرة: ٢٢٢]، وقال عز من قائل: M B C D E F G H I J K L M O P Q R S L [الفرقان: ٧٠]، قال شيخ الإسلام: "والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه كانوا لا يؤخرون التوبة؛ بل يسارعون إليها ويسابقون إليها؛ لا يؤخرون ولا يصرون على الذنب بل هم معصومون من ذلك، ومن أخر ذلك زمنا قليلا كفر الله ذلك بما يبتليه به كما فعل بذي النون ﷺ"[1].

وقد دل ما سبق على أن عصمة الله عز وجل للأنبياء والرسل إنما هي في ما هو أكبر من ذلك، فهم معصومون في تحمل الوحي وتبليغه، قال تعالى: M I J K L M N O P Q S T U V W X Z [\ ] _ ` a b c d e L [المائدة: ٦٧]، ومعصومون من الشرك وكبائر الذنوب، قال شيخ الإسلام - : "والكلام في هذا المقام مبني على "أصل": وهو أن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه،...وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود

(١) مجموع الفتاوى ٣٠٩/١٠ .

النبوة والرسالة،...والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين"(١)، وقال أيضاً: "فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر "أبو الحسن الآمدي" أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول"(٢).

خامسا: ما أثر عنه في المراد بأولي العزم من الرسل:

١٥٩) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M **فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ** L [الأحقاف: ٣٥] قال: «نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى صلوات الله عليهم»(٣).

التعليق:

دل القرآن الكريم والسنة النبوية على أن الرسل أفضل من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعا، وعلى أن الرسل يتفاوتون في الفضل، قال تعالى: M ! " # $ % & ' | (* + , . . / دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ L [البقرة: ٢٥٣] ، وقال سبحانه: M { | } ~ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾ L [الإسراء: ٥٥].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨٩/١٠ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣١٩/٤ .

(٣) تفسير القرآن ٢٠١/٣ رقم (٢٨٢٦)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٧/١٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

وقد وصف الله ﷻ بعض الرسل بأنهم أولو عزم، والمعنى أي: ذوو حزم وصبر، وقد اختلف أهل العلم في المراد بأولي العزم من الرسل؛ فمن أهل التفسير من قال: بأن كل الرسل أولي عزم وهذا قول ابن زيد، ومنهم من قال أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم وهذا القول قال به ابن عباس وعطاء[1] وهو الذي قال به قتادة كما في الأثر المذكور، وذكر ابن كثير بأن هذا أشهر الأقوال[2]، قال الشيخ حافظ الحكمي - : "و"خمسة منهم" أي من الرسل "أولو": أي أصحاب العزم يعني الجزم والجد والصبر وكمال العقل، ولم يرسل الله تعالى من رسول إلا وهذه الصفات فيه مجتمعة، غير أن هؤلاء الخمسة أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل وأعظم من غيرهم"[3].

وهؤلاء الرسل الخمسة الذين سمّاهم قتادة - قد ذكرهم الله ﷻ مجتمعين في موطنين من كتابه، قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ L [الأحزاب: ٧]، وقال: M I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a L [الشورى: ١٣] قال ابن كثير - : "ذكر أول الرسل بعد آدم وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد ﷺ ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهم: إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم * ، وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية "الأحزاب" عليهم"[4].

---

(١) انظر: جامع البيان ٢١/١٧٧ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٧/٣٠٥ .

(٣) معارج القبول ٢/٨٣٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧/١٩٤ .

سادسا: ما أثر عنه في فضائل بعض الأنبياء والرسل:

١ - فضائل الأنبياء عموماً.

٢ - نبينا محمد ﷺ.

٣ - آدم عليه السلام.

٤ - نوح عليه السلام.

٥ - إبراهيم عليه السلام.

٦ - موسى عليه السلام.

٧ - داود عليه السلام.

٨ - سليمان عليه السلام.

٩ - يحي عليه السلام.

١٠ - عيسى عليه السلام.

١ - فضائل الأنبياء عموماً:

١٦٠) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ L [المائدة: ١١٨] فقال: «والله ما كانوا طعانين ولا لعانين»(١).

التعليق:

لقد أثنى الله ﷻ على أنبيائه ورسله في آيات كثيرة، وبيّن فضائلهم وأعمالهم الجليلة، فهم صفوة خلق الله، وقد قاموا بالدعوة إلى ربهم أتم قيام، وصبروا على الأذى في سبيل ذلك، قال تعالى: Mوَلَقَدْ ´ µ ¶ ¸ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ L [الأنعام: ٣٤]، وقد سبق ذكر تفاضل الأنبياء والرسل، وهذا عائد إلى ما اختصوا به من فضائل ، قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ L [البقرة: ٢٥٣]، والله ﷻ اصطفى خيرة خلقه لتبليغ رسالاته، قال تعالى:M ´ µ ¶ ¸ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ L [الأنعام: ١٢٤]، وقال سبحانه: M L M N O P Q R T U V W X L [الحج: ٧٥].

---

(١) تفسير القرآن ٢/٣٩ رقم (٧٦٨) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٣٩/٩ ، وأيضا قد أخرج ابن جرير نحوه في ٦٨٨/١٣ من طريق سعيد عن قتادة عند تفسير قوله تعالى: M H I J K M N O P Q L [إبراهيم: ٣٦]، وأخرجه ابن أبي حاتم كذلك عند تفسير الآية السابقة في ٢٢٤٩/٧ رقم (١٢٢٨٨) معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٥٦/٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

وقد تميز رسل الله بالأخلاق الفاضلة؛ وهذا وصفهم كما قال قتادة: "والله ما كانوا طعانين ولا لعانين"، وقد كان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أحرص الناس على هداية أقوامهم والصبر على الأذى في الله منهم، وانظر إلى حال نبينا ﷺ مع قومه عندما آذوه، فأرسل الله له جبريل عليه السلام 8فناداه، فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم"، قال: "فناداني ملك الجبال وسلّم عليّ، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؛ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين"، فقال له رسول الله ﷺ : "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا"7(1).

٢ - نبينا محمد ﷺ :

١٦١) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: L H G F E D M[البقرة: ١٢٩] : «ففعل الله ذلك؛ فبعث فيهم رسولاً من أنفسهم يعرفون وجهه ونسبه، يُخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد»(2).

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق - باب إذا قال أحدكم : آمين والملائكة في السماء - حديث رقم (٣٢٣١)، وأخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير - باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين حديث رقم (١٧٩٥).

(٢) جامع البيان ٥٧٤/٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٦/١ رقم (١٢٥٧) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧١٨/١ إلى عبد بن حميد.

١٦٢) قال عبد الرزاق: نا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M \ ] ^ _ ` a b c d e f g L [آل عمران: ٣٣] قال: «ذكر الله تعالى أهل بيتين صالحين، ففضلهما على العالمين، فكان محمد ﷺ من آل إبراهيم»(١).

١٦٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M k l m n o p q r s ...الآية L [آل عمران: ٨١]: «هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدّق بعضُهم بعضًا وأن يبلِّغوا كتاب الله ورسالاته، فبلّغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم - فيما بلَّغتهم رُسلهم - أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدّقوه وينصروه»(٢).

١٦٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M ! " # $ % & ' ...الآية L(٣) [آل عمران: ١٠١]: «علَمان بيِّنان: وِجْدان نبي الله ﷺ وكتابُ الله؛ فأما نبيّ الله فمضى ﷺ وأما كتاب الله فأبقاه الله بين أظهُركم رحمة من الله ونعمة، فيه حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته»(٤).

١٦٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: M ´ µ ¶ ¸ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ L [آل عمران: ١٦٤]: «منّ

---

(١) تفسير القرآن ١/٣٨٧ رقم (٣٨٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٥/٣٢٩ ، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق سعيد عن قتادة بنحوه.

(٢) جامع البيان ٥/٥٤٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٦٤٧ إلى عبد بن حميد.

(٣) هكذا أورد ابن جرير هذه الآية فحصل قصور بذلك حيث لم يتضح موضع الشاهد من كلام قتادة - ، وتمام الآية قوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ L [آل عمران: ١٠١].

(٤) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٤٣٧).

من الله عظيم من غير دعوة ولا رغبة من هذه الأمة، جعله الله ﷻ رحمة لهم؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم...»(١).

١٦٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M
t u v w x y { | } ~ عَلَىٰ بَعۡضٖ L [الإسراء: ٥٥] : «اتخذ الله إبراهيم خليلا وكلَّم موسى تكليما، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له: كن فيكون وهو عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه، وآتى سليمان مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبورا - كنا نحدّث دعاء عُلِّمه داود، تحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود - وغفر لمحمد ما تقدّم من ذنبه وما تأخَّر»(٢).

١٦٧) قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: M W X L [الإسراء: ٧٩] قال: «هي الشفاعة، يشفِّعه الله في أمته»(٣).

١٦٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M G H I J K L L [طه: ٢] : «لا والله ما جعله الله شقيًّا ولكن جعله رحمة ونورا ودليلاً إلى الجنة»(٤).

١٦٩) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M L M N O P Q R S L [النور: ٦٣] قال: «أمرهم الله أن يفخموه ويشرفوه»(١).

---

(١) جامع البيان ٢١٣/٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٠٨/٣ رقم (٤٤٦٣) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٣/٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٩٦).

(٣) جامع البيان ٤٦/١٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (٢٩).

(٤) جامع البيان ٩/١٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤١٦/٧ رقم (١٣٣٨٢) معلقاً.

١٧٠) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة قوله: M لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا L [الفرقان: ١] : «بعث الله محمداً ﷺ نذيراً من النار وينذر بأس الله ووقائعه بمن خلا قبلكم»(٢).

١٧١) قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، قال: كان قتادة إذا تلا هذه الآية: M ! " # $ % & ' (L [الأحزاب: ٧] قال: «كان نبيّ الله ﷺ في أوّل النبيين في الخلق»(٣).

١٧٢) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ L [الأحزاب: ٤٠] قال: «آخر النبيين»(٤).

١٧٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ L [الأحزاب: ٤٠] قال: « نزلت في زيد، إنه لم يكن بابْنِه، ولعمري ولقد ولد له ذكور؛ إنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر، M وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ L [الأحزاب: ٤٠] أي: آخرهم Mوَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا L [الأحزاب: ٤٠] »(٥).

---

(١) تفسير القرآن ٢/٤٥١ رقم (٢٠٧٨)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٧/٣٨٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٨/٢٦٦٠ رقم (١٤٩٥٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩).

(٣) جامع البيان ١٩/٢٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن جرير قبل هذا الأثر من طريق سعيد عن قتادة بقوله: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: "كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث"، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ١/١٤٩ من طريق أبي هلال عن قتادة مرفوعا بنحوه.

(٤) تفسير القرآن ٣/٤٢ رقم (٢٣٥٠) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢).

(٥) جامع البيان ١٩/١٢٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٣/٤٢ رقم (٢٣٤٩) عن معمر عن قتادة مختصراً وفيه قوله: "وقد ولد للنبي ﷺ رجال

١٧٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M u v w x y L [سبأ: ٢٨] قال: «أرسل الله محمدًا إلى العرب والعجم، فأكرمُهُم على الله أطوعهم له»(١).

١٧٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ L [الشورى: ١٥] قال: «أُمِر نبي الله ﷺ أن يعدل؛ فعدل حتى مات ﷺ، والعدل ميزان الله في الأرض، به يُؤخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعدل يُصدِّق الله الصادق ويكذّب الكاذب، وبالعدل يردّ المعتدي ويوبخه»(٢).

١٧٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M+ , - . / إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ L [الشورى: ٢٣] : «وإن الله تبارك وتعالى أمر محمدا ﷺ أن لا يسأل الناس على هذا القرآن أجرا إلا أن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة، وكلّ بطون قريش قد ولدته وبينه وبينهم قرابة»(٣).

ونساء" بدلالٍ من ذكر أسماء أولاد النبي ﷺ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٢/١٢ إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(١) جامع البيان ٢٨٨/١٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨٢/٢ رقم (٢٥٤٩) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢١٧/١٢ إلى عبد بن حميد.

(٢) جامع البيان ٤٨٦/٢٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣٨/١٣ إلى عبد بن حميد.

(٣) جامع البيان ٤٩٧/٢٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١٦١/٣ رقم (٢٧٣٥) عن معمر عن قتادة بنحوه.

١٧٧) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، أنه تلا: M l m n o p q r L [الزخرف: ٤١] قال: «ذهب النبي ﷺ وبقيت النقمة، ولم يُرِ الله نبيه في أمته شيئا يكرهه، ولم يكن نبي قطّ إلا قد رأى العقوبة في أمته إلا نبيكم ﷺ»[١].

١٧٨) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M ^ _ ` a b c d L [الأحقاف: ٩] قال: «قد بين الله له أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[٢].

١٧٩) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن الحسن وقتادة، في قوله تعالى: M R S T U V W L [النجم: ١١] قالا: «رأى جبريل في صورته التي هي صورته، قالا: وهو الذي رآه نزلة أخرى»[٣].

١٨٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M [\ ] ^ _ ` L [النجم: ٥٦] : «إنما بعث محمد ﷺ بما بعث الرسل قبله»[٤].

١٨١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: Mوَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾ L [الشرح: ٤] : «رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد

(١) تفسير القرآن ٣/١٧٠ رقم (٢٧٦٨) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٠/٦٠٠ من طريق سعيد عن قتادة بنحوه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٣/٢٠٨ من رواية قتادة عن أنس وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم.

(٢) تفسير القرآن ٣/١٩٦ رقم (٢٨٤٤)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢١/١٢١ من طريق معمر عن قتادة.

(٣) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٣٦٨).

(٤) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٥٠).

ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله»(١).

التعليق:

أشرف الخلق وأكرمهم وأتقاهم لله ﷻ وأخشاهم، الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأعز به وأكرم كل من اتبعه وسار على نهجه، رحمة الله للعالمين، إمام الأنبياء والمرسلين، سيد الأولين والآخرين، الرسول النبي الأمي محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم الذي قال الله ﷻ عنه: M | { ~ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ © رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ L [التوبة: ١٢٨]، وقال ﷺ : 8إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم7(٢)، وقال ﷺ أيضا: 8أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع7(٣) ، قال شيخ الإسلام: وقد خص الله تبارك وتعالى محمدا ﷺ بخصائص ميزه بها على جميع الأنبياء والمرسلين، وجعل له شرعة ومنهاجا أفضل شرعة وأكمل منهاج كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله من جميع الأجناس هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه من الحق قبلهم وجعلهم وسطا عدلا خيارا؛ فهم

---

(١) جامع البيان ٢٤/٤٩٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/٣٤٤٥ رقم (١٩٣٩٢) معلقاً، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٧/٦٣ من طريق سعيد به نحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/٤٩٨ إلى عبد بن حميد والبيهقي في الدلائل.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل - باب فضل نسب النبي ﷺ ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة - حديث رقم (٢٢٧٦).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل - باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق - حديث رقم (٢٢٧٨).

وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسله وكتبه وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام"(1).

ومن فضائل نبينا ﷺ وخصائصه عموم رسالته لكافة الثقلين من الجن والإنس، قال تعالى: M u v w x y z { L [سبأ: ٢٨]، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: M مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ L [الأحزاب: ٤٠]، وأنه صاحب الشفاعة العظمى لأهل الموقف يوم القيامة وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى: M S T U V W X L [الإسراء: ٧٩] ، وقد ذكر قتادة - في هذه الآثار بعضاً من فضائل نبينا $ وخصائصه وهي:

١ - شرف نسبه ﷺ ووجاهته في قومه.

٢ - صلاح بيته وبيت إبراهيم عليهما الصلاة والسلام وفضلهما على العالمين.

٣ - أخذ الله الميثاق على النبيين إن هم أدركوه أن يؤمنوا به ويصدقوه وينصروه.

٤ - فضيلته ﷺ بأن وجوده في الحياة نعمة عظيمة على الناس.

٥ - امتنان الله ﷻ به على الأمة وجعله رحمة لهم ليخرجهم به من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم.

٦ - أن الله غفر له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر.

٧ - إثبات شفاعته يوم القيامة.

٨ - أن الله جعله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة.

٩ - أمر الله المؤمنين بتفخيمه وتشريفه.

١٠ - بَعْثُ الله له كسائر الرسل بشيراً ونذيراً؛ لينذر الناس من النار، ومن بأس الله وما وقع للأمم السابقة.

---

(١) أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني؛ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي حسن ناصر، وعبدالعزيز إبراهيم العسكر، وحمدان محمد، (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٤هـ)، ج ١ ، ص ٦٩ .

١١- أنه خاتم النبيين.

١٢- ذكر أسماء أبنائه ﷺ من الذكور وهم القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر.

١٣- أن الله بعثه إلى الناس كافة العرب والعجم، وأكرمهم على الله أطوعهم وأتبعهم له.

١٤- عدله ﷺ .

١٥- معنى قوله تعالى: M+ , - . / إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ L وأن كل بطون قريش بينه وبينهم قرابة.

١٦- أن ما من نبي إلا ويرى عقوبة الله ﷻ في قومه إلا نبينا ﷺ.

١٧- رؤيته ﷺ لجبريل عليه السلام في صورته التي هي صورته.

١٨- أنه إنما بعث بما بعث به الرسل من قبله.

١٩- رفع الله ﷻ ذكره فما من خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا وينادي أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

٣- آدم عليه السلام :

١٨٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M v w x y z L [البقرة: ٣٤] : «فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم، أكرم الله آدم أن أسْجَد له ملائكته»(١).

١٨٣) قال ابن أبي حاتم: أخبرنا محمد بن عبيد الله بن المنادي فيما كتب إليّ، ثنا يونس بن محمد المؤدب، ثنا شيبان، عن قتادة قوله: Mوَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ´ µ ¶ ¸ L[الأعراف: ١٩] قال: «ابتلى الله آدم كما ابتلى الملائكة قبله، وكل شيء خُلق مبتلى،

---

(١) جامع البيان ٥٤٦/١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٤٣/٥ رقم (٨٢٣٨) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن ابن عباس ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٧٠/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

و لم يدع الله شيئاً من خلقه إلا ابتلاه بالطاعة؛ فما زال البلاء بآدم حتى وقع فيما نُهي عنه»[1].

١٨٤) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M h i j k L [المؤمنون: ١٢] قال: «استل آدم من طين ، وخلقت ذريته من ماء مهين منه»[2].

١٨٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: M M N O P Q R L : «خلق آدم ﷺ من تراب، M S T U V W L [الروم: ٢٠] يعني: ذرّيته»[3].

١٨٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: M z { | } ~ L [السجدة: ٧] : «وهو خلق آدم ، M ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ L أي ذرّيته Mمِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ L [السجدة: ٨] ، والسلالة هي: الماء المهين الضعيف»[4].

١٨٧) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: Mهَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ´ µ ¶ ¸ ﴿١﴾ L [الإنسان: ١] قال: «كان آدم آخر ما خلق من الخلق»[5].

(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٣٨٦) .

(٢) تفسير القرآن ٤١٤/٢ رقم (١٩٦٠)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٧٢/١٠ إلى ابن جرير.

(٣) جامع البيان ٤٧٨/١٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٩٥/١١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) جامع البيان ٦٠٠/١٨ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٩٥/١١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) تفسير القرآن ٣٧٣/٣ رقم (٣٤٢٠)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٥٢٩/٢٣ من طريق معمر عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤٥/١٥ إلى ابن المنذر.

١٨٨) قال أبو الشيخ: أخبرنا أبو يعلى حدثنا العباس بن الوليد حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة - تعالى قال: «إن الله تبارك وتعالى خلق هذه النجوم لثلاث خصال؛ جعلها زينة السماء، وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجوما للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قلل رأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به، وإن ناسا جهلة بأمر الله تعالى قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة؛ من غرس بنجم كذا وكذا كان كذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد به القصير والطويل والأحمر والأبيض والحسن والدميم، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذه الطير شيئا من قضاء، لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله، ولعمري لو أن أحدا علم الغيب لعلم آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه الجنة يأكل منها رغدا حيث شاء، ونهى عن شجرة واحدة فلم يزد به البلاء حتى وقع بما نهي عنه، ولو كان أحد يعلم الغيب لعلم الجن حيث مات سليمان بن داود عليهما السلام فلبثت تعمل حولا في أشد العذاب وأشد الهوان لا يشعرون بموته، فما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل من منسأته، أي: تأكل عصاه فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانت الجن تعلم الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، وكانت الجن تقول مثل بذلك: إنها كانت تعلم الغيب وتعلم ما في غد فابتلاهم الله ﷻ بذلك، وجعل موت نبي الله ﷺ للجن عظة وللناس عبرة»[١].

١٨٩) قال نعيم بن حماد: نا ابن المبارك، أنا معمر، عن قتادة قال: «إن أهل الجنة أبناء ثلاثين جرد مرد مكحلون على صورة آدم كان طوله ستين ذراعا»[٢].

١٩٠) قال أبو الشيخ: حدثني عبد الله بن قحطبة، حدثنا العباس بن عبد الله، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة: قال: «كان آدم عليه السلام يشرب من السحاب»[١].

---

(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (١٨٨).

(٢) عبدالله بن المبارك المروزي؛ الزهد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج ٢ ، ص ١٢٨ رقم (٤٢٣).

التعليق:

آدم عليه السلام أبو البشرية جمعاء، خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته، أسكنه الله الجنة ثم ابتلاه جل وعلا كما ابتلى الخلق من قبله، فوقع فيما أخبرنا الله عنه إلا أنه سرعان ما تاب إلى ربه وأناب قال تعالى: M وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ © ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ´ µ ¶ ¸ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ L [البقرة: ٣٥-٣٧]، وقد كان آدم عليه السلام أول الأنبياء، ذكر له قتادة - في هذه الآثار بعض الخصائص، فمما ذكره وقد دلت عليه الأدلة:

١- إكرام الله عز وجل له بأمر الملائكة بالسجود له، قال تعالى: M v w x y z { | } ~ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ L [البقرة: ٣٤].

٢- ابتلاء الله له كما ابتلى الملائكة الذين خُلقوا من قبله.

٣- خلق الله له من طين وأما بقية الناس من ذريته فمن ماء مهين.

٤- أنه آخر الخلق.

٥- أن الله خلقه بيده ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسكنه الجنة.

٦- طول آدم في السماء ستون ذراعاً.

٤- نوح عليه السلام:

١٩١) قال عبد الرزاق: نا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M N O P Q L [البقرة: ٢١٣] قال: «كانوا على الهدى جميعًا فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وكان أوَّل نبي بُعث نوحٌ عليه السلام»(٢).

---

(١) العظمة ٥/١٥٦٠ رقم (١٠٢٥)، وقال محققه: إسناده ضعيف لأجل سعيد بن بشير.

(٢) تفسير القرآن ١/٣٣٠ رقم (٢٤٤) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣/٦٢١ ، وابن أبي حاتم ٤/١٢٩٥ رقم

١٩٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M j k m n o p q L [البقرة: ١٣٨] قال: «إنّ اليهود تصبُغُ أبناءها يهود، والنصارى تصبُغُ أبناءها نصارى، وإن صبغة الله الإسلام، فلا صبغة أحسنُ من الإسلام ولا أطهرُ، وهو دين الله الذي بعث به نوحًا والأنبياء بعده»(١).

١٩٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: M ! " # $ % L [الصافات: ٧٧] قال: «فالناس كلهم من ذرية نوح»(٢).

١٩٤) قال عبد الرزاق: نا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M & ' ( ) * L [الصافات: ٧٨] قال: «ترك الله عليه ثناء حسناً في الآخرين»(٣).

١٩٥) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M J K L M L [النجم: ٥٢] قال: «دعاهم نوح ألف سنة إلا خمسين عاما»(٤).

١٩٦) قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M b c d L [القمر: ١٥] قال: «أبقى الله سفينة نوح على الجودي، حتى أدركها أوائل هذه الأمة»(١).

(٧٣١٦) دون الشطر الأول منه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩٨/٢ إلى عبد بن حميد.

(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (١٥).

(٢) جامع البيان ٥٦٠/١٩ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم ٣٢١٨/١٠ رقم (١٨٢١١) معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢٠/١٢ إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) تفسير القرآن ٩٥/٣ رقم (٢٥٢٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير ٥٦١/١٩ من طريق سعيد عن قتادة، وأخرجه ابن أبي حاتم ٣٢١٨/١٠ رقم (١٨٢١١) معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢٠/١٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) تفسير القرآن ٢٥٥/٣ رقم (٣٠٤٥)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير ٩٠/٢٢ من طريق معمر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٥/١٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

التعليق:

نوح عليه السلام هو أول رسل الله ﷻ وما من نبي ولا رسول من بعده إلا هو من ذريته، قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + - . / وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ : ; < = L [النساء: ١٦٣] ، وقد مدحه الله ﷻ بقوله: M E F G H I K L M N O L [الإسراء: ٣]، ونوح عليه السلام أحد أولي العزم من الرسل على أحد الأقوال في الآية كما سبق ، قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - / مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ L [الأحزاب: ٧] ، وقد أمر الله ﷻ نبينا ﷺ بالتأسي بهم في الصبر، قال تعالى: M فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ L [الأحقاف: ٣٥] .

ومما ذكره قتادة - من فضائل نوح عليه السلام وخصائصه:

١- أنه أول نبي بعثه الله ، وهذا بعد الاختلاف وإلا فآدم نبي قبله.

٢-أن دين نوح عليه السلام هو الإسلام كسائر الأنبياء والرسل بعده.

٣-أن الناس الذين جاؤوا من بعده كلهم من ذريته.

٤- أن الله ﷻ ترك عليه ثناءً حسناً في الآخرين.

٥- استمرار دعوته لقومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، قال تعالى: M وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ L [العنكبوت: ١٤]

٦- بقاء سفينته حتى أدركها أوائل هذه الأمة.

---

(١) تفسير القرآن ٣/٢٦٠ رقم (٣٠٦٢) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه البخاري معلقاً كتاب التفسير - باب M [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h L ، وابن جرير ٢٢/١٢٨ من طريق معمر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/٧٧ إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

٥- إبراهيم عليه السلام:

١٩٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M V W X Y Z [\ ] ^ L [البقرة: ١٣٠]: «رغب عن ملَّتِه اليهود والنصارى، واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعةً ليست من الله، وتركوا ملة إبراهيم - يعني الإسلام - حنيفاً؛ كذلك بعث الله نبيه محمداً ﷺ بملة إبراهيم»(١).

١٩٨) قال عبد الرزاق: نا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: M \ ] ^ _ ` a b c d e f g L [آل عمران: ٣٣] قال: «ذكر الله تعالى أهل بيتين صالحين، ففضلهما على العالمين، فكان محمد ﷺ من آل إبراهيم»(٢).

١٩٩) قال عبدالرزاق: عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ L [الأنعام: ٧٥] قال: «جيء إبراهيم عليه السلام بجبار من الجبابرة، فجعل الله له في أصابعه رزقا، فإذا مص أصبعا من أصابعه وجد فيها رزقا، فلما خرج أراه الله ملكوت السموات والأرض، فكان ملكوت السموات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض: الجبال ، والشجر ، والبحار »(٣).

---

(١) جامع البيان ٥٧٨/٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٣٨/١ رقم (١٢٧٠) من قول أبي العالية ثم قال: وُرِوي عن قتادة نحو ذلك، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧١٩/١ إلى عبد بن حميد.

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٤٨١).

(٣) تفسير القرآن ٥٦/٢ رقم (٨٢١) ، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، وأخرجه ابن جرير ٣٥٢/٩ من طريق معمر به، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢٧/٤ رقم (٧٥٠٥) مختصرا جداً، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٠٩/١ بلفظ: ذكر لنا أن إبراهيم عليه السلام...الخ وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

٢٠٠) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا : L [النحل: ١٢٠] قال: «كان إمامَ هُدًى مطيعًا لله، تُتَّبع سُنَّتُه ومِلَّتُه»(١).

٢٠١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M t u v w x y { | } ~ عَلَىٰ بَعْضٍ L [الإسراء: ٥٥] : «اتخذ الله إبراهيم خليلا وكلَّم موسى تكليما، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهو عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه، وآتى سليمان مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وآتى داود زبورا...»(٢).

التعليق:

من أنبياء الله ورسله الذين سماهم الله ﻷ في كتابه: إبراهيم ، وقد ذكر I في كتابه فضائل عدة لإبراهيم ، قال تعالى: M إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا : ; < = > ? @ A B D E F G H I J K L M O P Q R S T L [النحل: ١٢٠-١٢٢]، وما من نبي جاء من بعده إلا وهو من ذريته $ ، فقد جعل الله ﻷ في ذريته النبوة والكتاب ولهذا سمي بأبي الأنبياء ، قال تعالى: M z { | } ~ مِّنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ © مِن قَبْلُ L [الحج: ٧٨].

ومما ذكره قتادة - من فضائل إبراهيم وخصائصه:

١- أن ملته ملة الإسلام.

---

(١) جامع البيان ٣٩٦/١٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢٧٧/٢ رقم (١٥١٢) مختصراً جداً، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٠٦/٧ رقم (١٢٦٨٣) معلقاً.

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٩٦).

٢-أن بيته بيتاً صالحا هو ونبينا محمد ﷺ ، وقد فضلهما الله ﷻ على العالمين.

٣-قصته مع الجبار (النمرود)، ورزق الله له، ورؤيته ملكوت السموات والأرض.

٤-أنه كان إمام هدى مطيعاً لله، واجب على الناس إتباع سننه وملته، قال تعالى: M U V W X Y Z [\ ] L [النحل: ١٢٣].

٥-أن الله اتخذه خليلا، وهذه الفضيلة ثابتة لنبينا ﷺ أيضاً، فعن جندب رضي الله عنه ، قال: 8سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا..."7 (١).

٦- موسى عليه السلام :

٢٠٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M t u v w x y z { | } ~ عَلَىٰ بَعْضٍ L [الإسراء: ٥٥] : «اتخذ الله إبراهيم خليلا، وكلّم موسى تكليما، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهو عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه، وآتى سليمان مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبورا؛ كنا نحدّث دعاء عُلِّمه داود، تحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، وغفر لمحمد ما تقدّم من ذنبه وما تأخَّر»(٢).

٢٠٣) قال عبد الرزاق: أرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: M & ' L [مريم: ٥٢] قال: «نجا بصدقه»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد - حديث رقم (٥٣٢).

(٢) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٩٦).

(٣) تفسير القرآن ٢/٣٦٠ رقم (١٧٧٠)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٢)، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه ابن جرير ١٥/٥٦١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٤١١ رقم (١٣١٤٥) معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٧٨ إلى ابن المنذر.

التعليق:

موسى عليه السلام رسول الله إلى بني إسرائيل، وهو أحد أولي العزم الذين أمر نبينا ﷺ بالصبر تأسّياً بهم، قال ﷺ مثنيا عليه: 8رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر7(1)، وقد اصطفاه الله عز وجل برسالاته وبكلامه؛ فقد كلمه الله عز وجل في الدنيا من وراء حجاب، قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / L [الأعراف: ١٤٤] ، وقد ذكر قتادة في الأثر الأول هذه الفضيلة لموسى عليه السلام ، وأشار في الأثر الثاني إلى صدقه ﷺ.

٧- داود عليه السلام :

٢٠٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M t u v w x y { | } ~ عَلَىٰ بَعْضٍ L [الإسراء: ٥٥] : «اتخذ الله إبراهيم خليلا، وكلّم موسى تكليما، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهو عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه، وآتى سليمان مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبورا؛ كنا نحدّث دعاء عُلّمه داود، تحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، وغفر لمحمد ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»(2).

٢٠٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M % & ' ( ) L [ص: ١٧] قال: «أعطي قوّة في العبادة وفِقهاً في الإسلام»(3).

---

(1) أخرجه البخاري: كتاب فرض الخمس - باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم - حديث رقم (٢٩٩٨).

(2) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٩٦).

(3) جامع البيان ٤١/٢٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١١٣/٣ رقم (٢٥٨٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥١٣/١٢ إلى عبد بن حميد.

٢٠٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M + , L [ص: ١٧] : «أي: كان مطيعا لله كثير الصلاة» (١).

٢٠٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M ? @ L [ص: ٢٠] أي: «السنة»(٢).

التعليق:

ممن ذكره قتادة - من الأنبياء والرسل: داوود عليه السلام وهو من أنبياء بني إسرائيل، وقد ذكر من خصائصه وفضائله:

١- أن الله آتاه الزبور وهو دعاء فيه تحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود.

٢-أنه أُعطي قوة في العبادة وفقها في الإسلام.

٣-أنه كان مطيعا لله كثير الصلاة.

٤-أن مما أوتيه الحكمة، ومعناها: السنة.

٨- سليمان عليه السلام :

٢٠٨) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M t u v w x y { | } ~ عَلَىٰ بَعْضٍ L [الإسراء: ٥٥] : «اتخذ الله إبراهيم خليلا، وكلَّم موسى تكليما، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهو عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه، وآتى

(١) جامع البيان ٤٢/٢٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥١٤/١٢ إلى عبد بن حميد.

(٢) جامع البيان ٤٨/٢٠ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٢١/١٢ إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد.

سليمان مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبورا؛ كنا نحدّث دعاء عُلّمه داود، تحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، وغفر لمحمد ما تقدّم من ذنبه وما تأخَّر»(١).

٢٠٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M ¶ ¸ عَاصِفَةً L إلى قوله: M + , - L [الأنبياء: ٨٢] قال: «ورَّث الله سليمان داود؛ فورَّثه نبوّته وملكه وزاده على ذلك أن سخَّر له الريح والشياطين»(٢).

٢١٠) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أنبا العباس، ثنا يزيد، ثنا سعيد، عن قتادة: M u v w x | L [النمل: ٤٠] : «لا والله ما جعله فخراً ولا بطراً ولا أشراً، ولكن جعله شكراً وذكراً وتواضعاً لله»(٣).

التعليق:

لقد بين قتادة - في هذا الآثار بأن الله ﻷ اختص سليمان بن داوود عليهما السلام بخصائص وفضائل؛ فذكر عنه:

١- أن الله ورّثه النبوة والملك، وسخّر له الريح والشياطين، قال تعالى: M ? @ A C D E F G H I J K L N O P Q R S L [النمل: ١٦]، وقال تعالى: M q r s t u v w x y

(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٩٦).

(٢) جامع البيان ١٦/٣٣٢ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٥٢١ إلى وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٩/٢٨٨٩ رقم (١٦٤٠٧)، وإسناده صحيح. انظر: حاشية الأثر رقم (٦٩).

z { | } ~ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ © أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً ´ µ ¶ ¸ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ L [ص: ٣٤-٣٧].

٢-أنه كان شاكرا لله، ذاكراً متواضعا له سبحانه.

٩- يحي عليه السلام:

٢١١) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M : ; < = L [آل عمران: ٣٩] يقول: «عبدٌ أحياه الله بالإيمان»[1].

٢١٢) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M > ? @ A L [آل عمران: ٣٩] يقول: «مصدّقٌ بعيسى ابن مريم، وعلى سُنَّته ومنهاجه»[2].

٢١٣) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M B L [آل عمران: ٣٩] : «إي والله ، لسيدٌ في العبادة والحلم والعِلِم والوَرَع»[3].

التعليق:

تحدّث قتادة - في هذه الآثار عن فضائل نبي الله يحي بن زكريا ابن خالة عيسى * ، فذكر في معنى اسمه "يحي" أي: عبدٌ أحياه الله بالإيمان، ومن فضائله عليه السلام: أنه مصدّق بعيسى ابن مريم وعلى سننه ومنهاجه، وأنه سيّدٌ في العبادة والحلم والعلم والورع.

---

(١) جامع البيان ٣٧٠/٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤١/٢ رقم (٣٤٥٥) من طريق شيبان عن قتادة مثله وفي ٥٤٢/٢ رقم (٣٤٥٧) بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٢٩/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) جامع البيان ٣٧١/٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٣٩٢/١ رقم (٣٩٨) عن معمر به نحوه.

(٣) جامع البيان ٣٧٤/٥ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١).

١٠- عيسى عليه السلام:

٢١٤) قال ابن جرير: حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال، ثنا سعيد، عن قتادة قوله: M وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ L [آل عمران: ٤٥] يقول: «من المقربين عند الله يوم القيامة»(١).

٢١٥) قال ابن جرير: حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M ! " # $ % & ' (L [آل عمران: ٤٦] يقول: « يكلمهم صغيرًا وكبيرًا»(٢).

٢١٦) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: M ٱلْحَقُّ © رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ L [آل عمران: ٦٠] يعني: «فلا تكن في شكّ من عيسى أنه كمثل آدم عبدُ الله ورسوله ، وكلمةُ الله ورُوحه»(٣).

٢١٧) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: M t u v w x y { | } ~ عَلَىٰ بَعْضٍ L [الإسراء: ٥٥]: «اتخذ الله إبراهيم خليلا، وكلّم موسى تكليما، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهو عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه، وآتى سليمان مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبور؛ كنا نحدّث دعاء عُلِّمه داود،

(١) جامع البيان ٥/٤١١ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٥٢ رقم (٣٥٢٠) من قول الربيع بن أنس ثم قال: وروي عن قتادة مثل ذلك، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٥٤٨ إلى عبد بن حميد.

(٢) جامع البيان ٥/٤١٣ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٥٤٩ إلى عبد بن حميد.

(٣) جامع البيان ٥/٤٦٤ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٦٠٤ إلى عبد بن حميد.

تحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، وغفر لمحمد ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»[1].

التعليق:

آخر الأنبياء والرسل قبل نبينا محمد ﷺ هو عيسى بن مريم عليه السلام ، قال ﷺ : 8أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتى ودينهم واحد7[2]، وعند أحمد وغيره: 8وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي7[3] ، قال ابن حجر: "واستدل به على أنه لم يبعث بعد عيسى أحد إلا نبينا ﷺ "[4] وضعَّف - ما جاء في قصة الثلاثة الذين بعثوا بعد عيسى بهذا الحديث.

وقد خصّ الله عز وجل عيسى ابن مريم عليه السلام بأنه ولد من غير أب؛ وهو عبد الله ورسوله لا كما قال "النصارى" الضالون فيه، ولا كما كذب المغضوب عليهم "اليهود" عليه، قال تعالى: M v w x y z { | ~ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ L [آل عمران: ٥٩]، قال ابن كثير: M v w x y z L في قدرة الله تعالى حيث خلقه من غير أب M { | L فإن الله تعالى خلقه من غير أب ولا أم، بل M ~ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ L"[5]، ومن خصائصه أيضاً ما آتاه الله عز وجل من آيات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، قال تعالى: M I J K

---

(١) تقدم ذكره. انظر: الأثر رقم (٢٩٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله M C D E F G H I J L - حديث رقم (٣٤٤٣).

(٣) أخرجه أحمد في المسند: رقم (٩٢٧٠)، وابن حبان في صحيحه: كتاب التاريخ - ذكر الإخبار عن وصف الأمن الذي يكون في الناس بعد قتل - حديث رقم (٦٨٢١)، وقال محقق صحيح ابن حبان الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) فتح الباري ٦/٤٨٩ .

(٥) تفسير ابن كثير ٢/٤٩ .

\ [Z Y X W V U T R Q P O NM L
k j h g f e d c b ` _ ^]
[آل عمران: L z y x w v u t s r p o n m l
٤٩].

وعقيدة أهل الإسلام في عيسى عليه السلام أنه لم يمت بل رفعه الله إليه وسيترل في آخر الزمان، قال تعالى ذامّا اليهود عليهم لعنة الله: M وَبِكُفْرِهِمْ : ; < = >
Q O N M L K J I H G F E D C B A @ ?
h g f e d c b ` _ ^] \ [Z Y W V U T S R
[آل عمران: ١٥٦-١٥٨]. L o n m l k i

وأما ما ذكر قتادة - من خصائص عيسى عليه السلام وفضائله فهي :

١- أنه من المقربين عند الله يوم القيامة.

٢-أنه كان يكلم الناس في المهد صغيراً، ويكلمهم كذلك في الكهولة كبيراً.

٣-أنه كمثل آدم فقد خلقه الله عز وجل وهو عبده ورسوله، وكلمة الله وروحه.

سابعا: ما أثر عنه في ذي القرنين ولقمان ، وهل هما نبيين أم رجلين صالحين؟

٢١٨) قال أبو الشيخ: حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا مسلم بن إبراهيم، عن عمران، عن قتادة - تعالى قال: «خرج ذو القرنين من الروم وكان رجلا صالحا»(١).

٢١٩) قال ابن جرير: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة قوله: M ! " # $ L [لقمان: ١٢] أي: «الفقه في الإسلام، قال قَتادة: و لم يكن نبياً و لم يوح إليه»(١).

(١) العظمة ٤/١٤٤٥ رقم (٩٥٦)، وقال محققه: وهو مقطوع وفي إسناده عمران القطان متكلم فيه.

التعليق:

ذكر قتادة - في الأثر الأول "ذو القرنين"، وقال بأنه كان رجلا صالحاً، وفي هذا إشارة إلى مسألة وهي: هل كان ذا القرنين نبيا أم لا والذي يظهر من كلام قتادة - أنه يرى بأنه ليس بنبي وإنما هو رجل صالح، وهذا القول هو أحد الأقوال المأثورة عن المفسرين.

وقد اختلف أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم في "ذي القرنين" على عدة أقوال:

أحدها: أنه نبي، واستدل من قال بهذا القول بقوله تعالى: M = < ? L [الكهف: ٨٦]، فقالوا هذا خطاب من الله جل وعلا له فهو وحي، وضعف هذا القول من أهل التفسير: الثعالبي وابن عطية و النحاس والألوسي وغيرهم[٢].

والقول الثاني: أنه عبد صالح ، وهذا ما ذكره قتادة - وغيره، وأجيب عن الآية بأن قوله "قلنا" إنما هو إلهام، وقال بعضهم: يجوز أن يكون خطاب لذي القرنين من الله بواسطة نبي في وقته[٣].

والقول الثالث: أنه ملك بفتح اللام، ويروى هذا القول عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب [٤].

والقول الرابع: أنه ليس بملَك - بفتح اللام - ولا نبي وإنما هو ملِك - بكسر اللام - صالح نصح لله فأيده، ويروى هذا القول عن علي بن طالب ﷺ [٥].

---

(١) جامع البيان ١٨/٥٤٦ ، وإسناده حسن. انظر: حاشية الأثر رقم (١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢١/٦٢٨ إلى ابن أبي حاتم.

(٢) انظر: تفسير الثعالبي ٢/٣٩٣ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/٥٦٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/٢٨٩ ، وروح المعاني ٢٥/١٣٠ .

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/٥٢ .

(٤) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/٥٦٩ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/٤٦ .

(٥) انظر: تفسير الفخر الرازي ١/٢٩٤٣ ، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/٥٦٩ .

قال البغوي - : في تفسير قوله تعالى: M وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ L [الكهف: ٨٣] واختلفوا في نبوته: فقال بعضهم: كان نبيا، وقال أبو الطفيل: سئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين أكان نبيا أم ملكا؟ قال: لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا أحب الله وأحبه الله؛ ناصح الله فناصحه الله"، وروي أن عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول لآخر: يا ذا القرنين! فقال: تسميتم بأسماء النبيين فلم ترضوا حتى تسميتم بأسماء الملائكة، والأكثرون على أنه كان ملكا عادلا صالحا"[1].

وقد رجّح ابن القيم أن ذا القرنين كان رجلا صالحا فقال - : "فذو القرنين كان رجلا صالحا موحدا لله تعالى؛ يؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر،..."[2].

وأما الأثر الثاني فيتحدث فيه قتادة - عن لقمان، وقد ذكر بأنه لم يكن نبيا ولم يوح إليه، وأهل التفسير اختلفوا في ذلك فقال بنبوته: عكرمة والشعبي، وقال بصلاحه فقط: مجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهما وهو قول قتادة وروي في هذا القول حديثا عن ابن عمر ، قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: "لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبداً كثير التفكر، حسن اليقين، أحب الله فأحبه، فمن عليه بالحكمة..." [3]، ورجّح هذا القول كثير من المفسرين[4].

وبهذا يظهر أن "ذا القرنين" و"لقمان" رجلان صالحان - كما ذكر قتادة - وليسا بنبيين والله أعلم.

❁❁❁

(١) تفسير البغوي ٣/٥٦ .

(٢) إغاثة اللهفان ٢/٢٦٤ .

(٣) ذُكر هذا الحديث في كتب التفسير ولم أجد من أسنده. انظر: تفسير الثعالبي ٣/٢٠٧ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/٤٠١ .

(٤) انظر: تفسير الثعالبي ٣/٢٠٧ ، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٣/١٢٦ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/٤٠١ ، وتفسير الماوردى "النكت والعيون" ٤/٣٣١ ، وفتح القدير ٤/٣٣٧ .